نظرة على أبرز أعمال الدكتورة وداد عفيف القاضي بمناسبة فوزها بجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي لعام ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م

محمد بن سليمان السديس

أستاذ مشارك - قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - الرياض

الدكتورة وداد عفيف القاضي سيدة عربية ولدت عام ١٩٤٣م في بيروت ، تتمتع بالجنسيتين اللبنانية والأمريكية ، وهي حاليًا أستاذة بجامعة شيكاغو ورئيسة قسم لغات الشرق الأدنى والحضارات بها (تنظر مجلة الفيصل عدد ٢٠٨ ص ١٤) ، وقد فازت العام الماضي ١٤١٤هـ بجائزة الملك فيصل للأدب العربي عن أعمالها في ميدان النثر العربي القديم .

ولأنَّ اسم الدكتورة وداد ، على وفرة إنتاجها العلمي ، لايكاد يتردد على أسماع غير المتخصصين ، أو يبرز أمام نواظرهم ، ولا سيما في أنحاء شبه جزيرتنا هذه ، وإن تلقفته الألسن بعد الفوز ، فلعلَّ من الملائم أن نقوم بهذه الإطلالة العَجْلَى على أبرز إنتاجها في الحقل المُومأ إليه ، وهي إطلالةٌ لا تدَّعي القصد إلى التحليل والتعليل ، وإنما هي أدنى إلى التعريف ، وإلقاء الضوء الخافت ، لتمكين القارئ غير المتخصص من الاطلاع على شيءٍ من ثمرات جهد الدكتورة وداد ، ليقوم بنفسه بدرسه والإفادة منه إن شاء . وفيها مَسْعًى لإبداء رأيٍ متوازنٍ بحيث لا تحول جودة العمل وإتقانه وعمقه دون الجَهْر بما قد يَعِنُّ من ملاحَظ ، دون عَمْدٍ إلى تَرَصُّدِ الهَنَات ، وبالله تعالى التوفيق :

١ - البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (تحقيق) ، (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) :

اعتمدت المحققة على ست نسخ من مخطوطاته فبذلت ما بوسعها لإخراج الكتاب على الصورة التي أُلِّف بها ، أو على صورة تدنو منها كثيراً . وترجمت للأعلام الواردة فيه تراجم مختصرة ، ولكنها كافية ، وأغفلت الترجمة لبعض الأعلام لكنها بينت الأسباب (تنظر المقدمة ١/ ١٢ - ١٣) . وكانت تذكر مصادر التراجم ، وخَرَّجَت ما يحتاج إلى تخريج من آيات وأحاديثَ وأمثال وأقوال وأشعار .

وقد سلكَتْ منهجا فَريداً في تقسيم أسفل الصفحة ، في الغالب الأعم ، تقسيمًا بديعًا إلى حاشيتين : عليا للتخريج ، وسفلى لفروق النسخ والتعليقات العارضة ، مما ييسر على القارئ . وقد أعانها على ذلك أن الكتاب بجملته مؤلَّفٌ من أخبار ونوادرَ وأشعار . . . إلخ ، مستقل كل منها عما سبقه أو تلاه ، فوضعت لكل من هذه الأمور رقمًا ، ومضت تسلسل المادة في كل جزء على هذا المنوال ، فكانت تشير في التخريجات إلى هذه الأرقام ، وتدع الأرقام التي في أواسط السطور للتعليقات .

وألحقت بالكتاب فهارس تفصيلية متنوعة في جزء منفصل . وختمته بدراسة مستفيضة عن الكتاب (٩/ ٢٢٥-٣٠٥) بحثت في اسمه وتاريخ تصنيفه وخطته ، وتعرضت إلى اقتباسه من الأصول الأساسية للعلم : القرآن وكتب التفسير وكتب السنة ، وإلى اعتماده على العديد من كتب الأدب واللغة والنحو وعلم الكلام والطب

والتنجيم والفلسفة ، كما قومته من حيث موقعه بين المصنفات الأخرى المثيلة له في الفحوى .

وقد سار التحقيق على وتيرة واحدة ، بصفة عامة ، من ألف العمل إلى يائه . ولغتُه سليمة . والدقة في الضبط بالشكل تثير الإعجاب ، وتذكر بدقة كبار المحققين أمثال محمود شاكر ، وعبدالسلام هارون ، وأبي الفضل إبراهيم ، وإحسان عباس ، وعلي البَجَاوي وحمد الجاسر ، لأن الالتزام بهذا الأمر في كتاب بهذا الحجم في غاية الاستعصاء ، كما لا يخفى . إنه لعمل حقيق بنيل رضا المختصين من العلماء وتقديرهم .

ولأن الكمال للواحد الديان سبحانه وحده فلم يخل هذا التحقيق ، كأيّ عمل بشريٍّ ، وإن أُتقن ، من يسير مآخذَ أبرَزُها :

** أغفلت المحققة الإشارة إلى تحقيق د. إبراهيم الكيلاني للبصائر ، وهو منشور قبل نحو ربع قرن من نشر نشرتها ، في ثلاثة مجلدات ، وبخط أوضح كثيراً منها . وكان يحسن الحديث عنها في المقدمة ، وإن لم تَرْقَ إلى مستوى تحقيق د. وداد ، وعن محاسنها وأوجه القصور التي ستتلافاها المحققة ، ومايضيفه التحقيق المكرر من قيمة وجدوى . وكذلك الشأن في تحقيق كل من أحمد أمين والسيدّ صقر للقسم الأول المنشور منذ ٣٤عامًا ، وتحقيق عبدالرزاق مُحْيي الدين للجزء الأول أيضًا المنشور منذ ثلاثين عامًا . وقد ذكرت المحققة هذه التحقيقات في (مصادر الدراسة والتحقيق) ص٣٣٦ من (الفهارس) ، وما من شكٍّ أنها أفادت منها بعض الإفادة ، خاصة عمل الدكتور الكيلاني .

** يلحظ عدم تخريج كثير من الأحاديث . وهذه أمثلة عشوائية ، وغيرها كثير جداً :

١/ ١٥ رقم ٢١-٨٤ رقم ٢٤٠-١١٤ رقم ٣٢٤-١٢١ رقم ٣٥٠-١٣٣ رقم ٤٠٢-١٤٩ رقم ٤٥٩ و ٩/٩ رقم ١-٢١ . رقم ٤٩ و ٥٢-٢٣ رقم ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ .

أو تخريج بعضها من مصادر أدبية فقط ، وعدم تبيان حال الحديث ودرجته من الصحة والحسن والضعف وغيرها كما في : ١/ ١١ رقم ١-٢٨ رقم ٦٣-٦١ رقم ١٦٢ .

كما يلحظ إغفال كثير من الأشعار وعدم تخريجها . وينظر لما لم يُخَرَّج على سبيل المثال لا الحصر : ١/ ٩٧ و ٩٨ (الأبيات) - ١٠١ رقم ٢٩١-١٠٢ رقم ٢٩٣-٢٩٤-٢٩٧-٢٩٨-١٠٤ رقم ٣٠٠-١٢٤ رقم ٣٦١-١٣٩ رقم ٤٢٦-١٣٨ رقم ٤٢٠-١٤٠ رقم ٤٢٩-١٤٤ رقم ٤٤٣ . وهي أمثلة من ١٤٤ صفحة فقط مما يَشي بكثرة الشعر غير المُخَرَّج .

ومن (الأمثال العربية) التَي لم تُخَرَّجْ ، وهي أقل مما لم يُخَرَّج من سواها المثل رقم ٥٥٥ في ١/ ١٧٦ .

على أن المحققة الفاضلة ربما تحاشت إثقال هذا السِّفْر الضخم بالحواشي وهو عذر لا يخلو من وجاهة ، وربما لمَا يتطلبه ذلك من المزيد من البحث الذي يتطلب ، بدورهَ ، وقتًا طويلاً ربما دعا إلى تأجيل نشر العمل .

** هناك مواطن تفتقر إلى تعليقات أو تعديلات . ومنها نسبة الرجز في ١/ ٩٨ للفرزدق ، والسقط المتوقع في ١/ ٢٢٥ (النادرة رقم ٧٠٣) حيث ورد "الدميم بالدال غير معجمة - هي القصَر والقبح" ، ولا بد أن ثمة سقطًا هو (من الدَّمامة) ، وآخر بيت في ٢/ ٢٠٢ (الباذلين إذا ما الثُّقْل أعدمهم) كلمة (الثقل) هنا قلقة والأولى نقل ما في الحاشية وهي (البقل) إلى المتن ، والإشارة إلى (الثقل) في الحاشية . وفي ٢/ ٢٢٥ (آخر جملة) : يرضيه أقل مما يسخطه ، والوجه أن يثبت في المتن ماجاء في نسخة ح التي أشير إليها في الحاشية "ما يرضيه . . " .

وفي ١/ ٢٢٩ "قد حرمتينا" إشباع كسرة تاء المخاطبة لغة ضعيفة ، والأشهر : حَرَمْتِنا ، كما هو معلوم ، فالأفضل التعليق .

وفي ٢/ ١٦١ : ما المرأة ؟ قال : مسح وخسران . لعلها (ربح وخسران) فكلمة (مسح) عَسُرَ عليَّ توجيهها .

وفي ٢/ ١٦٨ قول منسوب إلى عمر رضي الله عنه "يهلك العرب إذا انقطع عنهم تقوى الإسلام وحمية الجاهلية" . وهذا لا يصدر من الفاروق عليه رضوان الله . فأين التعليق ؟ أيُتَصَوَّر أن يميل عمر إلى التمسك بالحمية الجاهلية التي استأصل شأفتها الإسلام ؟ أي معتوه سيصدق ذلك ؟ . وفي ٢/ ٢٤٢ س٣ كتب بشار

ابن برد المرعث والصحيح (ابا المرعث) ، وهو ما أثبت في نسخة ح في الحاشية ، فلينقل ما سقطت منه (إلى) إلى الحاشية ، ولترفع (إلى) إلى المتن .

** البصائر والذخائر كنز من جواهر الحكم والطرائف والفوائد ذات النفع الجلل من مختلف الأوجه ، وليس يعكر سعادة قارئه الجادّ إلا تلك النوادر التي هي غايةٌ في الفحش، وأحيانا القذارة، بحيث تخلّ بمروءة الرجل الكريم، وتذهب بوقار العلم ، وتهبط بالذوق إلى أسفل سافلين عوض أن ترقى به كما هي غاية الأدب الرفيع .

وكان ينبغي ، في رأيي ، التخلص من تلك السخائف ، أو على الأقل ، أفحشها وأقذرها، لأنها، والله ، عديمة النفع ، فإن هي إلا بثور في صحيفة وجه هذا العمل العلمي الجليل . ومنها على سبيل المثال ١/ ٩٦-٩٧ (رقم ٢٧٠-٢٧٤ وهذه نوادر جامعة بين القذارة والشذوذ الجنوني القبيح) - ١/ ١٦٧ (رقم ٥١٩ و ٥٢١) - ١/ ١٨١ (رقم ٥٧٣) - ١/ ١٩٩ (رقم ٦٠٩) - ٤/ ٥٣ (رقم ١١٩) - ٤/ ٥٤ (رقم ١٢٣) .

وبعضها يَمَسُّ أثمن ما لدى المؤمن ألا وهي عقيدته ، كأن يكون فيها استخفاف بالذكر الحكيم أو بآية منه ، أو بأمر ذي صلة بالدين ، وإن جاء ذلك على لسان مُحَمَّق أو شخص ذي جِنّة، كما في ٤/ ٤١ (رقم ٦٧) - ٤/ ٤٣ (رقم ٧٤) - ٤/ ٤٦ (رقم ٨٥) - ٤/ ٤٨ (رقم ٩٥) - ٤/ ٥٠ (رقم ١٠٥ و ١٠٦) .

وقد أخذ التوحيديَّ بعضُ علماء عصره على الإفراط في الهزل ومزجه بالعلم الجاد ، وإدراج النوادر الملهية ، والألفاظ السخيفة ، والمعاني المهجورة . (ينظر حديث المحققة نفسها عن ذلك في ٩/ ٢٤١-٢٤٢) .

وقد دأب بعض المحققين على حذف بعض الألفاظ والعبارات المستهجنة ، ولو من حيث الذوق السليم وحسب، ووضع نقط محلها . وكاتب هذه السطور على علم بأن حذف كل مافيه مايوجب حذفه سيخلّ بالكتاب، ولذلك خَصَّ الأقذر منه والأشنع .

وليس بغائب عن بال كاتب هذه السطور أيضا القدسية التي بات يخلعها كثيرٌ من الأكاديميين بغباء مُتَدَثِّر بِبُردة الرُّوح العلمية على (كافة) مافي التراثَ بدعوى الأمانة العلمية ، واحترام الأثر المحقق ، والمحافظة عليه كما ألفه مؤلفه ، إلى غير ذلك، حتى ماقاد إلى الكفر، أو جَمَّل الفسوق والفجور والعصيان .

لكن على المسلم أن يتقي الله ويعرض ما في هذا التراث، أولاً وقبل كل شيء، على معيار الدين والعقيدة، فإن خالفهما فعلينا تصفية التراث منه ودَفْنُهُ. وعلينا ألا نقدّم الأمانة العلمية على الواجب الدِّينيّ والخلقيّ.

** من الأخطاء في الضبط مايلي ، على سبيل المثال ، وهي قليلة جداً جداً بالنظر إلى حجم الكتاب :

الجزء	الصفحة	رقم المادة أو السطر	الخطأ	الصواب
١	٥٧	١٤٧	الصَّلْيَان (مكررة)	الصِّلِّيَان
	٧٠	١٩٤	فَعَمُلَ	فَعُمِل
	٧٦	٢١٥	الثمره	التمَره
	١٢٢	٣٥٦	مَنْفَس ، والمنْفَس	مُنْفِس ، والمُنْفِس
	١٨١	٥٥٩ (س٦ من الآخر)	أنت طالق إن دخلت الدار وأنت طالق إن دخلتِ الدار	في (الجملة الثانية) الصواب (دَخَلْتُ)
	١٨٣	س٨	وانزل	وأنزل
	٢٤١	٧٧ (البيت الأخير)	يُزَي	
٢	٣٩	٩٢ (س١)	الضرع - بكسر الضاد -	
	١٧٦	٥٦٣ (س٦)	اللَّه	اَللهَ
	١٩٦	٦٢١	الطَّلبة	الطِّلْبَة
	٢٣١	٧٠٤	الجُهال (بتشديد الجيم)	

** عدم تفسير بعض الغريب . أمثلة : الحوض ١/ ٢٥ و ٢٦ (رقم ٥٦) - المسنّاة ١/ ٥٥ (رقم ١٣٩ البيت الأخير) - المستغلات ١/ ٩٦ (رقم ٢٧١) ضفتّه ١/ ١١٦ (رقم ٣٣٠) - خلنجبين ١/ ١٧٦ (رقم ٥٧٢) - بيض الشلقة ١/ ٢١٥ (رقم ٦٦١) - طيارة ١/ ٢٢٤ (رقم ٦٩٩) المُستَحنفر ١/ ١٩١ (رقم ٥٧١) - النّاطل ١/ ١٩١ (رقم ٥٨١) - يكلف ١/ ١٩٧ (رقم ٥٩٦ آخر البيت) - نَحل الصحابة ١/ ٢٠٦ (رقم ٦٣) - حُلاق ١/ ٢٣ (رقم ٧٢٢) - قرطم ٣/ ٨٩ (رقم ٢٨٦) .

وأخيرا فهذه الملاحظات لاتُعدُّ شيئًا موازنةً بما أنجزته المحققة الفاضلة ، وما حلّته من ألغاز الخطوط العسيرة ، والألفاظ المبهمة ، بحيث أضحى هذا العمل أمام عين القارئ جليّاً ناصع البيان ، وما أعادت إليه رونقه وبهاءه وأصله من مئات الجمل والعبارات الركيكة والمستغلقة على الفهم .

إن هذا التحقيق لينطق مُفصحًا بالقدر الجلل من الخدمة التي أولتها المحققة هذا الكتاب ، والجهد الهائل الذي والت المثابرة عليه ، فهو كتاب ضخم ذو تسعة أجزاء (خلا جزء الفهارس) ضَمَّ مايستعصي حصره من الألفاظ والأعلام والأقوال والأشعار . . إلخ ، وهو بحر من المعرفة أحسنت المحققة الكريمة أيّما إحسان بتقديه للمكتبة الإسلامية على هذه الهيئة من الإتقان .

وبإجمال : هذا تحقيق غاية في (العلمية) والدقة والاستيفاء .

٢ - بديع الزمان الهمذاني ورؤيته الإجتماعية والسياسية

Badi az-Zaman al-Hamadhani and his Social and Political Vision :

(بحث منشور في Literary Heritage of Classical Islam :

قامت د . القاضي بدراسة مايُنيِّفُ على ثلاثمائة من رسائل بديع الزمان الهمذاني بصبر وأناة وتمعن شديد معتصرة منها بتُؤدَة العديد من الأفكار والآراء ، وربطت بينها مؤلِّفَةً بين الشيء وشبيهه بمقدرة علمية فائقة .

وقد بدأت بالحديث عن حياة الهمذاني المبكرة ، وألمت بترحله ، وهو شاب ، في همذان إلى الريّ ثم جُرْجان ونيسابور وسَرَخْس وبُوشَنْج وهَرَاة ، متعرضة لأسباب تركه معظم هذه الديار ، وجُلُّها تدور حول حسد الأقران وغيرتهم مما حبا الله البديع من علم عميق ، فيأخذون في تشويه صورته بالأقاويل المختلَقَة التي يصغي لها ، أحيانًا ، الحكام والولاة .

وتحدثت عن لقائه بالخوارزمي في نيسابور ، وعن عدم توافق شخصيَّتَيْهما ، وذكرت أن مناظرة تمت بينهما شملت فنونًا من علومَ اللغة ، إلى جانب الحفظ ، وكان الفوز فيها حليف صاحبنا .

وبدراسة رسائل البديع تجلى للكاتبة أن شخصيته يحددها معياران أساسيان : العلم والدين (ص٢٠٢ ومابعدها) . ولحظت اعتداد البديع بنفسه ومقدرته الكتابية وكرامته (٢٠٨-٢٠٩) .

وتمكنت الباحثة الفاضلة من استخلاص آراء له عن عدد من الفئات الاجتماعية في عصره ، وأدهشها ما أُوتيَ من رؤية سياسية متفوقة لمجتمعه ، ولحظت أن جُلَّ نصائحه ميممة صوب السياسيين والحكام الذين يميلون ، بسبب قوة نفوذهم ، إلى عدم الاعتدال ، والسأم ممن يخدمهم ، وعدم الاستجابة لمطالب رعاياهم ، لما يداخل نفوسهم من زَهْو وعُجْب . وذكرت وصفه لبعض نقائص الولاة الحاكمينَ ، ونصحه إياهم ، إن أرادوا الصلاح ، بإدراك أمرين هما : خطورة موقعهم ، والتَّبِعَة الجُلّى التي يحملونها بقبولهم تولّي هذا الأمر ، وأن اللهَ سيسألهم غدًا عن أعمال ولاتهم ورجالهم ، وضرورة حسن اختيار الحاشية والمجالسين من العلماء (ص ٢١٣) ، ولزوم العدل والاستنجاد بالله ، ومزج اللين بالحزم . وبخصوص العدل فإن الهمذاني يؤكد ضرورة الأخذ به ، فما من عمل أسوأ وأجلب لغضب الله تعالى ، بعد الشرك ، من نصر حاكم جائر وتقوية سلطانه (٢١٣) ، وعلى الحاكم أن يخشى الله ، ويعلم أن عزله ممكن ، وأن يَعْدِلَ في فرض المُكوس ، وأن يتعلم من دُروس التاريخ (ص ٢١٦) .

وتحدثت الكاتبة عن رأي الهمذاني في العلماء ، ولحظت أن ماقاله فيهم ذو صلة ، على نحو أو آخر ، بعلاقتهم بالفئة الآنفة الذكر ، واستنتجت أنّ الهمذاني أدرك خطر دورهم بصفتهم الرابطة بين العامة والحكام .

وتطرقت إلى إجابة الهمذاني على سؤال أَبْديَ هو : أينبغي للمرء ، ولاسيما العالم والأديب ، أن يرتبطَ بالحاكم ؟

والجواب يأتي سلبيّاً ، ذلك ، كما لحظت الكاتبة ، بسبب تجربة الكاتب غير السعيدة مع الحكام .

والهمذاني يرى أن العلماء مساوون للساسة في المنزلة لأن في يدهم (سلطان العلم) ، والسياسي ينتفع من العالِم الذي خدمه أكثر مما ينتفع منه العالمُ ، ولذلك فإنهما يَجب أن يكونا على قدم المساواة حتى في أسلوب خطاب كلٍّ منهما للآخر .

لكن الهمذاني يدرك أن هذا عَمَليّاً يتلاشى ، فالعالمُ ينظر إليه في الواقع الحياتي المعاش على أنه أدنى شأناً مَن السياسي، لأنه يحتاج إلى السياسيِّ ولا يحتاج السياسي إليه ، وبإمكان السياسيِّ إبقاؤه لديه أو التخلص منه . ولهذا ينصح الهمذاني العالمَ الذي يود الاحتكاك بالساسة بأن يراوغ في تعامله معهم حتى لا يثير سخطهم ، وأن يُلجم لسانه في حضرتهم (٢١٩) .

ونقلت الباحثة الفاضلة تصوير الهمذاني لفئتين أُخْرَيَيْن هما القضاة والكُتّاب . وقد ذمهما معًا ووصمهما بأن ليس لكل منهما من التسمية إلا ظاهرها ، واتهمهما بالاعتناء بالمظهر دونَ الجوهر . وهو وصفٌ لطيفٌ ممتع (ص ٢٢٠-٢٢١) .

ومجمل القول أن الكاتبة تمكنت أن تستخلص من رسائل بديع الزمان الهمذاني سيرةً ذاتيةً تقول الكثير عن حياة حافلة بالنشاط ، كما تقول ، قُضِيَتْ في تحصيل المعرفة ونشرِها بالدرس والتجربة ، وهيكلاً فكرياً قائمًا على الدين والعلم حيث الفكرُ يباري العملَ والفعلُ القولَ .

وتصل الباحثة إلى أنّ ما آل إليه الهمذاني في حياته هو مزيجٌ نادرٌ من خصال مختلفة وبعضها متناقضةٌ (مثالية وواقعية . ظرف وغيظ . زهو وتواضع . . إلخ) صُبَّت كلها في قالب واحد فشكلت عالمًا غزير الاطلاع ، وفنَّانًا ذا إبداع حقيقيّ ، ومفكرًا مُتَبَصِّرًا مشاركا في شؤون مجتمعه . وقد استطاعت الباحثة تحقيق الغايات الثلاث التي حددتها في صدر بحثها وهي :

١ - إعادة بناء سيرة بديع الزمان من خلال رسائله .

٢ - فحص مكونات فكره التي جعلته يرى الأشياء كما يراها ، ويحكم على الناس كما حكم عليهم ، ويسلك السبيل التي سلك .

٣ - إبراز نظرته إلى مجتمعه بفئاته المتعددة وأوجه نشاطه وأدواره . . إلخ . وكيف أسهم في (تشخيص) مشكلاته ونقائصه ، واقْتَرَحَ حلولاً لها .

٣ - معاجم التراجم : البناء الداخلي والقيمة الثقافية :

Biographical Dictionaries : Inner Structure and Cultural Signifcance .

(بحث منشور في The Book in the Islamic World الذي نشرته دار Suny Press في نيويورك عام ١٩٨٨م) :

عالجت الدكتورة وداد القاضي معاجم التراجم بنوعيها العامة والمحددة (الأول مثل الوافي بالوفيات، وشذرات الذهب ، والثاني مثل طبقات المفسرين ، وتهذيب الكمال، وطبقات الفقهاء) ، ودرست تاريخ ظهور كل من هذين الصنفين ، ونظرت في الكيفية التي عكست بها تلك المعاجم بعض سمات التطور الفكري والثقافي للمجتمع المسلم في القرون التسعة الأولى من الحضارة الإسلامية ، وبينت طريقة مختلف المعاجم في تنظيم موادها .

وقد اعتنت الكاتبة اعتناء خاصّاً بعملين رائدين هما كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، ولحظت اهتمام فن التراجم بحقلي الشعر والعلم الديني (مع طبقة مستترة ، كما قالت ، من التاريخ)، واستشفت في ذلك إشارة إلى تقدم الشعر والعلم الديني إلى الواجهة كمعيارين أساسيين حين كانت تلك الحضارة آخذةً في تشكيل ذاتها في بُداءة القرن الثالث .

ووجدت الباحثة أن معاجم التراجم التي أُلِّفت في الأربعة القرون الأولى ، على الأقل ، كانت من النوع الثاني (المحدد) لا الأول (العام) الذي بدأ متأخراً (ص ١٥ و ١٦)، وتطرقت إلى كتابة (الذيول) التي بدأت أيضًا متأخرة .

وخلاصة البحث أن فن معاجم التراجم إنما ظهر لما أخذت هوية الحضارة الإسلامية تتبلور ، وهي هوية دينية أساسًا بها مَسَّةٌ لغوية (عربية قرآنية) وشعرية . وبدأت معاجم تراجم رجال الحديث على نحو غير متخصص ، لكن في الجيل التالي ، جيل أحمد بن حنبل والبخاري ، برز رواة الحديث بصفتهم فئة متخصصة (ومنتصرة) فبدأت سلسلة معاجم التراجم عنهم منذ ذلك الجيل فما بعده (ص ٢٨) . كما بدأ الفقهاء أيضًا بعد ذلك بقليل في البروز كفئة متخصصة . . لكن ظهور معاجم لهم تأخر حتى تأسست المدارس الفقهية واتضحت صورة كل منها في أواخر القرن الرابع (ص ٢٨ أيضًا) . ثم أخذت تظهر تراجم لجماعات أخرى بعد تَبَيُّن هويتها تَبَيُّناً جليّاً ، فظهرت تراجم عن رجال الشيعة في النصف الأخير من القرن الرابع بعد اختفاء الإمام الثاني عشر بنحو قرن (انظر ص ٢٨ أيضًا) .

أما معاجم تراجم المدُن فكان ظهورها متَّصلاً ببروز بعض المدن نفسها بصفتها حواجَز إقليمية لبعض الأُسَر شبه المستقلة ، نتيجة لضعف السلطة المركزيةَ ، فنشأت كتب تعنى بمشاهير عدة مدن (بغداد . دمشق . القاهرة . حلب . جرجان . هرات . نيسابور إصفهان . غرناطة . بَجَاية . . . وهكذا) .

وحول تراجم رجال المدن هنالك أمران ، كما تقول الكاتبة ، يستحقان الذكر :

أ – أنها لم تبدأ في الظهور بجلاء حتى القرن الرابع .

ب – أن أوائل إنتاجات هذا الضرب ، وهما تاريخ بُخَارى للنَّرْشَخي ، وطبقات علماء إفريقية وتونس لأبي يَعْرُب تميم ، لم يكونا عن أي مركز من مراكز التعليم الكبرى في قلب أراضي الخلافة (دمشق . بغداد . قرطبة . القاهرة) بل عن مدن إسلامية أنأى وأدنى مركزية .

وتستدل الكاتبة من هذين الأمرين على أن «فرع تاريخ المدن» بدأ غير مبكر ، بل مع ابتداء وهن الخلافة المركزية ، وبزوغ مراكز أخرى للسلطة السياسية في الدولة الإسلامية .

والبحث أصيل ، جيد التوثيق ، أشبع الموضوع درسًا وتحليلاً ، ذو لغة ناصعة ، وأسلوب مُشْرِق ، مع سلامة من الأخطاء تستدعي الإعجاب ، ودقةً مبهجَة ، فحتى الأخطاء التطبيقية التي عم بلاؤها لا نصادفُ فيه منها إلا ما يلي :

ص	س	خطـــأ	صـــواب
٢	١٦	which	whic
٣	٨ (من أسفل)	our	out
٧	٢	Muzammad	Muhammad
٧	١٢ (من أسفل)	al-Mutrada	al-Murtada
٨	٦	only the news	only with the news
٩	٦	Sijah	Sajah
١٠	١١	sabiqahh	sabiqah
١٠	١٩	crierion	criterion
١١	١٤	crierion	criterion
٢١	٥ (من أسفل)	in that begins	in that it begins
٢٢	٦ (من أسفل)	qutubah	qurtubah
٢٣	٨ (من أسفل)	it is nor	it is not
٢٥	١٢ (من أسفل)	fisrt	first
٢٩	١٧ (من أسفل)	widesread	widespread

٤ – بشر بن أبي كُبَار : نموذج من النثر الفني المبكر في اليمن (بيروت : دار الغرب الإسلامي . ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

بعد أن تحدثت الكاتبة عن حال اليمن في عهد المترجم له سياسياً وثقافياً في الفصل الأول الذي استغرق نحو ربع الكتاب ، عَرَّفت بِبِشْرٍ في الفصل الثاني ،

وتحدثت عن نشأته الأولى وخدمته الدولة، مهتدية إلى ذلك من رسائله.

ثم تطرقت إلى فكره السياسيّ (ص ٧٦)، وأفاضت في الحديث عن المزايا التي يجب أن تجتمع في الوالي، في رأي بشر (ص٧٧)، وقوله بأن الوالي مسؤول عن اختيار البطانة الصالحة (ص ٧٦)، ثم وصلت إلى مسألة موقع الخلافة في فكره، وتبيّن لها أن رؤيته لها تقوم على أمرين: أنها شرعيةٌ شرعيةً مطلقةً، وأنها صالحة، مبدئياً صلاحًا لا يتطرق إليه شك (ص ٧٩). ثم ناقشت هذين الأمرين (ص ٧٩ - ٨٠) وتطرقت بعد ذلك إلى رأيه في الثورات على السلطة، ووجدته معارضًا لها (ص ٨٠). ثم تحدثت عن جرأته في إعلان ما لا يتفق مع موقفه، وأخلاقيته المثالية إلى درجة كبيرة (ص ٨٤)، وثباته على المبدأ، وصراحته في الحق بحيث لا يخشى في الله لومة لائم (٨٤ - ٨٥).

ودرست رسائل البلويّ، في الفصل الثالث (٨٧ - ١٤٨) محاولة توثيقها، والنظر فيها نظراً فنّياً، وتحديد معالمها وأهمها: قصرُها، وقصرُ عباراتها، وقيام أسلوبها على الازدواج (٩٧)، وتضمين مؤلفها الآيات بنصوصها، أو اقتباسها بعد تحويرها، وهو ما سُمّي (اختلاس القرآن)، (ص ٩٩ - ١٠٨)، وإحكام بنائها إحكامًا تامًا في بنيتها الخارجية والداخلية (١٠٩) ولاحظت المؤلفة التباعد الكبير بين البنية البسيطة الخارجية للرسالة وبنيتها الداخلية.. ومَضَتْ من التعميم إلى دراسة نماذج من الرسائل واسْتَنْتَجَتْ منها منهجه في الكتاب.

وفي الخاتمة (ص ١٤٩ - ١٥٢) تشير المؤلفة إلى تميز نثر البلوي بالإيجاز، وبنائه على الازدواج، كما ذكر. وإلى أن لرسائله بنيةً خارجيةً بسيطةً ذاتَ وحدات ثلاث: تقديم، وصُلْب موضوع (قصة)، وخاتمة، وبنيةً داخليّة فيها تعقيد لبناء الموضوع على (الثنائية) أو الازدواج (ثم بناء بُنًى فوقية من وسائل التعبير المختلفة حتى تصل البنية الداخلية إلى التركيب السَّرْديّ الحواري فالمسرحي فالكوميدي المأسوي معًا) (ص ١٥٠).

كما تجد أن البلويّ يمثل مرحلةً وسطًا بين عبدالحميد الكاتب والجاحظ في بناء الرسالة النثرية الفنية (ص ١٥١)، وأنه صاحب أسلوب متفرد في بعض النواحي كاختلاس القرآن وبنائه على الثنائية المستمرة (ص ١٥١).

ثم ألحقت المؤلفة بالكتاب الرسائل وعددها سبع عشرة (ص ١٥٣ - ١٨٨) مضبوطةً بالشكل، مفسَّرةَ الغريب، مُخَرَّجَةَ الآيات. وتبع ذلك فهارسُ تفصيلية للكتاب.

والعمل ذو لغة سليمة من الخطأ والتعقيد والركاكة، ولم ألحظ من الأخطاء التطبيعية سوى اثنين أحدهما ص٣٤ س٦: (ستّاً من ولاة اليمن)، وص ٨٩ س ٣ من الأسفل من غير الحاشية: يبلغون سَبْعا.

وهو، شأنه شأن كتابات مؤلفته كافةً، متسم بروح البحث العلمي الجادّ، وذو نفع، في موضوعه، على صغره، وقد سَدَّ ثُلمةً في بابه.

٥ - مفهوم الفتنة وصورها في أدب عبدالحميد الكاتب:

هذا بُحَيْثٌ تتبعت فيه وداد القاضي استخدام عبدالحميد الكاتب لكلمة (الفتنة)، وذلك من أجل غايتين: غاية لغويّة تاريخيّة، وغاية أدبيّة تاريخيّة (ص٣٣٩)، وكانَ من هدفِ البحثِ إبراز دورِ عبدالحميد الكاتب في صياغة مفهوم الفتنة (ص٣٣٩ أيضًا). ووجدت أن للفتنة لونًا سلبيّاً (ص٣٤٠) وأنها موازية للشرّ وسوء السيرة والفساد (ص٣٤١)، وأشارت إلى تصور عبدالحميد والأمويين للفتنة بأنها، في نظرهم، حالُ مروق من الدِّين (٣٤٢).

وتصل إلى أن مفهوم الفتنة لدى عبدالحميد في زمانه مفهوم مركب يضم عددًا من المفاهيم هي: المعصية، والفرقة، والمروق من الدين، والخروج من جماعة المسلمين... إلخ (ص ٣٤٤)، وهي مفاهيم تطورت عن المعنى الأصلي للكلمة.

وتجلى من الدراسة هذه لكاتبتها أن عبدالحميد لا يَسِمُ أحدًا بالفتنة ما لم يَثُرْ عَلَنًا على الخليفة، كالضحاك

ابن قيس ، مهما كثر لغطه في الدين (ص ٣٤٤ أيضًا) .

وأطالت الكلام نسبيًا على ربط عبدالحميد بين الشيطان والفتنة (ص ٣٤٥ وما بعدها)، وقالت : إن استغلال عبدالحميد صورة الشيطان في القرآن لتصوير (الفتنة) إنما يدل على رغبته في إظهار مكان الفتنة الهدام في المجتمع الإسلامي .

وخلصت الكاتبة إلى أن (صورة الفتنة عند عبدالحميد الكاتب ناتجة عن أن الفتنة في نظره جزء لا يتجزأ من بنية فكرية كاملة متكاملة) سَمَّتها (أيديولوجية السلطة) وهو تصورٌ ، نَسَجَ عبدالحميد خيوطه لأول مرة في التاريخ الإسلامي (٣٥٩ أيضًا) .

وهذه (الورقة) سليمة اللغة ، ناجية من الأخطاء بمختلف ألوانها، نَقَلَتْ بأسلوب جيد واضح الأفكارَ التي شاءت كاتبتها نقلها إلى القارئ عن موضوعها .

٦ - الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي / تحقيق (بيروت : دار الثقافة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م)

اتسم تحقيق هذا الكتاب بما عودتنا الدكتورة وداد من إتقان ودقة تامَّين ، واستيفاء لمتطلبات التحقيق ، كما رأينا في تحقيقها للبصائر والذخائر للمؤلف نفسه .

وقد تحققت من نسبة الكتاب لمؤلفه (ص٥-٦) ، ومن اسمه (ص٨) وتاريخ كتابته (ص٩) ولمن كُتب (ص٩ أيضًا) . ثم عالجت بناء الكتاب في سبع صفحات (ص١١-١٨) متعرضة لمنهج المؤلف في كتابته ، وأساليبه في مخاطبة من يوجه إليه رسائله ، ولحظت أن حديثه إليه يتراوح بين اللين والشدة حسب التفاوت في حالات أبي حيان النفسية (ص١٣) وتوجهه إلى المناجاة (ص١٤) . ولاحظت أن المناجاة والأدعية عنصر مشترك بين الرسائل الموجهة إلى (المريد الصغير) وتلك الرسائل الموجهة إلى (القطب الكبير) .

وتبين للمحققة الفاضلة أن ذلك (الصاحب) الذي يخاطبه أبو حيان في رسائله في (الإشارات) هو (الإنسان) عامة ، و (هو أيضًا ذلك الشقّ من أبي حيان نفسه الذي لم يستطع أن يرتفع بصاحبه عن الدنيا وشهواتها ليجعله دَيِّنًا فاضلا وصافيا في علاقته مع الله، هو قَرِينُهُ : «قرين السوء لديه . . .» (ص ١٦) .

كما تبين لها أن (الشيخ الصوفي) إنما هو رمز "للموقف الأسمى" أو "الشخص الأفضل" الذي يطمح إليه المؤلف .

ثم تحدثت عن (الإشارات) في الأدب الصوفي (ص١٦-٢٢) مشيرة إلى تأثر أبي حيان ببعضها من حيث الأسلوب (أسلوب التولد في العبارة)، والميل إلى إيراد الحدود والتعريفات، وحض المخاطب عن طريق السؤال، واعتراض الخطاب بالدعاء للمخاطب والمتكلم معًا، والترادف والتقابل والتفريع والتشقيق والسجع، وإدخال المناجاة وسط الخطاب، وافتراض وجود مخاطب يشار إليه - «يا أخي» (ص١٩-٢٠) . وحاولت تفسير ما يعنيه التوحيدي بكلمة (الإشارة) (ص٢٠) .

واعتمدت المحققة في تحقيقها لهذا الكتاب على مخطوطتين، إلى جانب التحقيق الذي قام به د. عبدالرحمن بدوي للكتاب، ونشره في القاهرة سنة ١٩٥٠ ، وإليه كانت الكاتبة تشير بلفظ «المطبوعة» .

وقد جاء عمل المحققة، كما أسلفت ، من الدقة بمكان ، سليمًا من الأخطاء على اختلاف أنواعها اللهم إلا في النادر جدًا ، والنادر لا حكم له ، كما في ص ٨ (على آفات)، وكسقوط الهمزات كثيرًا .

وإنه ليس من رأي كاتب هذه السطور نشر الإنتاج الفكري الصوفي لما حفل به من شطحات ربما أدت إلى الكفر لدى غلاة الصوفية كالقول بالحُلُول ، نعوذ بالله من ذلك ، ومن شطحات عند سواهم فيها، وإن لم تصل إلى هذا الحد، من المضمون ما يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة . ومن ذلك على سبيل المثال حديث صاحبنا عن (الرجل المتصوف الذي ارتفع عن البشر واقترب من الوصول إلى الله) وعن (رفع الحجاب ص٢١ س٣) ، وعن ارتفاع الخلق عن كونهم خَلْقًا ! (ص٨ س ٨) ، وعن كون المخاطب (في مناط الربوبية)!

(ص ٣ س ٦) ، وعن وصف الحق سبحانه وتعالى بأنه (مصافي الأخيار ، ومُدَاري الأشرار) (ص ١ س٢) وماهذه إلا أمثلة قليلة من كثيرٍ .

لكن هذا الرأي لن يتدخل في التقليل من عمل المحققة المتحدث عن نفسه لكل مطالع في الكتاب متصف بالحَيْدة .

٧ - رسائل رسمية إسلامية قديمة : مَسألة الصِّحة

Early Islamic State Letters: The Question of Authenticity :

تعالج الدكتورة وداد القاضي في هذا البحث المنشور بالإنجليزية رسائل عبدالحميد الكاتب صاحب الديوان في العصر الأموي (ت سنة ١٣٢هـ مع سقوط الدولة الأموية) وعددها أربعون . معتمدة على الطبعة التي نشرها إحسان عباس لها بعنوان (عبدالحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلاء - عمّان سنة ١٩٨٨م) .

يتميز هذا البحث بتناول كاتبته (مُشكلتَه) من مختلف جوانبها مع ذكر أي اعتراض متوقع أو مفترض والقيام بالرد عليه ، مع استيفاء تامٍّ لمعالجة الموضوع بجدية وحيدة ، واستقصاء للمصادر وانتفاع بها ، ودقة شديدة ، وقوة لغة ، ومتانة جُمَلٍ ، والتزام بمنهج واحد بيِّنٍ في استخدام المصادر .

وقد توصلت إلى الجزم بصحة نسبة الرسائل المدروسة إلى من نسبت إليه .

٨ - وثيقة فاطمية سياسية قديمة :

An Early Fatimed Political Document :

ناقشت د . القاضي وثيقة فاطمية تُدْعَى بالعهد ضمنها النعمان بن محمد بن حَيُّون (ت سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٤م) في عهد الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله كتابه المدعوّ (دعائم الإسلام) وباتت بمثابة دستور للدولة الفاطمية .

تميز البحث بالدقة ، ووفرة المصادر والمراجع ، واستيفاء المعالجة ، وقوة اللغة والأسلوب ، والتزام الحيدة التامة ، والمناقشة الفياضة .

وقد فندت نسبة (العهد) إلى علي رضي الله عنه ، مُمَحِّصَةً الدلائل الخارجية على عدم صحة تلك النسبة ، ثم الدلائل الداخلية من نَصِّ الوثيقة عينه بالموازنة بين روايتين له إحداهما في كتاب (دعائم الإسلام) والأخرى في (نهج البلاغة) . وقد اتضح حذف الكثير من العبارات والألفاظ التي توحي بأن (العهد) كتب في عهد متأخر لإيهام الناس بأنه من كلام علي . كما استدلت الكاتبة على زيف النسبة بطول (العهد) على خلاف ما جرت العادة به في عهد علي ، ودقة التفاصيل والتنظيم فيه . . . إلخ (تنظر ص ٨٦) .

واستدلت بأدلة قوية على أن الأرجح أن (العهد) كتب بإيحاء من عبدالله المهدي إمام الفاطميين في المغرب في القرن الثالث الهجري . وسواء أصَحَّ ترجيحها أم لم يصحّ فقد عالجت الدكتورة وداد القاضي موضوعها معالجة علمية تشد أزرها حُجَجٌ واستنتاجات مقنعة تَنِمّ عن درس جدِّيٍّ للموضوع ، وطويلِ تَفَكُّرٍ فيه وتأمُّلٍ لمختلف جوانبه .

٩ - بين الجاحظ وابن زيدون (بحث ألقي في ندوة الذكرى الألفية لميلاد ابن زيدون، المنعقدة في الرباط في الفترة ١٥-٢٢ اكتوبر ١٩٧٥م) :

في هذا البحث قامت وداد القاضي بدرس بعض رسائل كلٍّ من الجاحظ وابن زيدون ، وخاصة الرسائل المتشابهة الموضوعات ، فوازنت بين أسلوب الرجلين ، وأبرزت تأثر ابن زيدون بالجاحظ ، فمثلا استخدم الازدواج كما استخدمه الجاحظ لكنه أضاف إليه الحرص على السجع حرصًا ما كان ملموسًا عند الجاحظ الذي كان سجعه يأتي عفويًا (ص ٦ وما بعدها) .

وبينما كان الجاحظ يقتبس الآيات والأحاديث والأمثال والشعر كان يذكر ما يدل على أنها إما آيات أو أحاديث . . . إلخ أما ابن زيدون فاستحسن دمجها في صياغته حتى لَرُبَّما خَفِي أصل بعضها على بعض الناس (ص٩ ومابعدها) .

وظهر للباحثة أن ابن زيدون (بدأ طريقته من الجاحظ) ثم خالفها تمام المخالفة بتغليب الشكل على المضمون ، والاعتناء بالصِّياغة قبل الفكرة ، فقادته هذه الطريقة إلى التكلف، في حين أدت طريقة الجاحظ به إلى البساطة الأسلوبية (ص ١٢) . ومما جرة نحو التكلف أكثر ، أو قاده للسير فيه قُدُمًا تأثره بالكتابة الديوانية (حيث لا مَعْدَى للكاتب - في زمانه - من تفخيم المخاطب إذا كان أرفع منه رتبة ، فكيف إذا كان ملكًا ؟) ، وكذلك كونه شاعرًا (ص ١٢ أيضًا) يسيطر عليه الشعور بالذات فيكتب لفلان وعلان من الكبراء طالبًا أن يُسْتَخْدَمَ كاتبا لديهم ، ونَحو ذلك من موضوعات بعيدة عما (يُسَخِّر الجاحظ قلمه له) (ص١٦) ، فإحساس الجاحظ بذاته (لا يكاد يظهر مطلقًا في إنتاجه ، أما ابن زيدون فإنه يتحين الفرص للتأكيد على هذه الناحية - ص ٨١ -) ولهذا صلة ببنيته النفسية التي بداخلها زهو شديد (ص ٩١) ، والرجلان مختلفان تمامًا في البنية النفسية فابن زيدون (شاعر مثقف حافظ من ناحية ، وتَيَّاهٌ من ناحية أخرى) و (الجاحظ مفكر فيلسوف متكلم من ناحية ، ومفكر ساخر من ناحية أخرى) (ص٩١) .

ومضت الباحثة في درس نماذج من رسائل هذين العلمين، مستنبطة منها مكونات كل منهما النفسية والخلقية (انظر ص ٣٦ : أما ابن زيدون . . . حتى آخر الفقرة ، وص ٣٧ : أما الجاحظ . . . إلى آخر ص ٣٨) .

كما وازنت بين سمات كل منهما في الأسلوب كالتهويل (ص٤٣) ، مبينة الفرق في استخدام كل منهما له، وأن الجاحظ أبرعهما لاستغلاله التهويل في مجال إسباغ الفضائل الكبرى على الخصم الذي يتحدث عنه هازئًا ، كما إن تهويلات الجاحظ لا إطالة فيها بخلاف تهويلات ابن زيدون .

كما لحظت أن تصوير الجاحظ (أقرب إلى التصوير الكاريكاتوري ، وتصوير ابن زيدون أقرب إلى تصوير المترقب لعدوه ، يعد عليه الخطوات ، فهو جادٌّ ينضح بالحقد ، بينما الجاحظ ساخر يتوخى الضحك ، (ص٤٦) ، كما إن طريقة الجاحظ في (التهديد والوعيد) فيها إطالة تغذيها النزعة إلى اللعب ، وفي طريقة ابن زيدون إطالة تغذيها نزعة في التَّشَفِّي (٤٨) .

وختمت الكاتب بحثها بأن (ذهاب ابن زيدون إلى الانتقائية فيما يأخذه عن الجاحظ) ويحاكيه (باعد الشقة ما بين طريقتي كل منهما) مع أنه منح ابن زيدون تفردًا في الأسلوب النثري ، وتوافقًا أصيلاً بين بنيته الفنية والثقافية والنفسية وبين أدبه بوجه عام (٤٨) .

إنه بحث قيِّم أصيل . تمكنت فيه الكاتبة من استخلاص سمات كل من الأديبين من نظرة داخلية فاحصة لرسائلهما . والأسلوب قوي خال من الضعف والركاكة أو التعقيد .

شيءٌ واحدٌ سلبيٌّ لوحظ على هذا البحث وحده من بين أبحاث وداد القاضي التي سلف الحديث عنها هي كثرة أخطاء التطبيع ، ولن نعددها ضنًّا بالحَيِّز ، وإنما نذكر بعضها (ص٣ س ١ . المرأ - س ١٠ : يسترجح الصواب: يسترجع - ص ٤ س ٤ فعقرب - الصواب: فعقربت - س ٦ الجاز - الصواب: المجاز - س٧ عقاا الصواب: عقالاً - س ٧ أيضًا : الجديدة - الصواب: الجِدِّية (أربعة أخطاء في صفحة واحدة) - ص ٥ س ١٢ : على لسان ابن زيدون - الصواب: على لسان صاحبة ابن زيدون) .

ولكن يبدو أن الباحثة الكريمة لم تتمكن من إلقاء نظرة عليه خلال النشر وقبل ظهوره للعين العامة .

١٠ - مختارات من النثر العربي (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) :

تكمن جودة هذه المختارات في حسن انتقائها وتنظيمها، فقد نَخَلَتْ مُخْتَارَتُها العديد من كتب النثر العربي منذ العصر الأموي حتى العصر الحاضر وصَفَّتْ مادةً تدل على ذوق رفيع وحسن اختيار ، فهي خالية من الصناعة اللفظية المتكلفة ، والسذاجة المعنوية المثبطة ، تجمع بين التثقيف وإعمال الفكر والإمتاع .

وكان وراء عمل وداد القاضي حرصٌ على (إبقاء الوشيجة الطبيعية قائمة بين الشابّ العَرَبيّ والأدب العربي قديمه وحديثه) كما قالت في المقدمة (ص٥)، فَأمَلَتْ أنْ يكون في هذه المادة ردٌّ على ما يروّجه بعض المروّجين من أقاويل تَحُطّ من شأن الأدب والثقافة العربيين، وتعلي من شأن الآداب الأجنبية، ورأت أن الردّ عليهم ينبغي ألا يكون (بانتحاء الجدل النظري) بل (بتقديم أمثال هذه المختارات) (مقدمة - ص ٥).

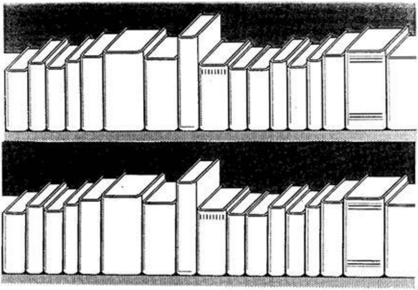
وقد تحققت في المادة، فيما بدا لي، السمات التي اختارتها المؤلفة في ضوئها، وهي الجمع بين الارتفاع بالفكر والتعبير بمقدرة عن الفنون الأدبية المختلفة وبين إشراق الأسلوب والسلامة اللغوية . . . إلخ الأمور التي ذكرتها في المقدمة (ص ٦).

والجميل في هذه المختارات تولُّدُها من ميادينَ عدّة، لا من الأدب العربي بمفهومه الضيق وحسب كما جرت عادة كثير من المختارين، بحيث شملت العلم الطبيعيّ والفلسفة والتاريخ وغيرها، وانتظمت المؤلفة مادتها في بنية قائمة على ثلاثة موضوعات عامة هي: التجربة الفردية، والتجربة الجماعية، وآفاق المعرفة (وانظر توضيحها للموضوعات الخاصة التي تندرج تحت هذه الموضوعات العامة ص ٧ وما بعدها). وقد وفقت، إلى حد كبير، في هذا التقسيم.

كما ذَيَّلت كل قطعة بمناقشات وأسئلة تستحثُّ ذِهْنَ القارئ - وخاصة الطالب - للتفكير في مضامينها، وما تعالجه من قضايا فكرية، وتحليلها بحيث يتفاعل مع النص الذي يقرأه وينتقده كاشفًا خصائصه ونقائصه، وما يوافق رأيه فيه كاتبه، وما يخالفه فيه.

ونُشر الكتابُ بخطٍّ ذي حروف كبيرةٍ بيّنة. وبحجمٍ متوسط ملائم، وخُتمَ بتراجم قصيرة لكن شافية لكُتّاب القطع التي يتضمنها.

إن اختيارات الدكتورة وداد القاضي لشديدة الشبه بتأليفها فيُحَسُّ فيهما معًا بعمق وأصالة، ولا تفارق كلا منهما روحُ البحث العلميّ الحقيقيّ، مع إتقان وضبط، ومتانة أسلوب، وسلامة من الخطأ تدعو إلى الإعجاب والرّضا.



من أعلام المحققين

الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو رحمه الله

محمد بن عبدالرحمن الربيع

الأستاذ المشارك في كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

توفي العالم المحقق الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو يوم السبت ١٤١٤/١١/٥هـ بعد أن خلف مجموعة كبيرة من الكتب المحققة والمؤلفة ومجموعة من البحوث والمقالات العلمية الرصينة .

ويعد الدكتور الحلو من المحققين المجيدين لعملهم المتقنين لأصول التحقيق ومناهجه المخلصين للتراث الإسلامي الخالد .

١ - وقد عرفت الدكتور الحلو - رحمه الله - عندما كان يعمل في كلية اللغة العربية بالرياض وازدادت معرفتي به من خلال زياراتي لمعهد المخطوطات بالقاهرة التابع لجامعة الدول العربية حيث كان - رحمه الله - يهب لمساعدة الزائرين للمعهد من الطلاب الذين يبحثون عن مخطوطة للتحقيق أو معلومة في مخطوطة للتوثيق فكان عونًا لهم هو وزميلاه الدكتور محمود محمد الطناحي حفظه الله والدكتور محمد مرسي الخولي - رحمه الله - ومنذ أول زيارة لي لمعهد المخطوطات عام ١٣٩٣هـ ربطتني بالإخوة الثلاثة صداقة علمية قوية ومراسلات كثيرة وكان أول الراحلين من هذه الدنيا هو الدكتور محمد مرسي الخولي الذي حقق عدداً من الكتب منها ديوان البستي وبهجة المجالس لابن عبدالبر .

ثم لحقه الدكتور الحلو - رحمه الله - وندعو لصديقنا الغالي الدكتور محمود الطناحي بطول العمر ليواصل خدماته الجلى لهذا التراث الخالد

وقد توطدت صلاتي العلمية بالدكتور الحلو عندما عاد مرة أخرى للعمل في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حيث قام بالتدريس في كلية العلوم الاجتماعية والعمل في قسم المخطوطات بالجامعة .

وفي هذه الأثناء أصبح عضواً في مجلس (مركز البحوث) بالجامعة وكنت مديراً للمركز فقدم لمجلس المركز عدداً من الاقتراحات المفيدة والأفكار النافعة لخدمة البحث العلمي بعامة وخدمة البحث العلمي في ميادين التراث الإسلامي بصفة خاصة .

ثم ترك العمل في الجامعة وعاد إلى القاهرة لينفذ عدداً من المشروعات العلمية التي كان يحلم بها فأنشأ (مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية) وأنشأ (دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع) وأسس (مطابع هجر) وكان بذلك يريد أن تتكامل حلقات خدمة التراث فيقوم (المركز)

بالتحقيق والبحث وتقوم (المطابع) بطباعة الكتب بإتقان ودقة وتقوم (الدار) بخدمات النشر والتوزيع والتسويق . وقد عانى كثيراً في سبيل تحقيق هذا الحلم وكلما زرته في مقره بالقاهرة شكا إلى الحال والتعب فكنت أقول له إن كل إنسان ميسر لما خلق له وأنت باحث محقق ولست تاجراً محترفًا وقد دخلت في ميدان لا تحسنه وليس لديك صبر عليه فكان يقابل هذا الرأي الانهزامي مني بمزيد من التحدي والتحمل وقد نجح في هذا العمل على حساب صحته وراحته .

٢ - ونورد هنا موجزاً لحياته العلمية والعملية فقد ولد الدكتور عبدالفتاح بن محمد الحلو مصطفى في قرية (مشيرف) من محافظة المنوفية في ٤/ ٩/ ١٩٣٧م ونشأ بالقاهرة وحفظ القرآن الكريم والتحق بمعهد القاهرة الديني عام ١٩٤٨م ثم التحق بكلية (دار العلوم) وتخرج فيها عام ١٩٦١ثم حصل على شهادة الماجستير منها عام ١٩٦٨م وكانت رسالته عن أبي منصور الثعالبي ثم حصل على الدكتوراه من دار العلوم عام ١٩٧٤م وكانت رسالته عن الشريف الرضي .

بدأ حياته العملية مبكراً قبل الحصول على الشهادة الجامعية في المعهد العلمي بالأحساء ثم عمل بالجامعة الأمريكية بالقاهرة عام ١٩٦٤م ثم عمل بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة عام ١٩٦٥م ثم في كلية اللغة العربية بالرياض عام ١٩٧١م ثم عاد إلى معهد المخطوطات عام ١٩٧٥م ثم عمل في كلية العلوم الاجتماعية بالرياض عام ١٩٧٩م وفي عام ١٩٨٦م عاد إلى القاهرة واستقر بها وأنشأ (دار هجر) وظل على صلات علمية بجامعة الإمام ومركز الملك فيصل .

وأثناء عمله في معهد المخطوطات بالقاهرة وفي قسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية زار عدداً من مراكز التراث والمكتبات التي تضم المخطوطات في مختلف أنحاء العالم حتى أصبح من خبراء المخطوطات المرموقين .

وبالإضافة إلى ما ذكرنا فقد عين الدكتور الحلو (خبيراً) بمجمع اللغة العربية بالقاهرة وأستاذاً متعاونًا بجامعة القاهرة وعضواً باتحاد الكتاب واتحاد الناشرين في مصر .

٣ - والدكتور الحلو - رحمه الله - من الأساتذة الذين خدموا التعليم في المملكة منذ وقت مبكر فقد عمل مدرسًا (بمعهد الأحساء العلمي) ثم عمل في كلية اللغة العربية ثم عمل في كلية العلوم الاجتماعية .

وقد سمى دار النشر والمطابع التي أنشأها في القاهرة باسم (هجر) تخليداً للاسم القديم للأحساء التي عمل فيها في مطلع حياته العملية وألف عن شعرائها كتاب (شعراء هجر) مستعينًا بطلابه في المعهد ثم حقق ديوان (ابن المقرب) العيوني الأحسائي ليخدم بذلك تراث المنطقة .

٤ - والدكتور الحلو - رحمه الله - متعدد المواهب والامكانات فهو محقق بارع خبير وكاتب يملك ناصية البيان ومحاضر ممتع وأستاذ ناجح ومحاور مقنع وذو ثقافة واسعة .

ولم يقصر نفسه على التحقيق وإنما ألف وكتب في الدوريات وحاضر ودرس وناقش وشارك في مؤتمرات عديدة .

ولم يقصر نفسه في ميدان التحقيق على علم بعينه بل حقق كثيراً من كتب التراجم الأدبية والفقهية لعلماء المذاهب الأربعة وحقق كتبًا في الفقه والتاريخ والأدب واللغة .

وقد كتب رواية واحدة بعنوان (نور الحياة) .

وعندما وقع العدوان الصربي على إخواننا في (البوسنة والهرسك) اتجه إلى تحقيق كتاب عن علماء البوسنة للخانجي البوسنوي وقد أنجز ذلك

وأصدر كتاب (الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنه) ليؤكد أن للمسلمين في البوسنة تاريخًا مجيدًا وإن تلك المنطقة الغالية من العالم الإسلامي قد أنجبت عددًا من العلماء والشعراء .

٥ - وقد عانى الدكتور الحلو من أمراض كثيرة انتهت بالفشل الكلوي .

ثم أجريت له عملية زراعة الكلية فنجحت بحمد الله في البداية ثم قدر الله أن تفشل الكلية المزروعة مما أدى إلى وفاته - رحمه الله .

وكان - رحمه الله - وسيمًا بشوشًا لم تظهر عليه آثار المعاناة والألم إلا في الفترة الأخيرة وكان شديد التحمل وقد أخذ نفسه بالجد والعمل الدؤوب منذ شبابه فكان أن أنجز تلك التحقيقات الكثيرة .

ونورد فيما يلي ثبتًا بالكتب التي حققها أو ألفها وبالبحوث والمقالات العلمية التي نشرها .

أولاً - الكتب المحققة

١ - التمثيل والمحاضرة للثعالبي
ط ١ القاهرة ١٩٦١م
ط٢ تونس ١٩٨٣م

٢ - ديوان ابن المقرب
القاهرة ١٩٦٣م

٣ - طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي
بالاشتراك مع الدكتور محمود الطناحي (عشرة أجزاء) ط ١ (١٩٦٤ - ١٩٧٦م)
ط ٢ ١٩٩٢م

٤ - ريحانة الألبا للشهاب الخفاجي (جزءان)
القاهرة ١٩٦٦م

٥ - دمية القصر للباخرزي (جزءان)
القاهرة ١٩٦٨م

٦ - نفحة الريحانة للمحبي (خمسة أجزاء)
القاهرة ١٩٦٧م

٧ - الطبقات السنية في تراجم الحنفية لتقي الدين التميمي .
وقد نشر منه أربعة أجزاء (دار الرفاعي بالرياض ١٩٨٣م) وقد انتهى من تحقيق بقية الأجزاء (٥ و ٦ و ٧ و ٨) .

٨ - ذيل نفحة الريحانة للمحبي
القاهرة ١٩٧١م .

٩ - الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي (خمسة أجزاء) .
دار الحلبي بالقاهرة ودار العلوم بالرياض ١٩٧٨م
ط٢ دار هجر ١٩٩٣م

١٠ - عقد الدرر في أخبار المنتظر للسلمي
القاهرة ١٩٧٩م

١١ - الأنساب السمعاني (الجزء العاشر)
بيروت ١٩٨٠م

١٢ - ديوان الشريف الرضي
نشر الجزء الأول في بغداد عام ١٩٧٧م
وأعاد نشره في هجر ١٩٩٢م
والجزءان الثاني والثالث تحت الطبع

١٤ - تاريخ العلماء النحويين للمفضل التنوخي
نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ١٤٠١هـ و ط٢ دار هجر ١٩٩٢م

١٥ - تاج العروس للزبيدي
تحقيق الجزء الثالث والعشرين (الكويت ١٩٨٦م)
كما حقق الجزء التاسع والعشرين (تحت الطبع)

١٦ - المغني لابن قدامه (١٥ جزءًا)
حققه بالاشتراك مع معالي الدكتور عبدالله ابن عبدالمحسن التركي دار هجر - القاهرة (١٩٨٦ - ١٩٩٠م) .

١٧- الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء البوسنه لمحمد الخانجي البوسنوي .
ط ١ - القاهرة - دار هجر ١٩٩٢م
١٨- سيرة النبي ﷺ للتقي التميمي
ط ١ ١٩٨٥م
١٩- البيان والتحصيل لابن رشد
قام بعمل الفهارس والكشافات / دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٩٩١م
٢٠ - دراسات في مصادر الفقه المالكي
للدكتور ميكلوش موراني
مراجعة وتحرير للترجمة العربية / دار الغرب الإسلامي - بيروت - ١٩٨٨م
٢١ - تاريخ التراث الإسلامي لفؤاد سزكين
تحرير لترجمة المجلدين الأول والثاني وصنع للفهارس / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - ١٩٨٣م .

ثانيًا المؤلفات

٢٢ - رواية بعنوان «نور الحياة» صدرت عام ١٩٥٥م .
٢٣ - شعراء هجر من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر .
ط ١ القاهرة ١٩٥٩م .
ط ٢ دار العلوم بالرياض ١٩٨٠م
٢٤ - من أعلام التراث الإسلامي
ط ١ دار عكاظ ١٩٨١م
ط ٢ دار هجر ١٩٩٢م
٢٥ - الشريف الرضي : حياته وشعره
دار هجر - القاهرة - ١٩٨٦م
٢٦ - فهرس مخطوطات الأدب والبلاغة والنقد .
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ١٩٨٦م

ثالثًا : البحوث والمقالات العلمية

٢٧ - شعر الثعالبي : جمع وتحقيق وشرح
مجلة المورد - بغداد - ١٩٧٧م
٢٨ - تراجم الفقهاء
مجلة البحوث الإسلامية ١٣٩٥هـ
٢٩ - أمانة تحمل العلم
عالم الكتب - ربيع الآخر ١٤٠٢هـ
٣٠ - نقد لكتاب مع المخطوطات العربية لإغناطيوس كراتشيوفسكي .
عالم الكتب - رجب ١٤٠٤هـ
٣١ - المخطوطات العربية في مكتبة الكونجرس
عالم الكتب - ربيع الآخر ١٤٠٥هـ
٣٢ - نهج البلاغة بين الإمام علي بن أبي طالب والشريف الرضي
مجلة كلية اللغة العربية ١٣٩٥هـ
٣٣ - رؤوس الأشخاص في الأسماء القديمة
مركز البحوث في علوم المكتبات والمعلومات - تونس ١٩٨٥م

رابعًا : كتب لم تنشر حتى وفاته

لدى الدكتور عبدالفتاح - رحمه الله - مجموعة من الكتب المحققة الجاهزة أو التي قطع أشواطًا في تحقيقها وكان يعمل منذ وقت مبكر في أكثر من كتاب ومن ذلك :

- النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني .
- كتائب أعلام الأخيار للكفوي .
- قلائد الجمان في شعراء هذا الزمان لابن الشعار الموصلي .
- سلافة العصر لابن معصوم .

هذا ما استطعت إحصاءه من كتب الدكتور عبدالفتاح الحلو - رحمه الله .

النشر في مجال الرياضيات

أبو بكر خالد سعد الله

قسم الرياضيات – المدرسة العليا للأساتذة – القبة – الجزائر

نود فى هذا العرض إلقاء الضوء علي بعض جوانب النشر والتأليف فى ميدان الرياضيات الجامعية ، والغرض من وراء ذلك تمكين القارئ الكريم من التعرف علي مختلف المشكلات التى يعيشها هذا القطاع . سنبدأ بتقديم تصنيف مفصل للمؤلفات الرياضية الحديثة ثم نتطرق إلى العوامل الاقتصادية التى يخضع لها مجال النشر العلمى . كما نتحدث قليلاً عن نشر المجلات الرياضية ، وعن الوضع فى العالم العربى . وسنختتم هذا المقال بإبداء بعض المقترحات التى نرجو أن تفيدنا فى دفع حركة النشر والتأليف والترجمة فى العالم العربى .

تصنيف المؤلفات الرياضية الحديثة

إن المؤلفات التي سنتحدث عنها في هذا المقام هي الإنتاج الرياضي الذي يدخل في إطار التعليم بمختلف مستوياته ، وسوف نكتفي بكلمة وجيزة حول الرياضيات غير الجامعية . يمكننا تقسيم هذا الإنتاج إلى قسمين :

القسم الأول : كتب التعليم الابتدائي والثانوي

تتوزع هذه الكتب إلى صنفين هما :

– صنف الكتب الرسمية : وهي الكتب التي تشرف على تأليفها وزارات التربية والتعليم في مختلف بلدان العالم (سيما في بلدان العالم الثالث) . ولذلك تكون هذه الكتب مؤلفة وفقًا لبرامج مسطرة من قبل المسئولين عن التعليم ، وغالبًا ما يتم توزيعها مجانًا على تلاميذ المدارس .

ومادام الأمر كذلك فإن الوزارات تولي أهمية بالغة لهذه الكتب ، وتضع في سبيل إنجازها وسائل ضخمة بحكم أنها تؤدي دور الواجهة التعليمية للبلاد ، وتمثل عماد البنية التربوية .

– صنف الكتب غير الرسمية : تؤدي هذه الكتب دوراً مساعداً لدى التلاميذ والأساتذة ، حيث يمكن وصفها مكملة للكتب الرسمية .

وفي أغلب الأحيان ، يتمثل مضمون هذه الكتب في تمارين محلولة ومختصرات للدروس يتدرب عليها التلاميذ بعد تلقيهم الدرس على يد أساتذتهم وفقًا للمنهاج في الكتاب الرسمي . كما يستفيد التلاميذ من هذه الكتب خلال تحضيراتهم لمسابقات وامتحانات مصيرية كامتحاني الباكالوريا والأهلية . ونجد هذا النوع من الكتب في شتى بلدان العالم ؛ لأنها كتب يغلب عليها الطابع التجاري . والإشارة إلى الطابع التجاري هنا لا تعني الرداء ؛ بل إن هذه الكتب تصدر في أشكال جذابة من الناحيتين التقنية والعلمية في البلدان المتقدمة وفي بعض بلدان العالم الثالث ومن المعلوم أن هذه الكتب تعدّ من أكثر المؤلفات جلبًا للربح لدى الناشرين والمؤلفين معًا . وتجدر الملاحظة أيضًا إلى أن الجهد المبذول من طرف مؤلفي هذه الكتب جهد متواضع عمومًا بالمقارنة مع جهد مؤلفي الكتب الرسمية .

كتب التعليم العالي

يمكننا تصنيف هذه الكتب ، التي سنركز عليها حديثنا في بقية هذا العرض ، إلى ثلاثة أصناف ، هي : كتب التطبيقات وكتب الدروس وكتب المراجع . وقبل استعراض كل صنف من هذه الأصناف نود أن نشير إلى أنه لا يمكن الاستغناء عن أيّ منها في الدراسات الجامعية ؛ بل إن الجميع يعدّها مكملة لبعضها البعض . ونحن لا ننوي أبدًا إصدار أحكام حول جودة إنتاج أي صنف . . . ومادام موضوع الجودة لا يهمنا في هذا المكان فسنسلم خلال حديثنا بأن كل هذا الإنتاج جيد من حيث المضمون .

ومن جهة أخرى ، سوف لن نتعرض إلى المنشورات ذات الطابع المحلي مثل «المطبوعات» التي تصدر على مستوى المعاهد أو الجامعات إذ غالبًا ما تكون هذه المنشورات مشاريع تمهيدية لكتب تدخل ضمن الأصناف السابقة . كما سنغض الطرف عن التآليف المكوّنة من وقائع المؤتمرات العلمية المتخصصة والملتقيات الدورية رغم الفائدة الجمة التي يجنيها منها الأساتذة والباحثون - وذلك لأنها عادة ما تنشر بدورها في أشكال أخرى .

كتب التطبيقات

هي كتب متفاوتة الحجم موجهة للطلبة وتضم تمارين ومسائل محلولة تضاف إليها أحيانًا ملخصات للدروس التي تتناولها جملة المسائل والتمارين المقدمة . ويجد هذا الصنف إقبالاً كبيرًا من طرف الطلبة الذين يتصورون أن هذا النوع من الكتب هو منقذهم الوحيد خلال الامتحانات . لذلك تتوافر هذه الكتب بكثرة في مكتبات البيع (١) .

يكتب هذه المؤلفات عمومًا المعيدون في الجامعات ، ويشاركهم في ذلك أحيانًا كتّاب الصنف الثاني . ومن المهم أن نشير إلى أن الجهد الذي تطلبه تأليف هذا الصنف أقل من الجهد المطلوب في إنتاج الأصناف الأخرى .

كتب الدروس

وهي الكتب التي تضم دروسًا أو محاضرات مفصلة رتبت طبقًا لمقرر وحدة علمية من برنامج التعليم العالي . وتكون هذه الدروس موزعة إلى فصول ينتهي كل منها بسلسلة من المسائل والتمارين التطبيقية ؛ لكن هذه المسائل تقدم عمومًا بدون حلول نظرًا لضيق المكان .

يستفيد من هذه الكتب الأساتذة الذين يستقون منها معلوماتهم في إطار تحضير الدروس المكلفون بإلقائها . كما يستفيد منها بعض الطلبة ، إلا أن إقبال هؤلاء محدود لأسباب عدة : إنهم يجدون فيها تشعبات وتفاصيل يرونها غير مجدية ومضيّعة للوقت ؛ ولهذا فإن معظم الطلبة يكتفون بالاطلاع على مضمون المحاضرات المقدمة من قبل أساتذتهم والاستفادة من كتب التطبيقات .

ويكتب هذه المؤلفات الأساتذة الذين يتمتعون بأقدمية كافية في مجال التدريس وبتجربة بيداغوجية طويلة . ثم إنهم غالبًا ما يكتبون في مقررات الوحدات العلمية التي قاموا بتدريسها عدة سنوات . وإذا ما نظرنا إلى الجهد المبذول في كتابة هذا الصنف ؛ فإننا نجده أقل من الجهد المطلوب لكتابة مؤلفات الصنف الثالث .

كتب المراجع

وهي الكتب التي تتناول بعمق موضوعًا معينًا في فرع جد متخصص من فروع الرياضيات البالغ عددها الآن قرابة أربعة آلاف (٤٠٠٠) . وحتى نوضح مفهوم «الاختصاص» هنا نقول إن لكل مختص «من الدرجة الأولى» اختصاصًا ينفرد به لوحده . والاختصاصيون من هذه الفئة يعدون في العالم بالمئات بلا بالآلاف ، وهذا ليس غريبًا إذا ما علمنا أن بعض الإحصاءات تشير إلى أن أكثر من ثمانين في المئة من مجموع الرياضيين الذين عرفهم التاريخ مازالوا على قيد الحياة ! . . . أي إن عدد المختصين في الرياضيات اليوم يساوي أضعاف أضعاف عدد رياضيي النصف الأول من هذا القرن (١) .

يؤلف كتب المراجع كبار الاختصاصيين في العالم حيث يصبون فيها حصيلة ما قُدّم من أبحاث ومقالات في الموضع الذي يختارونه . وتضم هذه الكتب في أغلب الأحيان دراسة وافية للموضوع تصل بالقارئ إلى آخر النتائج والنظريات التي برهن عليها الباحثون حتى تاريخ وضع الكتاب . ويضيفون إلى كل ذلك قائمة بما

يسمى «المسائل المفتوحة» التي تعني المسائل التي تم طرحها دون حلها (٥) .

إن هذا النوع من التأليف ليس مجرد عملية جمع نصوص مشتتة . إنها تتطلب جهداً كبيراً وإلماماً واسعاً ومهارة فائقة في التحليل والربط بين مختلف النظريات وطرق براهينها . كما يراعي الكاتب في تحريره لهذه النظريات وبراهينها الصياغة الملائمة التي تمكّن القارئ من الاطلاع على كل النتائج العلمية ، واستيعاب أفكارها الرئيسة ببذل أقل جهد ممكن . والواقع أنه لا يستطيع القيام بمثل هذا التأليف إلاّ أصحاب الاطلاع الواسع والخبرة الكبيرة والإمكانات الضخمة (كسهولة الاتصال والتنقل من جامعة إلى جامعة أخرى ومن بلد إلى آخر) والصلة الوثيقة بباقي العلماء في مختلف دول العالم ، وهي العلاقات التي لا يتمتع بها إلاّ من كثرت إسهاماته في المؤتمرات العلمية وزياراته لعدد كبير من الجامعات .

أما المستفيدون من كتب هذا الصنف فهم بالدرجة الأولى الباحثون سواء كانوا بصدد تحضير رسائل جامعية أو تحضير أبحاث خارج هذا النطاق . كما يستفيد منها أيضاً مؤلفو الصنف الثاني . (كتب الدروس) .

النشر والعوامل الاقتصادية

يخضع نشر الكتب كباقي النشاطات الصناعية إلى عوامل اقتصادية نستعرض البعض منها فيما يلي :

* عامل القراء : من المعروف في عالم الكتب أنه كما زاد عدد القراء زاد الربح المادي . والناشر بطبيعته تاجراً يخضع إلى قوانين الربح والخسارة ، ويرغب في نشر الكتب التي لها عدد كبير من القراء بغض النظر عن مقدار الجهد الذي يبذله المؤلف . بتطبيق هذه القاعدة على المؤلفات الجامعية يتبين أن الربح الذي تعود به مؤلفات الصنف الأول على الناشر والكاتب معاً أكبر من الربح الذي يحققه الصنف الثاني ، وأن هذا الأخير مربح أكثر في الصنف الثالث .

* عامل الطباعة : إن المنشورات العلمية التي تضم معادلات وقوانين ورموزاً رياضية وأشكالاً هندسية تطرح جملة من المشكلات العويصة لأصحاب المطابع . ومن المعلوم أن القوانين الرياضية تحتوي على رموز خاصة ، كما تستعمل أحرفاً من لغات متعددة في النص نفسه ، ولهذا فإن طباعة صفحة من كتاب رياضيات تتطلب عناية ووقتاً أطول من طباعة صفحة في العلوم السياسية أو الفلسفة مثلاً ، وهذا يرجع أساساً لكثرة وجود الرموز والاصطلاحات ودقة المكان الذي يجب أن توضع فيه تلك الرموز (على السطر أو تحته أو فوقه بقليل) . كما أنه ينبغي تغيير حجم الحرف أو الرمز من لحظة إلى أخرى خلال عملية التصفيف .

من جهة أخرى فإن طباعة هذه الكتب تستدعي تجهيزات خاصة ويداً عاملة أكثرة مهارة وأعلى مستوىً . ومما يوضح ذلك أن هناك من دور النشر الغربية ما لها خبرة تجاوزت القرن ، ورغم هذا فما زال المؤلف والقارئ اليوم يعجبان من الأخطاء المطبعية التي تظهر في الكتب الصادرة عن هذه الدور . . . على الرغم من أن الأعمال المقدمة لها تسلّم مضروبة على الآلة وخالية من الأخطاء . ولهذا فإن دور النشر في العالم كثيرة ومتنوعة إلاّ أن القليل منها يهتم ويختص في طباعة الكتب الرياضية الجامعية . والجدير بالملاحظة أن الباحثين يقومون منذ أن دخل الحاسوب عالم الطباعة بتجارب وتحسينات على أجهزتهم من أجل تيسير عملية تصفيف الكتب الرياضية . وقد قطع هؤلاء شوطاً كبيراً في هذا المجال ، إلاّ أن الهدف الذي يرمون إليه مازال بعيد المنال .

* عامل البيع : إن دور النشر ومكتبات البيع ترحب بالدرجة الأولى بمؤلفات الصنف الأول ، ويأتي بعدها الصنف الثاني ، وهذا وفقاً لقاعدة العرض والطلب . وفيما يخص مؤلفات الصنف الثالث (كتب المراجع) فلابد من الإشارة أولاً إلى أن عدد ناشريها أقل من ناشري الصنفين الأولين . ثم إن هذه الكتب لا تباع إلاّ في مكتبات متخصصة في كبريات المدن العالمية ،

وغالبًا ما يتم الإعلان عليها في إعلانات خاصة ، ولكي يحصل عليها القارئ ينبغي طلبها عبر مكتبات بيع من دار النشر ذاتها . هذا ليس غريبًا حيث يذكر أصحاب بعض دور النشر الغربية أن ٥٦٪ من سعر الكتاب يذهب للموزع (٦) . وحتى يخفف الناشر من مخاطر الخسارة المادية فإن يطلب أن تكون هذه المؤلفات مكتوبة باللغة الأكثر انتشارًا في العالم (أي الإنجليزية) ليزيد في عدد القراء . وبما أن المؤلفين يدركون هذا الأمر ؛ فإنهم يتجهون أكثر فأكثر إلى تأليف كتب الصنف الثالث بالإنجليزية سواء كان هؤلاء المؤلفين ألمانًا أو فرنسيين أو إيطاليين أو غيرهم (٣) . ورغم كل ذلك فإن أسعار هذه الكتب مرتفعة جداً بحيث إن القراء المختصين لا يتمكنون مادياً من اقتناء الكثير منها (١٥٠ أو ٢٠٠ دولاراً يمثل سعراً عادياً بالنسبة للعديد من هذه المؤلفات) . وعليه يكتفي هؤلاء بالاطلاع على كتب الصنف الثالث واستعارتها من المكتبات الجامعية .

عامل الدعم : مما لا شك فيه أن بعض دور النشر تتلقى دعمًا مادياً من بعض الهيئات العلمية والصناعية والرسمية لدى نشر مؤلفات من الصنف الثالث . كما لا نستغرب من أن تطلب هذه الدور من المؤلف نفسه تحمل جزء من النفقات المترتبة عن نشر الكتاب وتوزيعه . علينا أن ندرك أيضًا أن نشر هذا النوع من المؤلفات يخدم سمعة الناشر ، ولا مانع إذن أن تقدم هذه الدور بعض التضحيات المادية في هذا السبيل .

ومن أنماط الدعم الذي تقدمه بعض البلدان للكتاب أن الجهات الرسمية تشتري الكتب بالسعر الذي يحدده الناشر ثم تبيعه بسعر منخفض لجمهور القراء . وهناك نمط آخر أكثر فعالية لجأت إليه وزارات البحث والتكنولوجيا الفرنسية حينما أصدرت سنة ١٩٩١ قراراً يقضي بإعانة مؤلفي وناشري الصنف الثالث . ومما جاء في هذا القرار ما يلي :

يتوجه الدعم إلى المؤلفين لتغطية نفقات الطباعة أو الضرب على الآلة الراقنة ، تغطية كلية أو جزئية .

كما يتوجه هذا الدعم إلى تغطية تكاليف تنقل المؤلفين إذا كان هؤلاء يقومون بتأليف كتاب جماعي .

دعم دور النشر : يبلغ الدعم ٣٠٪ من ثمن تكلفة الكتاب ويمكن أن يصل إلى ٤٠٪ عندما يتعلق الأمر بكتاب ممتاز بكمية سحب قليلة .

ويشترط القرار ألاّ تستفيد الدار نفسها من هذا الدعم لأكثر من ستة كتب سنوياً ، كما يشير القرار إلى أنه لا يمكن أن تستفيد من هذا الدعم الكتب المنشورة بلغة أخرى غير الفرنسية . وهنا تتبيّن لنا الطريقة الذكية التي تخدم بها البلدان المتقدمة لغاتها (٤) ، فلمَ لا نقتدي بهذا السلوك ؟

عامل التأليف : يقال عن الرياضيين أن اختصاصهم عوّدهم إلتزام الصمت ونبذ المجادلة وقلة الكتابة والتأليف خلافًا للفلاسفة والأدباء (٥) ، وعلى الرغم من ذلك فقد يبدو للقارئ أن كتب الرياضيات كثيرة جداً وتملأ رفوف المكتبات . لكن مقارنة عدد الرياضيين بعدد كتب الرياضيات يبيّن عكس ما نتصوره . ففي حين نجد أن مجموع مؤلفات أديب أو مؤرخ أو فيلسوف تتجاوز العشرة أو العشرين كتابًا فإنك تجد كبار الرياضيين في العالم لم يؤلفوا طوال حياتهم سوى بضعة كتب . وتأكيدًا لرأينا نسوق المقارنات التالية :

- إن الكثير من الرسائل الجامعية (ماجستير ودكتوراه) في العلوم الإنسانية تنشر على شكل كتب (من الصنف الثالث) في حين تنشر رسائل العلوم الرياضية في شكل ملخصات (بضع صفحات) أو مقالات في المجلات المتخصصة .
- إن الرسائل الجامعية في الرياضيات لا يتجاوز عدد صفحاتها المئة صفحة عدا النادر منها ، بينما نجد أن صفحات رسائل العلوم الإنسانية تعدّ بالمئات .
- حينما تتصفح مؤلفات العلوم الرياضية من الصنف الثالث والأبحاث الصادرة في المجلات المتخصصة وتنظر في مراجعها ؛ فإنك تلاحظ أن معظم هذه المراجع منشور في شكل مقالات وليس في شكل كتب . أما في العلوم الإنسانية فالأمر مخالف لذلك .

- إذا توصل الباحث المجتهد في الرياضيات إلى نشر معدل بحثين سنوياً أي حوالي ٥٠ صفحة فإنه يعدّ من الممتازين ، في حين أن هذا العدد الضئيل من الصفحات لا يمنح درجة الامتياز في العلوم الإنسانية .

وهكذا نرى أن الرياضيين في الواقع قليلو النشر رغم كثرة كتبهم . ولا شك أنهم لو وجدوا تسهيلات أكثر في مجال التأليف والنشر لغزوا السوق بإنتاجهم المتنوع .

نشر المجلات الرياضية

إننا لا نستطيع الحديث عن نشر الكتب في مجال الرياضيات دون التعريج على المجلات الرياضية ، وهي المجلات المتخصصة التي تنشر أبحاثاً أصيلة تحتوي على نتائج جديدة لم يسبق نشرها . تشرف على هذه المجلات هيئات علمية عليا ، مثل الأكاديميات والمجامع العلمية ومعاهد أشهر الجامعات في العالم .

إن هذه المجلات لا تباع في الأسواق حتى في الدول المتقدمة ؛ بل تشترك فيها المكتبات الجامعية والنادر من الأساتذة والباحثين ، ذلك أن الأفراد لا يستطيعون تحمل نفقات الاشتراك في مثل هذه المجلات نظراً لغلائها وكثرة عددها .

وفيما يخص النشر في هذه المجلات فالمطلوب من الباحثين أن تكون أبحاثهم أصيلة مضروبة على الآلة الراقنة وفق شروط دقيقة . وضرب هذه الأعمال على الآلة ليس بالأمر الهين بالنسبة للباحث إذ يعجز هذا الأخير في بعض الأماكن ؛ بل في بعض الأقطار ، على إيجاد الآلة نفسها (التي يجب أن تكون مجهزة بالرموز الرياضية والأحرف الإغريقية . . . إلخ) أو إيجاد من يتقن استخدامها بالشكل المطلوب من قبل المجلات . نذكر أيضاً أن لهذه المجلات شروطاً حول عدد الصفحات (منها ما يطلب أربع صفحات وأغلبها تتقيد بحوالي عشرين صفحة) . وعندما تتوافر هذه الشروط - الخاصة بالشكل - يقيّم المضمون من طرف أهل الاختصاص (٧) ، ثم يتلقى المؤلف إشعاراً بقبول أو رفض بحثه . وفي حالة قبول البحث ينتظر الباحث مدة تتراوح بين سنة وثلاث سنوات (مهلة التقييم وحدها قد تقارب السنة) يصدر على أثرها المقال . ونظراً لطول المدة بين تاريخ إرسال البحث إلى المجلة وتاريخ صدوره ؛ فإن المجلة تسجّل دوماً تاريخ تسلمها المقال (باليوم والشهر) وذلك تفادياً (للسرقات) العلمية .

والجدير بالذكر أن بعض المجلات تطلب من صاحب المقال عند موافقتها على النشر مقابلاً مالياً لكل صفحة من المقال ، فمنها ما يطلب ١٠ دولارات ، ومنها ما يطلب ٢٥ دولاراً للصفحة الواحدة ! وهكذا لا يُستغرب إن طلبت منك إحدى هذه المجلات مبلغ ٥٠٠ دولار لقاء نشر بحث لك يضم عشرين صفحة . وهنا ينبغي الإشارة إلى أن الباحثين في الدول الغربية يقومون بأبحاثهم في إطار هيئات علمية أو بتعاقد مع مؤسسات تتولى كل هذا النوع من النفقات مكان الباحث . ومهما يكن من أمر فيجب أن ندرك أن هذه المجلات لا تحقق ربحاً مالياً إذ لا تشترك فيها تقريباً سوى المكتبات الجامعية .

أما عدد المجلات المتخصصة في الرياضيات فهو ضخم جداً ، ويستغرب فيه كل من لا صلة له بهذا الميدان . والواقع الذي ينبغي أن يعرفه القارئ اليوم هو أن التصنيفات الأخيرة للرياضيات تضم حوالي ٤٠٠ فرعاً . وقد بلغت كمية الإنتاج لدى الرياضيين حوالي مئتي ألف (٢٠٠,٠٠٠) نظرية جديدة سنوياً ، أي بمعدل نظرية جديدة كل ثلاث ثوان ! وبما أن هذا الإنتاج الوافر يصدر أولاً في المجلات الريّاضية المتخصصة (وليس في الكتب) فلابد أن يكون عدد هذه المجلات كبيراً .

وهناك مجلة معروفة لدى المتخصصين تدعى "Maths Reviews" تصدرها الهيئة الرياضية الأمريكية شهرياً . وينحصر دورها في نشر ملخص (في سطور) لكل الأبحاث التي تصدر في المجلات الرياضية الأخرى . وتعدّ هذه المجلة مرجعاً مهماً لكافة الرياضيين ؛ لأنها تمكنهم من الاطلاع على كل ما يصدر من أبحاث في شتى الفروع الرياضية .

وإذا نظرنا إلى تزايد عدد صفحات هذه المجلة عبر السنين ؛ فإننا ندرك مدى تزايد عدد المقالات : كان عدد صفحات مجلة Maths Reviews خلال سنة ١٩٦٠ لا يتجاوز ٢٠٠ صفحة . أما خلال سنة ١٩٩٢ فقد تجاوز ١٣٠٠٠ صفحة (من الحجم الكبير) . وفي حين بلغ عدد المجلات المذكورة في مجلة Maths Reviews خلال سنة ١٩٦٠ حوالي ١٠٥٠ مجلة فقد قارب هذا العدد خلال سنة ١٩٩٠ ثلاث آلاف (٣٠٠٠) مجلة .

لنتعرف قليلاً على البلدان التي تصدر فيها هذه المجلات ففي فرنسا توجد شركة تدعى Offilib تختص في بيع الكتب والاشتراك في المجلات . ومن الخدمات التي عرضتها هذه الشركة على الجامعات خلال سنة ١٩٩٣ إمكانية الاشتراك في ١١٢٠ مجلة متخصصة في مجال الرياضيات وعلم الكمبيوتر . وتبيّن لنا من هذه القائمة أن معظم هذه المجلات تصدر في خمس دول هي على التوالي الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وهولندا وألمانيا وذلك حسب الجدول التالي :

وهكذا فإن ٨٦٣ مجلة (من بين ١١٢٠ مجلة) تصدر في هذه البلدان الخمسة أي إن حوالي ٧٧٪ من مجلات العلوم الرياضية تصدر في البلدان الخمسة السابقة الذكر .

	أمريكا	بريطانيا	فرنسا	هولندا	ألمانيا
عدد المجلات في الرياضيات	١٤٠	٩٣	٦٠	٦٧	٨٤
عدد المجلات في الكمبيوتر	١٧٥	١١٣	٦٠	٥٠	٢١
مجموع المجلات	٣١٥	٢٠٦	١٢٠	١١٧	١٠٥

الوضع في العالم العربي

إن الكتب الرياضية الصادرة في العالم العربي كثيرة ومتنوعة . وإذا كان معظمها يخص برامج التعليم الابتدائي والثانوي فهذا لا يعني أن الكتب الجامعية معدومة . فقد تضافرت جهود العديد من الأساتذة في مختلف جامعات البلدان العربية فأنتجت عددًا من الكتب الرياضية الجامعية في ظروف جد صعبة بالنسبة للكثير من هؤلاء المؤلفين والمترجمين . وكانت ثمرة هذه الجهود - التي لا تزال متواصلة - أن الطالب الجامعي يجد ما يسد حاجته من كتب عربية سواء مؤلفة أو مترجمة (٢) .

ونستطيع التأكيد أن عدد الكتب الجامعية المؤلفة والمترجمة إلى العربية في مختلف فروع الرياضيات أصبحت تعدّ الآن بالمئات . وقد أسهمت في هذا الإنتاج دور نشر أجنبية ، مثل دار ماكروهيل ودار جون وايلي ودار مير (الروسية) ، حيث قامت بترجمة بعض إصداراتها الجامعية إلى العربية بالتعاون مع دور نشر عربية ، مثل ديوان المطبوعات الجامعية الجزائري ودار المريخ بالسعودية ودار الأهرام المصرية . كما أن هناك دورًا أخرى مثل بعض الدور الألمانية والكندية ، ستستجيب لترجمة كتبها الرياضية لو تلقت طلبًا بذلك من الجهات العربية .

وتجدر الملاحظة أن حركة ترجمة الكتب الرياضية الجامعية قد سبقت حركة التأليف في العالم العربي وتبنّتها جامعات ومؤسسات رسمية (مثل جامعة دمشق وجامعة الرياض والمجمع الأردني وديوان المطبوعات الجزائري)، ثم التحقت بالركب بعض الدور الخاصة كالعديد من الدور اللبنانية ودار المريخ ومؤسسة الأهرام وغيرها . إلاّ أن عدد الدور المهتمة بهذا النشاط مازال هزيلاً جداً بالمقارنة مع الإمكانات المتوافرة لدى المئات من أساتذة الرياضيات في الجامعات العربية .

وينبغي الإشارة هنا إلى أن الكتب الرياضية المؤلفة أو المترجمة إلى العربية إلى الآن تندرج كلها في الصنفين الأول والثاني (كتب التطبيقات والدروس) ولم يسعدنا

الحظ حتى هذه الساعة في العثور على كتاب بالعربية يمكن إدراجه في الصنف الثالث (كتب المراجع) . وهذا أمر طبيعي إذا ما علمنا أن الدراسات العليا (ما بعد الليسانس) في الرياضيات تدرّس في الجامعات العربية بلغات أجنبية (إنجليزية وفرنسية) . . . ثم أين هي دار النشر المستعدة لتبنّي إصدار مثل هذه الكتب ؟ ومن ناحية أخرى ، إن كان هناك أساتذة عرب قادرين على تأليف هذا النوع من الكتب ؛ فهم يفضّلون تأليفها باللغة الإنجليزية كما يفعل باقي الأساتذة في العالم .

ومن وجهة النظر التجارية فإن السوق العربية في عالم الكتب تعدّ بالنسبة للناشرين الغربيين سوقًا واسعة بالغة الأهمية ، إذ إن الكتب الرياضية الغربية التي تباع في البلدان العربية تعدّ بالآلاف . ولهذا فتشجيع الإنتاج الوطني تأليفًا وطباعة وتوزيعًا في البلاد العربية سيؤثر – إن حدث – تأثيرًا سلبيًا على دور النشر الغربية .

وعلى كل حال فإن النظر بعين الموضوعية إلى مجال تأليف الكتب الرياضية الجامعية في الوطن العربي يجعلنا نحكم عليه إيجابيًا من حيث الجهد المبذول وعدد المؤلفات . هذا فيما يخص الكم ، أما الكيف فالمطلوب تحسينه شكلاً ومضمونًا . ومما لا شك فيه أن هذا المجال سيعرف تقدمًا كبيرًا إذا ما عملت الجهات المعنية على تشجيعه ودفعه بقوة إلى الإمام . وفي اعتقادنا فإن هذا التحفيز يتطلب من كل بلد عربي مراعاة النقاط التالية :

- العمل على تشجيع الأبحاث في علم الكمبيوتر التي تهدف إلى تسهيل الطباعة العلمية باللغة العربية .
- تشجيع مؤلفي الصنفين الأول والثاني ، عندما يكتبون بالعربية ، بشكل مشابه للتشجيع الذي يقترحه القرار الفرنسي المشار إليه آنفًا .
- مكافأة المؤلفين الذين ينشرون كتبًا من الصنف الثالث سواء ألفت بالعربية أو بغير العربية .
- إنشاء هيئات علمية متخصصة لرصد وترجمة الكتب العلمية الحديثة ذات المستوى العالي .
- تشجيع دور النشر التي تتخصص في نشر الكتاب العلمي الموجه لجمهور ضيق ، وذلك بمنحها الدعم المادي وبإعفائها من الضرائب وتمكينها من الحصول على التجهيزات الضرورية .
- التنسيق بين دور النشر العربية والتعاون بينها عن طريق النشر المشترك والتوزيع المتبادل من أجل تخفيض قيمة الكتاب .
- العمل على إصدار الكتاب العلمي العربي في شكل جذاب وأنيق يرضي رغبة القارئ .
- العمل على تنقيح الكتاب من الأخطاء المطبعية تنقيحًا كاملاً سيما بعد الطبعة الأولى .

المـــراجـــع

١ – سعد الله ، أ . خ «من خصوصيات التأليف في مجال العلوم الدقيقة» مجلة الثقافة الجزائرية (٨٢)، (أغسطس) ١٩٨٤ .

٢ – سعد الله ، أ . خ «حول توفر المراجع الجامعية بالعربية في العلوم الدقيقة» صحيفة الشعب الجزائرية ع ٧٨٢٧ (جانفي ١٩٨٩) .

٣ – سعد الله ، أ . خ «لغة العلم . . . واللغة الفرنسية» صحيفة الشعب الجزائرية ع ٧٩٨٥ ، (جويلية ١٩٨٩).

4 - DAVIS P. J, HERSH R. : **The mathematical experience**, Birkhaüser, Boston, 1982 .

5 - DAVIS P. J, Hersh R.: **Descartes' Dream, The world according to mathematics**, Harcourt, Brace Jovanovich Inc., Orlando 1986.

6 - AUDIN M., Interviews d'éditeurs, **Gazette des mathématiciens** (49), June 1991, Paris.

7 - HALMOS P.R. **I want to be a mathematician**, Springer-Verlag, New York, 1985 .

الإمام الحافظ ابن عساكر

محمود ماضي

أستاذ مشارك بكليتي الآداب جامعة الزقازيق والدعوة بالمدينة المنورة

١ - حياته

هو تقي الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عبدالله بن الحسين بن عساكر (١) الشافعي . ولد في مستهل سنة تسع وتسعين وأربع مئة . في مدينة دمشق .

عني به والده وأخوه في صغره ، فسمع الحديث وعمره ست سنين ، وعدة شيوخه ألف وثلاث مئة شيخ ؛ منهم الشيخ أبو الحسن بن قبيس ، والشيخ أبو الفتح المختار بن عبدالحميد ، والشيخ الخطيب الطوسي (٢) .

وقد أكثر في طلب الحديث من الترحال والأسفار ، وجاز المدن والأقاليم والأمصار ، وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من الحفاظ نسخاً واستنساخاً (٢) . وكان قد تفقه في حداثته بدمشق على الفقيه أبي الحسن السلمي .. ولم يلبث أن غادرها إلى بغداد عام عشرين فلزم بها التفقه وسماع الدروس بالمدرسة النظامية وقرأ الخلاف والنحو ، وسمع فيها أبا القاسم بن الحصين وأبا الحسين الدينوري ... وقاضي المارستان محمد بن عبدالباقي الأنصاري ...

وقد قصد مكة فسمع عبدالله بن محمد الغزالي ورزين بن معاوية العبدري ، ثم انتقل إلى المدينة فسمع بها من أبي الفتوح عبدالخلاق ، وتوجه إلى الكوفة فسمع عمر ابن إبراهيم الزيني ، وعاد إلى بغداد ثم إلى دمشق ، ورحل إلى خراسان ونيسابور ، ثم عاد إلى دمشق يحدث ويملي ويصنف إلى آخر عمره . وقد عرف إلى جانب هذا الجهد المتواصل لتحصيل العلم ، عرف بخلق متين فلم يزل طول عمره مواظباً على صلاة الجماعة ، ملازماً لقراءة القرآن ، محاسباً نفسه على ساعة تذهب في غير طاعة الله، إلى أن توفي في شهر رجب الفرد سنة إحدى وسبعين وخمس مئة ودفن بدمشق (٣) .

٢ - أهم آرائه وأفكاره واتجاهاته الفكرية

من المعروف أن ابن عساكر شافعي المذهب أشعري الاعتقاد لذلك نراه يقول : «إن الأشعرية أعيان السنة ونصار الشريعة انتصروا للرد على المبتدعة من القدرية والرافضة وغيرهم فمن طعن فيهم فقد طعن في أهل السنة» (٤) .

ويدفع عن الأشعري الذم لكونهم متكلمين فيشرح مقصور الشافعي حين قال : «لأن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه سوى الشرك خير له من الكلام . . . فيقول : والكلام المذموم كلام أصحاب الأهواء وما يزخرفه أرباب البدع المردية ، فأما الكلام الموافق للكتاب والسنة الموضح لحقائق الأصول عند ظهور الفتنة فهو محمود عند العلماء ومن يعلمه وقد كان الشافعي يحسنه ويفهمه وقد تكلم مع غير واحد ممن ابتدع وأقام الحجة عليه حتى انقطع» (٥) .

وهو يذب عن المذهب وقد ألف في ذلك كتابه الشهير : «تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري» .

كما جاء في طبقات الشافعية ، قول صاحب الطبقات «ومن كلام ابن عساكر حافظ هذه الأمة الثقة الثبت : هل من الفقهاء الحنفية والمالكية والشافعية إلا موافق للأشعري ومنتسب إليه ، وراض بحميد سعيه في دين الله مثن بكثرة العلم عليه ، غير شرذمة قليلة تضمر التشبيه ، وتعادي كل موحد يعتقد التنزيه أو تضاهي قول المعتزلة في ذمه ، وتباهي بإظهار جهلها بقدره وسعة علمه» (٦) .

ولقد نقلت لنا كتب الفرق كالملل والنحل للشهرستاني ، والفصل لابن حزم ، والفرق بين الفرق للبغدادي أقوالاً كثيرة عن المشبهة والمجسمة ، فذهب البعض منهم إلى أن الله تعالى : جسم . وذهب غيرهم إلى وصفه كما يصفون الأجسام من التركيب والتأليف من الأعضاء والجوارح ، وينتهون من هذا كله إلى المماثلة والمشابهة ؛ تعالى الله عن ذلك .

وعلى الطرف الآخر جاء رأي المعتزلة نافيًا للصفات حتى قيل إنهم يصفون عدمًا . ثم جاء رأي الأشعري ومن ثم ابن عساكر مباين لكل من المشبهة والمجسمة .

يقول ابن عساكر : «إن الأشعري والماتريدية هم العدل الوسط بين المعتزلة والحشوية لا ابتعدوا عن النقل كما فعل المعتزلة ولا عن العقل كعادة الحشوية» .

ثم يقول :

قل للمشبهة الذين تجاوزوا
حجج العقول بكل قول منكر
يا ويلكم قستم صفات إلهكم
بصفاتكم هذا قياس الأخسر

ويرى ابن عساكر - متابعًا الأشعري - أن الله لا يشبهه شيء ولا يشبه شيئاً .

من قال إن الله يشبه خلقه
كانت مقالته مقالة مفتر
لله سمع لا كأسماع الورى
ويد وعين لا كعين المحجر

وإذا كانت النزعة العقلية لدى المعتزلة أدت بهم إلى نفي رؤية المؤمنين ربهم ؛ فإن الأشاعرة ذهبوا إلى أن الرؤية ممكنة ، وقد ورد القرآن الكريم مؤيدًا ذلك .

يقول ابن عساكر :

حتمًا يراه المؤمنون وليس ذا
جسم ولا عرضٍ ولا بالجوهر (٧)

ولما أوّل المعتزلة آيات الاستواء بالاستيلاء والاقتدار وأن العقل يقتضيه من حيث دل على أنه تعالى قديم ولو كان جسمًا يجوز عليه الأماكن لكان محدثًا ، تعالى الله عن ذلك (٨) . ذهب ابن عساكر إلى أن الأشاعرة يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه بلا تكييف حتى سمو بالبلاكفة .

والله تعالى مستوٍ على العرش دون تحيز أو أن تحده الجهات .

يقول :

رب على العرش استوى	قهرًا وينزل لا بنقلة
لا للتحيز كي تكو	ن لذاته جهة مقلة
ويرى ويسمع لا بجا	رحة ولا إنسان مقلة (٩)

٣ - آثاره

كدأب من يهب حياته للعلم والانقطاع للدرس والتأليف ، فقد صنف ابن عساكر عدة تصانيف ، ومن أهم مؤلفاته .

١ - «تاريخ دمشق الكبير» وقد جمعه في ثمانين مجلداً كبيراً . وقد قام بتحقيقه السيد / صلاح الدين المنجد ، وقد قام المجمع العلمي بدمشق بالإشراف على نشر الأصل ، فطبع المجلد الأل ونصف الثاني بدمشق سنة ١٣٧١هـ / ١٩٥١م . ويعرف بتاريخ «ابن عساكر وقد اختصره الشيخ «عبدالقادر بدران» وذلك بحذف الأسانيد والمكررات ، وسمى المختصر «تهذيب تاريخ ابن عساكر» (١٠) . وقد طبع منه سبع أجزاء ولا تزال بقية التهذيب محفوظة (١١) ، وقيل إنه أبان في هذا الكتاب عما لم يكتمه غيره ، وإنما عجز عنه ؛ ومن طالع هذا الكتاب عرف إلى أية مرتبة وصل هذا الإمام (١٢) والكتاب .

وهو من أهم تصانيف ابن عساكر في التاريخ ، وقد جمع فيه كل تراجم الرجال الذين لهم صلة بمدينة دمشق كما فعل الخطيب البغدادي في مؤلفه تاريخ بغداد (١٣) .

ولابن عساكر مؤلفات كثيرة منها :

٢ - «الإشراف إلى معرفة الأطراف» في الحديث . وقد طبع في ثلاثة مجلدات .

٣ - «تبيين كذب المفترى في ما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري» .

وهو كتاب خاص بطبقات الأشاعرة، فضلاً عن الذب عن الأشعري والأشاعرة والماتريدية.

وقال فيه صاحب الطبقات الكبرى «كل سني لا يكون عنده كتاب التبيين لابن عساكر فليس من أمر نفسه على بصيرة».

٤ - «كشف المغطى في فضل الموطأ» طبع.

٥ - «تبيين الامتنان في الأمر بالاختتان» طبع.

٦ - «تبيين الوهم والتخليط فيما أخرجه أبو داود من حديث الأطيط» جزء واحد.

٧ - «أربعون حديثًا من أربعين شيخًا من أربعين مدينة».

٨ - «الجواب المبسوط لمن ذكر حديث الهبوط» جزء واحد.

٩ - «معجم الصحابة» أو (المعجم) في اثني عشر جزءاً، وهو خلاصة عن مشاهير الرجال وخاصة الشافعية، ولهذا المقتطف ذيل هو «كتاب الوهم» لمحمد بن عبدالواحد المقدسي المتوفى عام ٦٤٣هـ (١٢٤٥م).

١٠ - «معجم من سمع منه من النسوان».

١١ - «تهذيب الملتمس من عوامل مالك ابن أنس».

١٢ - «ذكر البيان عن فضل كتابة القرآن» جزء واحد.

١٣ - «معجم أسماء القرى والأمصار».

١٤ - «معجم الشيوخ والنبلاء» مخطوط.

١٥ - الأمالي: مثل: «مجلس نفي التشبيه» «مجلس التربة» «مجلس التوبة».

١٦ - «مناقب الشبان» في خمسة عشر جزءاً.

١٧ - «فضائل أصحاب الحديث» في أحد عشر جزءاً.

١٨ - فضل الجمعة.

وقد حصر صاحب مقدمة التبيين مصنفاته التي أتمها في ٨٤ مصنفًا، غير ما لم يتم من تصانيفه وهي:

١ - «الإبدال» ولو تم كان مقداره ٢٠٠ جزء.

٢ - «ذم الرافضة».

٣ - «الصفات».

٤ - فضل الجهاد.

٥ - فضل مكة.

٦ - فضل المدينة [١٤].

٤ - مكانته العلمية والأدبية

لقب ابن عساكر بإمام أهل الحديث في زمانه وناصر السنة وخادمها وقامع جند الشيطان بعساكر اجتهاده، لما قدم من مجهودات عظيمة. وهذا الكلام ليس من قبيل التحيز أو الإعجاب وإنما هو بعض مما أقر به أهل العلم والفضل.

قال عنه شيخه الخطيب أبو الفضل الطوسي: «ما نعرف من يستحق هذا اللقب اليوم سواه، يعني لفظة الحافظ وكان يسمى في بغداد شعلة نار، من توقده وذكائه وحسن إدراكه» [١٥].

وقال ابن النجار: «هو إمام المحدثين في وقته، ومن انتهت إليه الرياسة في الحفظ والإتقان والمعرفة التامة بعلوم الحديث، والثقة والنبل، وحسن التصنيف والتجويد» [١٥].

وكتب الحافظ معمر بن الفاخر في معجمه: «كان - أي ابن عساكر - أحفظ من رأيت من طلبة الحديث، وكان شيخنا إسماعيل بن محمد الإمام يفضله على جميع من لقيناهم... ما رأيت شابًا أورع ولا أحفظ ولا أتقن منه وكان مع ذلك فقيهًا أديبًا سنيًا جزاه الله خيراً...» [١٦].

قال عنه الحافظ أبو سعد السمعاني في تاريخه: «هو كثير العلم غزير الفضل حافظ ثقة متقن دين خير حسن السمت جمع بين معرفة المتون والأسانيد» [١٧].

قال عن نفسه: «... لما عزمت على التحديث والله المطلع أنه ما حملني على ذلك حب الرياسة والتقدم، بل قلت: متى أروي كل ما قد سمعته وأي فائدة في كوني أخلفه بعدي صحائف؟ فاستخرت الله واستأذنت أعيان شيوخي... وطفت عليهم فكل قال: ومن أحق بهذا منك» [١٨].

هؤلاء بعض من شهد لابن عساكر بالإمامة والتقدم والتمكن من زمام الحديث والسنة والفقه.

وختامًا أؤكد أن هذا العلم يحتاج منا إلى مزيد عناية وبذل الجهود لإحياء تراثه.

الهـــــوامـــــش

١ - ليس في أجداده من اسمه عساكر ، وإنما هي تسمية اشتهرت عليهم في بيتهم ، ولعله من قبل أمهات بعضهم (للمزيد - انظر مقدمة تبيين كذب المفترى لابن عساكر - مطبعة التوفيق بدمشق سنة ١٣٤٧هـ)٠

٢ - ابن كثير : البداية والنهاية جـ٢ ص ٢٩٤ - دار الفكر العربي - بيروت - بدون تاريخ .

٣ - السبكي : طبقات الشافعية جـ٧ ص ٢١٦ - ٢٢٣ - الطبعة الأولى - الحلبي بمصر .
والشيخ عبدالقادر بدران : تهذيب تاريخ دمشق الكبير ص ٦ ، ٧ - دار المسيرة - بيروت ٠ - ط٢ ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م . وابن كثير : البداية والنهاية - مصدر سابق .
ومقدمة تبيين كذب المفترى لابن عساكر - مصدر سابق .
دائرة المعارف الإسلامية م ١ - دار الفكر
سير أعلام النبلاء للذهبي ص ٥٥٥ ، ٥٥٦ ط ١ ، ١٩٨٥ - مؤسسة الرسالة .

٤ - تبيين كذب المفترى ص ٣٣٢ - مطبعة التوفيق بدمشق ١٣٤٧هـ .

٥ - المرجع السابق ص ٣٣٩ .

٦ - السبكي : طبقات الشافعية جـ٢ ص ٢٥٩ .

٧ - ابن عساكر : تبيين كذب المفترى ص ٤٣٦ .

٨ - القاضي عبدالجبار : متشابه القرآن ص ٣٥١ تحقيق د/ عدنان زرزق - دار التراث بالقاهرة .

٩ - محمود ماضي : منهج ابن القيم في أصول الدين ص٤٨ - الطبعة الثانية ١٩٩١ - دار الإيمان بالإسكندرية .

١٠ - غير أني وجدت التهذيب باسم «تهذيب تاريخ دمشق الكبير» وهو طبعة - دار المسيرة بيروت .
وفي طبقات الشافعية جـ٧ ص ٢١٦ باسم «تاريخ الشام» .

١١ - خير الدين الزركلي : الأعلام - قاموس معجم - مجلد ٤ - دار العلم للملايين - بيروت - طبعة ٥ ، ١٩٨٠م .

١٢ - السبكي : طبقات الشافعية - مصدر سابق ص٢١٦ .
ومعجم الأدباء . ياقوت الحموي - مجلد ٧ ص ٧٣ - دار إحياء التراث العربي .

١٣ - انظر : دائرة المعارف الإسلامية م ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ - دار الفكر - مقدمة التبيين ص ٣ ، ٦ - مطبعة التوفيق بدمشق ١٣٤٧هـ - ابن خلكان ١ / ٣٣٥ ، ومفتاح السعادة ١ / ٢١٦ ثم ٢ : ٢١١ . - البداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ٢٩٤ .

١٤ - انظر : دائرة المعارف الإسلامية . . المصدر السابق . ومقدمة التبيين ص٣ - ٦ ، ابن خلكان ١ : ٣٣٥ ، مفتاح السعادة : ١ / ٢١٦ ، البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٢٩٤ .

١٥ - السبكي : طبقات الشافعية - مصدر سابق .

١٦ - مقدمة كتاب - تبيين كذب المفترى ص : ح - مصدر سابق .

١٧ - المسعودي : شذرات الذهب جـ٤ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

١٨ - سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ٢٠ ص ٥٦٥ - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٥م .

* * * * * * * * *
* * * * * * * *
* * * *
*

نصوص تراثية محققة

قطع المجادلة عند تغيير المعاملة

رسالة في أحكام النقود عند تغير قوّتها الشرائية أو سحبها من التداول
ومايترتب على ذلك من الأحكام الفقهية لجلال الدين السيوطي

تحقيق وتعليق

محمد علي بن حسين الحريري

المملكة العربية السعودية - أبها

المقدمة وملخص البحث

رسالة السيوطي (قطع المجادلة في تغيير المعاملة) مطبوعة ضمن كتاب [الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون] .

وقد طبع هذا الكتاب في جزأين بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد عام ١٩٥٩ - المكتبة التجارية الكبرى . وقد أشار معظم الباحثين إلى تلك الرسالة ، ولكنها تحتاج إلى إخراج منفصل لإعطاء بعض التوضيحات حول الظروف المحيطة بالرسالة وشرح بعض غوامضها والنقود المذكورة فيها ، وقد تناولت هذه الرسالة تحقيقًا وتعليقًا بعد أن قدمت لها بترجمة مؤلفها الإمام السيوطي ثم تحدثت عن أهم التطورات الاقتصادية في عصره ، وأعطيت القارئ فكرة موجزة عن النقود المتداولة في العصر المملوكي . ثم أثبت الرسالة المذكورة وعزوت نقول مؤلفها إلى مصادرها لا تهمة له - رحمه الله - وإنما قصدت مساعدة المهتمين في هذا الجانب الفقهي في إعطاء صورة أوضح عن الرسالة المذكورة . وأسأل الله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه ويكتب له القبول . وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين .

ترجمة الحافظ جلال الدين السيوطي

هو أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال ابن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين . . . الخضيري (١) السيوطي - نسبة إلى أسيوط من صعيد مصر - الشافعي .

ولد بعد مغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمان مئة (٨٤٩هـ) (أكتوبر ١٤٤٥م) (٢).

وأجداد السيوطي أهل رئاسة وعلم ووجاهة فأبوه من فقهاء الشافعية وقد ولي قضاء أسيوط ، وقد توفي - رحمه الله - عام (٨٥٥هـ) وابنه - الجلال - لما يبلغ السادسة - خمس سنوات وسبعة أشهر - وقد وصل في حفظ القرآن الكريم إلى سورة التحريم .

نشأ السيوطي يتيمًا ، وأسندت وصايته إلى جامعة منهم كمال الدين بن الهمام - الفقيه الحنفي المشهور صاحب كتاب (فتح القدير شرح الهداية) وكان مدرسًا للفقه في المدرسة الشيخونية كما ذكر ذلك السيوطي في بغية الوعاة ، ولهذا دخل السيوطي ضمن وظيفة الشيخونية (يجري عليه كيتيم جزء من أوقاف المدرسة) .

ظهرت على السيوطي مخايل الذكاء والفطنة منذ صغره وهيأ الله سبحانه له أسباب النجاح فكان آية في العلم والحفظ والنبوغ - أتم حفظ القرآن وهو في الثامنة ، وكان يحضر مجلس المحدث الحافظ ابن حجر العسقلاني وهو في الثالثة .

وشرع في الا[illegible] علم ابتداء من ربيع الأول ٨٦٤هـ فأخذ الفقه عن شيخ الشافعية في عصره (سراج الدين البلقيني)، ولازمه حتى مات فلزم ولده علم الدين البلقيني المتوفى ٨٦٨هـ فسمع منه الحاوي الصغير وشيء من المنهاج والتنبيه والروضة، وأخذ الفرائض عن شهاب الدين الشارمساحي، ولازم الشرف المناوي جد شارح الجامع الصغير وتوفي شيخه هذا (٨٧١هـ) فقرأ عليه شرح البهجة وبعض تفسير البيضاوي ولازم في العربية والحديث تقي الدين الشمني الحنفي المتوفى (٨٧٢هـ) ثم لازم الشيخ محي الدين محمد بن سلمان الرومي الحنفي أربع عشرة سنة فقرأ عليه التفسير والأصول العربية والمعاني، وحضر على سيف الدين الحنفي دروسًا في الكشاف والتوضيح وتلخيص المفتاح وشرح العضد وأخذ عن الجلال المحلي ت (٨٦٤هـ) وعز الدين أحمد بن إبراهيم الكناني الذي سماه (أبا الفضل) لما عرف محفوظاته، وأخذ عن البرهان إبراهيم ابن عمر البقاعي الشافعي المتوفى عام ٨٨٥هـ.

ومحي الدين الكافيجي الحنفي المتوفى ٨٧٩هـ لازمه أربع عشرة سنة وأخذ عن الشمس المرزباني والشمس الشبرامي - فقرأ عليهم الكافية وشرحها للمصنف، وبلغ عدد شيوخ السيوطي نحو (١٥١) شيخًا أثبتهم تلميذه الداودي. كما كتب السيوطي معجم شيوخه في ثبت خاص أسماه (حاطب ليل وجارف وسيل).

وانتفع بمكتبة المحمودية - جهة باب زويلة - التي أسسها محمود بن علي الاستادار عام ٧٩٧هـ وقال عنها ابن حجر في إنباء الغمر - أنها تحوي أنفس الكتب الموجودة في القاهرة. وكانت هذه المكتبة في أمانة الحافظ ابن حجر وتحتوي على أكثر من أربعة آلاف مجلد صنع لها ابن حجر فهرستًا، وكتب السيوطي فيها رسالته (بذل المجهود في خزانة محمود) نشرها فؤاد السيد في مجلة معهد المخطوطات وكثيراً ما كان علم الدين البلقيني والشرف المناوي يستعيران منها إعارة خاجية. وقد اكتملت للسيوطي أدوات الاجتهاد حتى أنه يعد - مجتهد المئة التاسعة - وكان سريع الكتابة حاضر البديهة صحيح العقيدة متواضعًا عابداً لا يقبل جوائز الملوك ودرّس وأفتى وتخرج به عدد من التلاميذ منهم: ابن طولون الصالحي (٣) ترك العديد من المؤلفات النافعة (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) و (المزهر في اللغة) و (الأشباه والنظائر النحوية) وبلغت مؤلفاته بين كبير وصغير نحو خمس مئة مؤلف.

وظائفه

- أجيز السيوطي بتدريس العربية مستهل عام ٨٦٦هـ.
- تعرض للفتوى منذ عام ٨٧٢هـ.
- أجيز بالإفتاء والتدريس عام ٨٧٦هـ.
- درس وأملى الحديث بجامع ابن طولون عام ٨٧٧هـ / ١٤٦٧م.
- ساعده الأمير إينال الأشقر حتى قرره مدرسًا للحديث بالشيخونية عام ٨٧٧هـ / ١٤٦٧م بعد وفاة الفخر عثمان المقدسي / كما ذكر السخاوي.
- تولى مشيخة التصوف بتربة برقوق نائب أهل الشام.

وبقي السيوطي متوليًا هذه الوظائف حتى ناهز الأربعين ثم انقطع عن كل الوظائف ليتفرغ للتأليف محتفظًا بمشيخة الخانقاه البيبرسية ومتمتعًا بوظيفتها الوافرة منذ تولاها إلى أن غضب عليه قايتباي آخر سنة ٩٠٠هـ / ١٤٩٥م بسبب طلوعه إلى الحضرة السلطانية وعلى رأسه الطيلسان مخالفًا التقاليد المرعية، ولكنه أصر على صحة موقفه وكتب رسالته في فضل الطيلسان.

توفي قايتباي المحمودي الأشرف الظاهري عام (٩٠١هـ / ١٤٩٦م) وتولى بعده ابنه محمد بن قايتباي الذي غضب على السيوطي بسبب الدس والوشاية من خصومه فلجأ السيوطي إلى الخليفة العباسي (المتوكل على الله عبدالعزيز) ليوليه قضاء القضاة في مصر والشام، ولكن القضاة اجتمعوا إلى الخليفة، ولم يتركوه حتى عدل عن قراره بتولية السيوطي تلك الوظيفة وبقي السيوطي على وظيفته بالبيبرسية حتى ثار عليه الصوفية واغتنم أعداؤه الفرصة ومنهم (طومان باي

الدوادار) فحوكم السيوطي وعزل واعتكف بمنزله في جزيرة الروضة - روضة المقياس - .

مرض السيوطي بورم شديد في ذراعه الأيسر ، واستمر مرضه سبعة أيام حتى وافته المنية - رحمه الله - في سحر ليلة الجمعة ١٩ جمادى الأولى عام ٩١١هـ/ أكتوبر ١٥٠٦م وقد أتم من العمر إحدى وستين وعشرة أشهر وثمانية عشر يومًا ، وصلى عليه بجامع الأفاريقي تحت القلعة - وصلى عليه الغائبة في دمشق بالجامع الأموي يوم الجمعة ٨ رجب ٩١١هـ .

ترك السيوطي - رحمه الله - ثروة كبيرة من المؤلفات تزيد على ست مئة كتاب ما بين الصغير والمتوسط والكبير والمطبوع المتداول منها يبلغ المئة تقريبًا في مجال الفقه والحديث والتاريخ واللغة العربية .

أما رسالته هذه (قطع المجادلة) فقد طبعت ضمن مجموعه (الحاوي للفتاوي ١/ ٩٥) وأشار إليها في حسن المحاضرة ١/ ٣٤٢ وذكرها صاحب كشف الظنون (٤) وكان أول تأليفه كما قال في ترجمته عام ٨٦٦هـ وعمره سبع عشرة سنة في شرح الاستعاذة والبسملة .

في منتصف القرن السابع الهجري (٦٥٦هـ) سقطت بغداد عاصمة الخلافة العباسية في يد التتار الذين قادهم هولاكو، وقتل المغول آخر خليفة عباسي ولجأ المستنصر بالله إلى مصر، وهناك سارع بيبرس ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م إلى إعلان خلافته لتستمر الخلافة العباسية في مصر إلى وقت مجيئ العثمانيين.

وقامت دولة المماليك البحرية على أنقاض الأيوبيين التي استمرت (٦٤٨ - ٧٨٤هـ/ ١٢٥٠ - ١٣٨٢م) لتقوم بعدها دولة المماليك الجراكسة - البرجية (٧٨٤ - ٩٢٢هـ/ ١٣٨٢ - ١٥١٧م) والدولة المملوكة بجزأيها دولة عسكرية متعسفة نشأ رجالها في أطباق القلعة وميادين التربية العسكرية الصارمة.

وفي القاهرة عاصمة الخلافة عاش السيوطي في ظل الحكم المملوكي وعاصر دولة الجراكسة (٧٨٤ - ٩٢٢هـ) التي تعاقب عليها ثلاثة عشر سلطانًا كان آخرهم قانصوه الغوري الذي سقط أمام السلطان سليم الأول ليبدأ العصر العثماني معلنًا نهاية العباسيين والمماليك .

لقد كان هذا العصر تاريخياً عصر النبوغ لعدد كبير من العلماء في شتى جوانب المعرفة (ابن حجر العسقلاني ٨٥٣هـ) (ابن عربشاه ٨٥٤هـ) (العيني ٨٥٥هـ) (أبو المحاسن ابن تغرى بردى ٨٧٤هـ) (السخاوي ٩٠٢هـ) (ابن إياس ٩١٥هـ) (المقريزي ٨٤٥هـ).

وبسقوط بغداد أمام الزحف المغولي هاجر العلماء والأدباء إلى مصر والشام ليجدوا سلاطين المماليك قد أقاموا الخوانق والرباطات ووقفوا عليها المال والضياع ، ومن ذلك خانقاه شيخون الناصري الذي ترك مدرسة للفقهاء الأربعة لها أوقاف ضخمة بعد وفاته عام ٧٥٨هـ(٥).

وغصت المدارس بخزائن الكتب التي تحوي نفائس المصنفات في عصر برزت فيه المجاميع الموسوعية (النويري ٧٣٢ - ابن فضل الله العمري ٧٤٨هـ - القلقشندي ٨٢١هـ) وهكذا توفر للسيوطي حياة محفوفة بالموسوعات والمكتبات الضخمة إضافة إلى إرث أسرة علمية فوالده من فقهاء الشافعية وقد ولي قضاء أسيوط .

عاصر السيوطي من المماليك الجراكسة ثلاثة عشر سلطانًا وهم :

- الظاهر جقمق ٨٤٢ - ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨ - ١٤٥٣م .
- المنصور عثمان ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م .
- الأشرف إينال ٨٥٧ - ٨٦٥هـ/ ١٤٥٣ - ١٤٦١م .
- المؤيد أحمد ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م .
- الظاهر خشقدم ٨٦٥ - ٨٧٢هـ/ ١٤٦١ - ١٤٦٧م .
- الظاهر ألباي ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م .
- الظاهر تمربغا ٨٧٢ - ٨٧٣هـ/ ١٤٦٧ - ١٤٦٨م .
- الأشرف قايتباي ٨٧٣ - ٩٠١هـ/ ١٤٦٨ - ١٤٩٦م .
- الناصر محمد بن قايتباي ٩٠١ - ٩٠٤هـ/ ١٤٩٦ - ١٤٩٨م .
- الظاهر قانصوه ٩٠٤ - ٩٠٥هـ/ ١٤٩٨ - ١٥٠٠م .
- الأشرف جانبلاط ٩٠٥ - ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠ - ١٥٠١م.

- العادل طومان باي ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م .
- الأشرف قانصوه الغوري ٩٠٦ - ٩٢٢هـ/ ١٥٠١ - ١٥١٦م .

لقد سيطرت دولة المماليك على التجارة العالمية بين الشرق والغرب وصارت مصر في عهدهم محطة للتجارة العالمية يشهد لذلك تلك الرسائل الكثيرة بين سلاطين المماليك وملوك أوربا ولا سيما المدن الإيطالية - (البندقية - جنوة) وكانت تجارة التوابل أهم المواد التي تمر عبر مصر إلى أوربا وقد ازدادت ثروة المماليك زيادة بالغة ولم تتأثر هذه التجارة إلا عندما نجحت الاكتشافات الجغرافية في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح الذي يربط أوربا بالهند مباشرة دون المرور بمنطقة المتوسط والبحر الأحمر .

لقد كانت التجارة الشرقية شبه احتكار في يد الكارمية - التجار المصريين - حتى نقلها إلى الدولة السلطان الأشرف (برسباي) وبقيت تجارة التوابل خاصة يحتكرها المماليك الجراكسة حتى الفتح العثماني(٦) .

لقد شهد العالم الإسلامي في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي حدثين مهمين كان لهما أكبر الأثر في حركة التجارة العالمية وهما :

١ - فتح القسطنطينية ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م حيث وضعت المعركة نهاية العصور الوسطى وبداية العصر الحديث .
٢ - اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح حيث وصل البرتغاليون بحرًا من الهند حول أفريقيا عام ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م .

وكان لهذين الحدثين دور في زعزعة سلطان المماليك على البحر المتوسط فبعد فتح القسطنطينية استمرت الخلافات بين المماليك والعثمانيين مدة طويلة استمرت أكثر من ستين عامًا حتى انتهت باستيلاء السلطان سليم الأول على مصر والشام والعراق . وكان لسقوط القسطنطينية نتائج مهمة من أبرزها تدفق التجار الأجانب بأعداد ضخمة إلى دولة المماليك فانتعشت تجارتها الخارجية وخفف المماليك ضرائبهم الجمركية ومنح التجار إعفاءات كثيرة في مصر والشام وسمح لهم بتوسيع وكالاتهم وتجديدها ، وإنشاء المصارف والمخازن والفنادق وتعيين وكلاء لقناصلهم في الموانئ التجارية ونشطت العمليات المصرفية بعد نقل مراكز التجارة الرئيسة من القسطنطينية إلى مصر والشام ، ونظم ذلك بمعاهدات وتحالفات شهدها العالم الإسلامي في الفترة بين فتح القسطنطينية وسقوط المماليك ؛ هذا في الوقت الذي صادر العثمانيون الوكالات والمصارف في القسطنطينية التي يملكها تجار البندقية وفلورنسه . واتجه العثمانيون بكل إمكاناتهم إلى الناحية الحربية .

وبالرغم من الحظر البابوي على تجار إيطاليا أن يبيعوا المماليك ما يخدم الصناعة الحربية في أواخر الفترة الصليبية عام ١٢٩١م فقد عادت الكنيسة ورفعت الحظر وشجعت البنادقة وغيرهم على التجارة مع المماليك بعد أن حدث للتجار ما لا يسرهم في القسطنطينية(٧) فشهدت مصر بعثات أوربية لعقد الاتفاقات التجارية ونجحت شركة - جاك كير - في فتح فروع جديدة قاربت (٣٠٠) فرع بين دول غرب أوربا وشرق البحر المتوسط تعمل بالأنظمة المالية والمصرفية المعروفة .

كما ازدهرت تجارة البندقية مع بيروت ودمشق بفضل الامتيازات الخاصة الممنوحة لهم من المماليك(٨) وكان لبيزة وفلورنسا وجنوة وكالات ومصارف في مدن الساحل الشامي والمصري تطبق نظم تلك المدن نفسها ، ولكن اتساع نشاط البرتغاليين في الهند ضرب تجارة المماليك الشرقية ضربة قاصمة فأصبحت سفن البنادقة ترجع من موانئ الشام ومصر بنصف حمولتها أو فارغة ، وكانت هذه السفن تترك في مستودعاتها في الشرق ما قيمته ٣٠٠,٠٠٠ (دوك) ومثلها من النقد البندقي كحساب جار لها في الجمارك ويبقى خمسة عشر تاجرًا بعد الرحيل يتَسوقون للمدة التالية . أما بعد سيطرة البرتغال على تجارة الهند تنخفض هذه الأرقام إلى الربع تقريبًا مما سبب رحيل البنادقة إلى لشبونة حيث استمالهم ملكها إلى جانبه ، وحاول عمانويل ملك البرتغال احتكار تجارة الشرق كلها لبلاده لتحقيق عدة أغراض منها :

- الضرب على أيدي المسلمين ، والإقلال من ثرواتهم والانتقام منهم سياسياً ودينياً .

- نقل السيطرة التجارية من البندقية إلى البرتغال .

وقد صرح فاسكو دوغاما لدى عودته من الهند عام ١٥٠٣ أن رحلته موجهة أساسًا ضد سلطان مصر - المملوكي (٩) . وأصبح موقف البرتغال قوياً بعد أن اقتنع بالربح القليل حتى يثبت دعائم تجارته وبسيطرته على ذهب إفريقية ونشره قراصنته في البحر المتوسط والأحمر . أضف إلى ذلك أن تجارة مصر والشام كلها كانت بيد سلاطين المماليك وأصبح - الكارمية - تجار مصر يعملون لحساب قانصوه الغوري والتجارة من السلطان كما يقول ابن خلدون مضرة بالجباية مفسدة للرعايا .

ثم حسم الموقف بسيطرة العثمانيون على الشام ومصر عام ١٥١٦ - ١٥١٧م . لقد كانت الفترة بين سقوط القسطنطينية ١٤٥٣م وظهور البرتغاليين في المياه الهندية ١٤٩٨م والتي تبلغ نصف قرن تقريبًا هي فترة ازدهار التجارة المملوكية ، ولكن هذا الازدهار خبت جذوته في الربع الأول من القرن السادس عشر الميلادي وبالتحديد إلى أن سقطت مصر بيد الدولة العثمانية ، وعندها ينتهي العصر الذهبي لتجار البحر المتوسط (١٠) .

النقود في عصر المماليك ٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م

يعد عصر المماليك أكثر العصور اضطرابًا فقد ساءت أحوال الناس بكثرة مصادرات الحكومة وشراء حاصلات الناس بأبخس الأثمان . وقد ضرب المماليك النقود الذهبية والفضية والفلوس النحاسية ، وقد كثرت الفلوس حتى اشتهر عصر المماليك بعصر النحاس . وتحتفظ المتاحف بالدنانير والدراهم التي ضربتها شجرة الدر - أم خليل في مستهل عام ٦٤٨هـ ونقود أيبك - ٦٥٢هـ وابنه نور الدين علي بن أيبك ٦٥٥هـ ثم نقود قطز عام ٦٥٧هـ . ودرهم ودينار الظاهر بيبرس ٦٥٨هـ المتميز بصورة السبع والمضروب في القاهرة والإسكندرية وبعهد الظاهر بيبرس انتقلت الخلافة العباسية رسمياً إلى القاهرة وضرب اسمه على نقود المماليك لمدة قصيرة . وكان الذهب معيار النقد المملوكي يخضع لتغييرات في العيار والوزن والحجم ويحدد السلطان سعر صرفه بحسب رغبته وإصدار النقد لحسابه الخاص . وأصبح الدرهم يدل دلالة مزدوجة على النقد الفضي والنحاسي (١١) . فهناك درهم فضة ودرهم فلوس وحتى نهاية القرن الثامن ظل الذهب والفضة قاعدة النقد المملوكي واحتفظ النقد الفضي بعياره (٢/٣) فضة وكان صرف الدينار الذهبي ما يعادل ٢٠ - ٣٠ درهمًا (١٢) وفي بداية القرن التاسع نشطت حركة تهريب الفضة إلى أوربا وظهرت الدراهم الحموية الرديئة ، وكان غالبها من النحاس وثلثها من الفضة وانقطع ضرب (الدراهم النقرة) التي عرفها عصر الكامل الأيوبي وكثر الغش والزغل في النقد ، وفقدت الفضة من الأسواق وبقي الذهب والفلوس ؛ بل أصبح النحاس قاعدة النقد في بداية القرن التاسع وإن ظهرت بعض الدراهم القليلة - دراهم برقوق ٧٨٩هـ بمصر والنوروزية بدمشق ٨١٥هـ والمؤيدي ٨٥٢هـ ودرهم قايتباي ٨٩٢هـ .

ولكن الفلوس كثرت إلى أن بيعت بالحراج - المزايدة - وأصبحت عرضًا متضخمًا ، وهي المسألة التي حملت السيوطي على تأليف رسالته المشهورة - ٨٨١هـ - قطع المجادلة عند تغيير المعاملة . ثم سيطر الذهب الأجنبي المسكوك في البندقية ففي ٣١/ ١١/ ١٢٨٤م أي في عهد قلاوون ضربت البندقية عملتها الذهبية - الدوكات - وعرفها الشرق باسم - (بندقي - إفرنتي) كما ضربت فلورنسا - دينارها - فلورين - والمعروف باسم (أفلوري) ولم يكن له رواج البندقي - وأشار المقريزي وابن تغرى بردى إلى شيوع هذه النقود في مصر منذ بداية القرن التاسع الهجري .

لقد ورث المماليك النظام النقدي السائد في الدولة الأيوبية فقد أبطل صلاح الدين الأيوبي نقود مصر بعد

موت الملك العادل نور الدين فأمر في شوال عام ٥٨٣هـ بإبطال النقود المصرية وضرب الدينار ذهبًا مصريًا كما ضرب الدراهم الناصرية نسبة إليه وجعلها من الفضة الخالصة والنحاس نصفين (نصف فضة ونصف نحاس) وبقي الدرهم الفضي بهذه الصورة حتى جاء محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب فأبطل الدرهم الناصري ، وأمر في ذي القعدة عام ٦٢٢هـ بضرب دراهم على ثلاثة أثلاث ثلثيها فضة وثلثها نحاس . وحافظ المماليك على ذلك حتى جاء الملك الظاهر بيبرس فضرب الدراهم الظاهرية بنسبة ٧٠٪ فضة و ٣٠٪ نحاس ووضع عليها صورة - سبع - رنك الملك الظاهر بيبرس ، ولم تزل الدراهم الظاهرية (بيبرس) والكاملية (الكامل ناصر الدين محمد بن العادل) في مصر والشام حتى فسدت بدخول الدراهم الحموية في عهد برقوق - فتعنت الناس في قبولها وفي عهد برقوق عين - محمود بن علي (أستادارًا) فأكثر من ضرب الفلوس النحاسية وبطل ضرب الدراهم وكثرت الفلوس كثرة هائلة .

وفي رمضان عام ٨١٧هـ قدم الملك المؤيد شيخ من دمشق بعد قتل نوروز الحافظي نائب دمشق فوصل مع العسكر شيء من الدراهم البندقية والدراهم النوروزية فتعامل الناس بها ، وحسن موقعها عند الناس لبعد عهدهم بالدرهم . وضرب المؤيد شيخ الدراهم المؤيدية وطرحت في سوق التبادل عام ٨١٨هـ .

ونشط الفرنجة في جلب النحاس الأحمر لضربه فلوسًا ، ويأخذون بدلاً منها الفضة وبكثرة الفلوس صار النقد المتداول في الأسواق حيث تقدر الأثمان بالدينار والدرهم من الذهب والفضة ولكن التبادل يتم بما يعادلها من الفلوس .

وفي عام ٨٠٠هـ - ابتدئ بضرب الفلوس النحاس وبطل تقدير الأشياء بالمبايدة (الدراهم المؤيدية) وكثرت الفلوس كثرة فاحشة . وتفاقم الأمر عام ٨٠٦هـ وصار التعامل بها وزنًا ، وقد حدثت ثورة شعبية عام ٨١٥هـ اضطرت المماليك لوضع السيف بالعامة الذين رفضوا التعامل بالفلوس بعد مسخ وزنها إلى حد أن الدرهم صار تسع أعشاره من النحاس [١٣] .

لقد حافظ العصر المملوكي الأول على نسبة ثابتة بين الدرهم والدينار - فالدينار غالبًا عشرون درهمًا وربما بلغ سعره ٢٥ - ٢٨ درهمًا [١٤] .

أما في العصر المملوكي الثاني ولا سيما في عصر فرج برقوق فقد هبطت قيمة الدرهم حتى صار الدينار عام ٨٠٥هـ يعادل ٦٠ - ٦٥ درهمًا [١٥] . وفي عام ٨١٥ - ٨٢٦هـ تراوحت قيمة الدينار بين ٢٣٠ - ٢٨٥ درهمًا [١٦] . ومنذ عام ٨٥٨ - ٨٦١هـ صار الدينار يعادل ٣٦٠ - ٣٧٠ درهمًا وبلغ عام ٨٦٢هـ مقدار ٤٦٠ درهمًا ، وهو أقل قيمة انخفض إليها الدرهم في العصر المملوكي [١٧] .

هذا بالنسبة لسعر الصرف وهناك أسباب أخرى أورثت النظام النقدي الاضطراب والخراب منها أن الدينار والدرهم كوحدة حسابية لم يكن الناس أمامهما سواء فالنظام الإقطاعي قضى بالتفرقة بين طوائف المقطعين في قيمة الدينار الذي يحاسبون به فدينار الإقطاع الفلاني قد يقل أو يكثر عن دينار إقطاع آخر [١٨] أضف إلى ذلك نشاط مزيفي النقود من (الزغلية) فقد كثرت العملة المزورة ، وقد أصدر السلطان (إينال) قانونًا جديدًا للعملة وضرب على أيدي الزغلية وشنق عشرة منهم على باب زويلة [١٩] وربما مارس بعض السلاطين الغش بتصرفاتهم ، فقد أنقص الغوري وزن العملة وأدخل فيها نسبة أكبر من النحاس . ولاختلاف أوزان العملة بين حين وآخر لجأ المماليك إلى التعامل بها وزنًا لا عددًا كما حدث ذلك في الفلوس . وقد احتوى الرطل على عدد من الفلوس يتراوح بين ٢٤ - ٣٦ - ٤٠ فلسًا تبعًا لوزن الفلس زيادة أو نقصًا والعادة أن يكون وزن الفلس مثالاً (٤,٢٥ جرام) لكنه لم يكن بهذا الوزن دائمًا ؛ بل تناقص وزنه في أواخر عصر المماليك حتى صار كل (١١٨) رطلاً من الفلوس بمبلغ (٥٠٠ درهم) نقرة [٢٠] .

ولكل هذه الأسباب عانى الناس ضائقة مالية واقتصادية تحت وطأة الضرائب المستمرة وكثرة النفقات التي يطلبها الولاة في المواسم والمناسبات فانتشر الغلاء

وكثرت الأوبئة والطواعين وإذا ثار عامة الناس فالسيف لهم بالمرصاد وكثيراً ما يثورون ويفتكون ببعض المسئولين حتى أن السلطان قايتباي تحاشى الطريق الذي اعتاد أن يسلكه وسط القاهرة سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م فكان يدخل القلعة من بين الترب حتى لا يشكو له الناس بسبب الفلوس الجدد .

ويمكننا باختصار تلخيص أنواع المملوكية بالنقود التالية :

أولاً: الدنانير الذهبية حيث إن الدينار الذهبي الإسلامي هو صاحب السيادة وقد وجد لمعظم سلاطين المماليك وحدات نقدية ذهبية تمثل قاعدة النقد في البلاد حتى ولو لم يتم الدفع بها أصلاً ، وقد ضربت هذه الدنانير في القاهرة والإسكندرية وكانت بمثابة غطاء مهم لميزانية الدولة المملوكية .

ثانيًا: الوحدات النقدية الفضية ويتم بها تحديد مدفوعات الدولة من الرواتب والمصروفات ، وكان أهمها (الدراهم النقرة) وثلثاها فضة وثلثها أو أقل من النحاس وكانت تضرب دراهم صحاح وقرضات مقصوصة وكانت هذه الدراهم أساس ميزان المدفوعات كما يتضح ذلك من الوثائق المملوكية .

ثالثًا: الوحدات النقدية النحاسية وهي عصب نقود المعاملة التي تساعد على مرونة العمليات التجارية في الأسواق في الصفقات الصغيرة الحجم لنفقات البيوت ولأغراض ففي عام (٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م) ضربت فلوس تزن مثقالاً وحدد الدرهم بـ ٢٤ فلسًا وفي عهد العادل كتبغا تقرر التعامل بالفلوس وزنًا فحدد الرطل من هذه الفلوس بدرهمي فضة ثم انهار سعرها في عهد الناصر محمد بن قلاوون ، ومازال وزن الفلوس يتناقص حتى تولى (محمود ابن علي الأستادار) في عهد برقوق (٧٨٤ - ٧٩١هـ/ ١٣٨٢ - ١٣٨٩م) الذي أغرق الأسواق بالفلوس وأضاف إليها رءوس المسامير وقطع الرصاص والنحاس ، وأرسل إلى أوربا لاستيراد النحاس حيث وجد العملية تدر أرباحًا طائلة على حساب الناس وكثرت الفلوس حتى صارت النقد الوحيد في التعامل القانوني ، وتنسب إليها المبيعات وقيم الأعمال وصرف بالقاهرة الدينار الذهبي بـ ١٥٠ فلسًا بينما صرف في الإسكندرية بـ ٣٠٠ فلس [٢١] .

لقد احتل (الدرهم النقرة) مكانة الصدارة بعد ندرة الذهب وحافظ النظام النقدي على نسبة حسابية معلومة بين الدينار والدرهم حيث تقدر المدفوعات بالذهب ويتم الدفع الفعلي بالفضة ، وفي نهاية عصر المماليك عز الدينار والدرهم معًا ، وأصبحت الفلوس هي النقد الرئيسي المتداول وهنا يأتي دور - دولار ذلك العصر وهو الدوكات البندقية .

البندقي - الدوكات المشخصة - [دولار العصر المملوكي]

عرفت البندقية نوعين من النقود :

البندقي الفضي - والبندقي الذهبي .

البندقي الفضي : عرف هذا النقد باسم (جرسو - Grosso) وهو النقد الأقدم وقد ضرب في عهد الدوق - هنري داندولو - (٥٩٠ - ٦٠٢هـ/ ١١٩٣ - ١٢٠٥م) واختلف المؤرخون في تحديد السنة التي سك فيها هذا النوع من النقود فيذكر (ديل) [٢٢] أنه ضرب عام ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م بينما يرجح محمد باقر الحسيني [٢٣] أن تاريخ ضربه كان عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م .

البندقي الذهبي : وهو ما يسمى - الدوكات - وهو الأحدث حيث تم سكه بأمر مجلس شيوخ البندقية في جمادى الثانية عام ٦٨٣هـ/ أكتوبر ١٢٨٤م في عهد الدوق / جيوفاني داندولو / في فترة حكمه (٦٧٩ - ٦٨٨هـ/ ١٢٨٠ - ١٢٨٩م) والبندقي الذهبي وهو النقد الرئيسي للبندقية ، وقد حافظ البنادقة على نقاء عياره ومنذ عام (٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م) أطلق عليه اسم - **Sequin** - ولعلها كلمة - (سنكو - شينكو) التي ذكرها الكرملي في كتابه [٢٤] وعرفها بأنها «كلمة إيطالية الأصل معناها (خمسة) وهي نقد مصري كان أصله نحواً من خمس فرنكات فتغير سعره بتغير الزمن» وظل هذا الاسم مستخدمًا في مصر حتى قدوم الحملة الفرنسية إليها عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٨م [٢٥] وقد ضرب البنادقة كميات كبيرة من هذه الدوكات - الذهبية -

بلغ عددها في كل عام مليون قطعة تقريبًا . وقد أطلق على هذه النقود البندقية عدة أسماء هي - الدوكات - في أوربا كما سميت في المشرق العربي - البندقي - الإفرنتي - (الإفرنسي) كما سميت أحيانًا (المشخصة) نسبة إلى صور القديسين المنقوشة على أحد وجهيها وصورة - دوق البندقية على الوجه الآخر - كما ذكره - عبدالرحمن فهمي في كتابه (النقود العربية في العصر المملوكي) ص ٨٣ والقلقشندي في صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤١ .

وقد وصلت هذه الدوكات الذهبية البندقية إلى مصر وبقية بلاد الشرق العربي عن طريق التجارة مع جمهورية البندقية فيذكر عبدالرحمن فهمي أن هذه الدوكات ظهرت في مصر عام (٧٠٩هـ/ ١٣٠٢م) أي بعد ثماني عشرة سنة من سكها ولكن المقريزي يذكر أن تداول هذه النقود يرجع إلى عام (٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م) .

حيث يذكر أنه زاد تداول الدوكات الذهبية بشكل يفوق سائر العملات الذهبية الأخرى عام (٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م) وتم تداولها في القاهرة والشام والحجاز واليمن وغيرها [٢٦] ولا سيما بعد الحرب التي قامت بين جنوة والبندقية (٧٨٠ - ٧٨٣هـ/ ١٣٧٨ - ١٣٨١م) .

ومن أهم أسباب انتشار هذه النقود البندقية في مصر وغيرها من دول المشرق العربي دقة سك هذه النقود واستدارتها ووزنها الثابت وعيارها المرتفع . في الوقت الذي كانت النقود الذهبية المملوكية المعاصرة لها تعاني من اضطراب وزنها وانخفاض عيارها حتي رجع التعامل بها إلى الوزن لا العدد بعكس الدوكات البندقية التي استمر التعامل بها على أساس العدد كما ذكر القلقشندي .

لقد صارت هذه الدوكات هي النقود المطلوبة في التجارة الدولية عامة وفي تجارة العالم الإسلامي بشكل خاص مما أدى إلى تسرب كميات من ذهب الشرق العربي إلى البندقية لتزويد دور السك فيها بالمعادن اللازمة لضرب الدوكات ، وبذلت الجمهوريات الإيطالية جهدًا كبيرًا للحصول على الذهب وبأسعار مرتفعة لتغمر الأسواق بنقودها الذهبية التي تتمتع بالرواج الكبير .

لقد وصلت الدوكات الذهبية إلى مصر مع التجار الغربيين لشراء التوابل عبر الصفقات الرسمية وغير الرسمية ، وكذلك مع الحجاج النصارى إلى فلسطين .

ويتفق المؤرخون أن وزن الدوكات بشكل متوسط ٣,٥٠ جرام . وقال القلقشندي أن الدوكة الواحدة تعادل ١٩,٥ قيراط بالمصري [٢٧] . كانت البندقية منذ (القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) وحتى (القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي) أعظم دول البحر المتوسط غنًى وثراء بسبب الازدهار التجاري ، حيث عقدت الصفقات التجارية مع مصر ودول المشرق وكان لها قنصل الإسكندرية يرعى مصالحها كما كانت لها جالية في بالإسكندرية تمتعت بالكثير من الامتيازات [٢٨] مما دفعها للحفاظ على علاقاتها الطيبة مع هذه المدينة .

فقد عقد البنادقة مع الملك العادل الأيوبي اتفاقية تحوي عددًا من الامتيازات المهمة في الأسواق المصرية [٢٩] وهذا ما دفع الدوق (هنري داندولو) إلى تحويل الحملة الصليبية الرابعة عن مصر إلى القسطنطينية عام (٦٠١هـ/ ١٢٠٤م) وطلب مجلس شيوخ البندقية من البابا عام (٧٣٩هـ/ ١٣٣٧م) وعام (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م) السماح للبنادقة بالتجارة مع المسلمين ووافق البابا على تلك العلاقات التجارية التي استمرت على أحسن حال إلى حين اكتشاف رأس الرجاء الصالح ١٤٩٨م وتحويل التجارة في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي .

ولا شك أن الثقة التي يتمتع بها النقد البندقي الذهبي كانت سببًا في فقدان الثقة بالنقد المملوكي مما سبب إزعاجًا لسلاطين المماليك الذين اعتبروا تداول الدوكات الذهبية البندقية هجومًا على الدنانير المملوكية .

حاول السلطان الناصر فرج بن برقوق سحب الدوكات من التداول وضرب نقودًا إسلامية مملوكية تحل محلها فقام بمحاولتين أولاهما عام (٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م) حيث أمر وزيره يلبغا السالمي بضرب الدينار السالمي [٣٠] ، واستمر تداول هذا الدينار ثماني سنوات تقريبًا ، ولكنه فشل في أن يحل محل الدوكة البندقية لأنه - السالمي - كان يقدر في

الأسواق بأقل من قيمته ، ولم يتمكن من مزاحمة الدوكة البندقية ذات السمعة الدولية ، وربما كان نقص الذهب المعد لسكه سببًا في فشله وأعيدت هذه المحاولة عام (٨١١هـ/ ١٤٠٨م) عندما ضرب الناصري ، ولكن المحاولة فشلت أيضًا وانحطت قيمة الناصري عن قيمة الدوكة البندقية [٣١] .

استطاع الأشرف (برسباي) عام (٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م) أن يضرب **الدينار الأشرفي** وسمح للتجار بتداول الدوكات والأشرفي على قدم المساواة بالرغم من ارتفاع نسبة الذهب في الدوكة مما جعل الأشرفي يباع في الأسواق بأكثر من قيمته ، وتمكن برسباي من إقناع البنادقة بضرب نقودهم عنده في مصر ليقلل من ضرب الصور على العملة ثم أصدر أمره في صفر (٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م) بإبطال التعامل بالنقود الذهبية التي تحمل صور الكفار وجمعها وصهرها وضربها دنانير أشرفية تحمل وزن الدوكات نفسها ٣,٤٥ جرام .

والجدير بالذكر أن وزن الدينار السالمي والناصري والأشرفي يعادل وزن الدوكة البندقية تقريبًا - ٣,٤٥ جرام .

لقد كان من أهم عوامل نجاح الأشرفي في تحدي الدوكات البندقية تلك الغنائم التي غنمها برسباي من حملته إلى قبرص عام ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م ومنها الفدية التي دفعت له مقابل عتق أسر الملك جيمس الأول ملك قبرص وبلغت حوالي (٢٠٠) مئتي ألف دوكة ذهبية [٣٢] وهي التي ساعدته على ضرب ديناره الأشرفي ومنذ سنة ٨٢٩هـ أصبحت السيادة للدينار الإسلامي على النقود الذهبية البندقية ، واستمرت حتى نهاية القرن التاسع للهجرة مع استمرار التعامل بالدوكات حتى العصر العثماني .

وسار جقمق (٨٤٢ - ٨٥٦هـ/ ١٤٣٨ - ١٤٥٢م) على سياسة الأشرف برسباي ولكن احتكار السلاطين لتجارة الفلفل والبهارات قلل من تدفق الذهب إلى الأسواق فارتفع سعره وهبط سعر الفضة مما اضطر المماليك الجراكسة إلى عقد اتفاقية مع البندقية عام ١٣٤٥هـ تخفف من ضريبة الجمارك على الذهب المستورد لدور السك إلى ٢٪ بدلاً من ١٠٪ .

ولم ينفع هذا العلاج في جلب الذهب إلا لمدة قصيرة فعادت الأسواق والمبادلات إلى المقايضة وخاصة في التجارة الخارجية فكان قانصوه الغوري يبادل التوابل بالنحاس مع البنادقة لينشط ضرب الفلوس النحاسية بعدة أشكال حتى خسر الناس قسمًا كبير من ثرواتهم [٣٣] .

وهناك نوع من العملة استخدمها المماليك تسمى - **القراطيس** - ويساوي القرطاس منها - ٦ فلوس - وكان هذا سائرًا في دمشق حتى أبطلها الناصر محمد عام ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م حين ضرب فلوسه الجدد في مصر وجعل التعامل بها في دمشق - ومصطلح **الفلوس الجدد** ترجع أولاً إلى السلطان حسن الذي ضرب هذه الفلوس النحاسية وجعل وزن الفلس مثقالاً ، وكل فلس منها قيراط ١/ ٢٤ من الدرهم مطبوعة بالسكة السلطانية عام ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م وهناك فلوس جدد ضربها جمال الدين محمود الاستادار في عهد السلطان فرج كما ضرب قايتباي فلوسًا جديدة عام ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م [٣٤] .

ويبدو أن الفارق بين الجدد والعتق هو الضرب على السكة السلطانية فما لم يضربه السلطان بسكته يعدّ عتيقًا ولو كان من عهد من سبقه .

أما الدراهم فوجد منها أربعة أنواع : أجودها وأعلاها قيمة ما عرف باسم **النقرة** ، ويتكون من فضة ونحاس ووزنه ١٦ قيراطًا أي ينقص عن المثقال ، وقدر كل سبعة مثاقيل بعشرة دراهم وزنًا وقيمة هذا الدرهم ٢٤ فلسًا ، وتطبع بدور الضرب بالسكة السلطانية ، ويكون فيها دراهم صحاح وقراضات مكسرة ، وقدر وزن الدرهم النقرة بست عشرة حبة خروب ، فتكون معا خروبتين ثم درهم ، والخروبة ثلاث حبات من حب البر المعتدل [٣٥] .

الأسود والبندقي

والنوع الثاني من الدراهم ما عرف باسم «الدراهم السود» ويقدر الواحد منها بثلث درهم نقرة وهو قليل الاستعمال ، ورجح أن نعتها بالسود جاء لتغير لونها لطول الزمن ولذا ميزت الدراهم الجديدة أو البيض ، وكذلك النقرة ما ضربه السلاطين في العهود المختلفة ، على أن

الدراهم الجديدة تقل عن الدرهم النقرة، فمثلاً قدر الدرهم المؤيدي بثلاثة أرباع درهم النقرة، وعرفت الدراهم السود كذلك باسم «البغلية» نسبة إلى رجل يهودي كان يضربها في فارس يسمى «بغل» وهي على أية حال دراهم أجنبية ومن الدراهم الأجنبية الدرهم «البندقي» جاء عن طريق التبادل التجاري مع البندقية وأحضر منه السلطان المؤيد شيخ ورجاله كمية كبيرة في عودته من الشام ٨١٧هـ/ ١٤١٤م وهذه هي العملة الفضية (٣٦).

أما الدنانير الذهبية فالعادة أن يكون وزنها مثقالاً ٤,٢٥ جرام لكن وجد في سلاطين المماليك من ضرب دنانير تقل عن المثقال أو تزيد، فقد ضرب فرج بن برقوق دنانير وزنها (٢,٥ مثقال، ١,٥ مثقال، ١,٢٥ مثقال) وتبعًا لاختلاف الأوزان ونسبة ما فيها من المعادن غير الذهب اختلفت قيم الدينار من الدراهم التي يقدر بها فدينار بيبرس بـ٢٨ درهمًا ودينار الناصر بـ٢٥ درهمًا ... وهكذا وظهر في عصر المماليك مصطلح (الدينار الجيشي) وهو مسمى حسابي لا وجود له حقيقة، وإنما هو اصطلاح تعارفه ديوان الجيش والإقطاعات فهي دنانير عادية وإن اختلفت أسعارها من الدراهم باختلاف جنسية المقطع ووضعه في المدرج الإقطاعي، والعادة أن يكون سعر هذا الدينار -١٣,٥- من دراهم النقرة و ٤٠ درهمًا من الدراهم السود ومن المقطعين من حوسب بالدينار كاملاً ومنهم من حوسب بنصف الدينار، وقدر سعر دينار أجناد الحلقة والمماليك السلطانية بعشرة دراهم.

ومن أسماء الدنانير المتداولة الأشرفية وهي أشهرها وأجودها ومنه - البرسبيهي - نسبة إلى (بارسباي) ومن القايتباهي والغوري والعثماني (٣٧).

لقد تعرضت العملة الذهبية في العصر المملوكي للتلاعب في عيارها وتغيير وزنها وتعديل حجمها مما أفقدها ثقة المتعاملين، ومنذ عصر (برسباي) الذي احتكر المتاجر الداخلية والتوابل الشريفة، بدأ الاضطراب عندما أنقص معدل العملة بأنواعها الثلاثة (ذهب - فضة - نحاس) مع الاحتفاظ بقيمتها الاسمية كما جمع العملات الأجنبية من السوق (البندقي والإفلوري) وأعاد سكها ذهبًا مع النقص في العيار مما ألحق الخسائر الفادحة بالتجار الأجانب والوطنيين، ولا يقبل اعتذار القلقشندي أن النقص لتغطية كلفة ضربها (٣٨) فقد استمر النقص في العيار إلى نهاية الدولة المملوكية كما احتفظ الدينار الذهبي - باسمه المشهور - الأشرفي - حتى الفتح العثماني.

وقد نشطت عملية تزييف النقود - الزغلية - مما حمل جقمق على جمع النقود من عصر المؤيد شيخ إلى عصر جقمق وإعادة سكها عام ٨٦٢هـ/ ١٤٥٨م ومع أن هذه العملية كشفت المزيفين، ولكن الناس اشتكوا من سوء العملة وانخفاض عيارها ولا سيما الفضة (٣٩).

وفي عهد الأشرف - إينال - عام ١٤٥٣م ثبت سعر الأشرفي على ٣٣٥ درهمًا في الصرف و ٣٤٠ درهمًا في المعاملة.

والمنصوري الذي ضربه جقمق يعادل ٢٩٥ درهمًا في الصرف، و ٣٠٠ درهم في المعاملة (٤٠) وفي عهد السلطان قايتباي (٨٧٣ - ٩٠١هـ/ ١٤٦٨ - ١٤٩٦م) نودي بتثبيت سعر الذهب والفضة وضرب السلطان فضة جديدة وجعل سعر الدينار الذهب بثلاث مئة (من الفلوس).

وضرب الدرهم الفضة - وكل درهم نصفان - وصرف الدينار الأشرفي بـ ٢٥ نصفًا - جيدة من خالص الفضة وأبطل سائر المعاملات من الفضة المغشوشة التي كان قد وصل الدينار منها إلى ٤٦٠ درهمًا فخسر الناس من هذا ثلث أموالهم (٤١).

وكان ناظر الخاص (مدير مالية السلطان) على عهد قايتباي قد ضرب فلوسًا جديدة، وقصد أن يخرجها بأغلى من الفلوس العتيقة فثار العامة واستقر الرأي على أن تكون الفلوس العتيقة والجديدة بالميزان - وكل رطل منها بستة وثلاثين درهمًا (٤٢).

أما الدراهم الفضية فالمفروض أن ثلثيها فضة والثلث نحاس، ولكن نسبة النحاس زادت حتى لا يميز أحد بين دراهم الفضة والدراهم الفلوس.

بل وصل الأمر بالسلطان الغوري أن يفاوض البنادقة ليدفعوا ثمن التوابل الشريفة نحاسًا لشدة حاجته إلى العملة أثناء اشتداد الأزمة النقدية ووضوح الخطر العثماني (٤٣).

قطع المجادلة عند تغيير المعاملة

الحمدلله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد : فقد كثر السؤال عما وقع في هذه الأزمان (٤٤) وهو اختلاف الخصوم بعد المناداة على الفلوس (٤٥) كل رطل (٤٦) بثلاثين درهمًا بعد أن كانت ستة وثلاثين درهمًا وهل يطالب من عليه الدين بقيمته يوم اللزوم أو يوم المطالبة ؟ (٤٧) .

وهل يأخذ من الفلوس الجدد المتعامل بها عدداً بالوزن أو بالعدد ؟

فرأيت أن أنظر في ذلك وفي جميع فروعه تخريجاً (٤٨) على القواعد الفقهية ، وكذا لو نودي على الذهب أو الفضة ، وقد وقع في سنة إحدى وعشرين وثمانمائة عكس ما نحن فيه وهو عزة الفلوس وغلوها – أي غلاء قيمتها – بعد كثرتها ورخصها .

[فتوى البلقيني في هذه القضية]

وتكلم في ذلك قاضي القضاة (٤٩) جلال الدين البلقيني كلامًا مختصراً فنسوقه ثم نتكلم بما وعدنا به .

نقلت من خط شيخنا قاضي القضاة شيخ الإسلام علم الدين البلقيني – رحمه الله – قال في فوائد الأخ شيخ الإسلام جلال الدين وتحريره ما قال اتفق في سنة إحدى وعشرين وثمانمائة عزة الفلوس بمصر وعلى كل الناس ديون في مصر من الفلوس ، وكان سعر الفضة قبل عزة الفلوس كل درهم بثمانية دراهم من الفلوس ثم صار بتسعة .

وكان الدينار الافلوري (٥٠) بمائتين وستين درهمًا من الفلوس والهرجة (٥١) بمائتين وثمانين والناصري (٥٢) بمائتين وعشرة .

وكان القنطار المصري ستمائة درهم فعزت الفلوس ونودي على الدرهم بسبعة دراهم وعلى الدينار بناقص خمسين (٥٣) .

فوقع السؤال عمن لم يجد فلوسًا وقد طلب منه صاحب دينه الفلوس فلم يجدها فقال أعطني عوضًا عنها ذهبا أو فضة بسعر يوم المطالبة ما الذي يجب عليه ؟ (٥٤) .

[القياس على إبل الدية]

وظهر لي في ذلك أن هذه المسألة قريبة الشبه من مسألة ابل الدية والمنقول في ابل الدية (٥٥) أنها إذا فقدت فإنه يجب قيمتها بالغة ما بلغت على الجديد (٥٦) .

قال الرافعي (٥٧) فتقوم الإبل بغالب نقد البلد وتراعى صفتها في التغليظ فإن غلب نقدان البلد تخير الجاني .

وتقوم الإبل التي لو كانت موجودة وجب تسليمها فإن كانت له إبل معيبة وجبت قيمة الصحاح من ذلك الصنف وإن لم يكن هناك إبل فيقوم من صنف أقرب البلاد إليهم (٥٨) . وحكى صاحب التهذيب (٥٩) وجهين في أنه هل تعتبر قيمة مواضع الوجود أو قيمة بلد الإعواز لو كانت الإبل موجودة فيها ؟ والأشبه الثاني . ووقع في لفظ الشافعي أنه يعتبر قيمة يوم الوجوب والمراد على ما يفهمه كلام الأصحاب يوم وجوب التسليم .

ألا تراهم قالوا أن الدية المؤجلة على العاقلة تقوم كل نجم منها عند محله ، وقال الروياني (٦٠) إن وجبت الدية والإبل مفقودة فتعتبر قيمتها يوم الوجود .

أما إذا وجبت وهي موجودة فلم يتفق الأداء حتى أعوزت تجب قيمة يوم الإعواز ؛ لأن الحق حينئذ تحول إلى القيمة . انتهى (٦١) .

قال : فهذه تناظر مسألتنا لأنه وجب عليه متقوم معلوم الوزن وهو قنطار من الفلوس مثلاً فلم يجده (٦٢) .

فإن جرينا على ظاهر النص الذي نقله الرافعي فلا يلزمه الحاكم إلا بقيمة يوم الإقرار فينظر في سعر الذهب والفضة يوم الاقرار ويحكم عليه القاضي بذلك .

وإن قلنا بما قاله الروياني فتجب قيمتها يوم الإعواز فإن الأقارير كانت قبل العزة انتهى ما أجاب به ابن البلقيني (٦٣) .

واعلم أنه نحا في جوابه إلى اعتبار قيمة الفلوس وذلك لأنها إذا عدمت أو عزت فلم تحصل إلا بزيادة والمثلي إذا عدم أو عز فلم يحصل إلا بزيادة لم يجب تحصيله كما صححه النووي في الغصب بل يرجع إلى قيمته (٦٤) .

وإنما نبهت على هذا لئلا يظن أن الفلوس من المتقومات ، وإنما هي من المثليات في الأصح والذهب والفضة المضروبان مثليان بلا خلاف إلا أن في المغشوش منهما وجهًا أنه متقوم (٦٥) .

كيف تترتب الفلوس دينًا في الذمة ؟ – (القرض)

إذا تقرر هذا فأقول : تترتب الفلوس في الذمة بأمور ، منها القرض وقد تقرر أن القرض الصحيح يرد فيه المثل مطلقًا فإذا اقترض منه رطل فلوس فالواجب رد رطل من ذلك الجنس سواء زادت قيمته أم نقصت (٦٦) .

أما في صورة الزيادة فلأن القرض كالسلم وسيأتي النقل فيه (٦٧) وأما في صورة النقص فقد قال في الروضة (٦٨) من زوائده : لو أقرضه نقدًا فأبطل السلطان المعاملة به فليس له إلا النقد الذي أقرضه نص عليه الشافعي – رضي الله عنه – فإذا كان هذا مع إبطاله فمع نقص قيمته من باب أولى .

ومن صورة الزيادة أن تكون المعاملة بالوزن ثم ينادى عليها بالعدد ويكون العدد أقل وزنًا . وقولي فالواجب (٦٩) إشارة إلى ما يحصل الإجبار عليه من الجانبين هذا على دفعه وهذا على قبوله وبه يحكم الحاكم أما لو تراضيا على زيادة أو نقص فلا إشكال ؛ فإن ردَّ أكثر من قدر القرض جائز بل مندوب وأخذ أقل منه إبراء من الباقي (٧٠) .

وقولي من ذلك الجنس احتراز من غيره كأن أخذ بدله عروضًا أو نقدًا ذهبًا أو فضة وهذا مرجعه إلى التراضي أيضًا فإنه استبدال وهو من أنواع البيع ولا يجبر فيه واحد منهما فإن أراد أخذ بدله فلوسًا من الجدد المتعامل بها عددًا فهل هو من جنسه لكون الكل نحاسًا أو لا لاختصاصه بوصف زائد وزيادة قيمة ؟ محل نظر والظاهر الأول لكن لا إجبار فيها أيضًا لاختصاصها بما ذكر فإن تراضيا على قدر فذاك وإلا فلا يجبر المدين على دفع رطل منها ؛ لأنه أزيد قيمة ولا يجبر الدائن على أخذ قدر حقه منها عددًا لأنه أنقص وزنًا (٧١) .

فإن عدمت الفلوس العتق فلم توجد أصلاً رجع إلى قدر قيمتها من الذهب والفضة ، ويعتبر ذلك يوم المطالبة فيأخذ الآن لو قدر انعدامها في كل عشرة أرطال دينار ولو اقترض منه فلوسًا عددًا كستة وثلاثين ثم أبطل السلطان المعاملة بها عددًا وجعلها وزنًا كل رطل بستة وثلاثين كما وقع في بعض السنين فإن كان الذي قبضه معلوم القدر بالوزن رجع بقدره وزنًا ، ولا تعتبر زيادة قيمته ولا نقصها (٧٢) .

وإن لم يكن وزنه معلومًا فهو قرض فاسد لأن شرط القرض أن يكون المقرض معلوم القدر بالوزن أو الكيل وقرض المجهول فاسد والعدد لا يعتبر به .

والمقبوض بالقرض الفاسد يضمن بالمثل أو بالقيمة وهنا تعذر الرجوع إلى المثل للجهل بقدره فيرجع إلى القيمة ، وهل يعتبر قيمة ما أخذه يوم القبض أو يوم الصرف ؟

الظاهر الأول فقد أخذ ما قيمته يوم قبضه ستة وثلاثين فيرد ما قيمته الآن كذلك وهو رطل أو مثله من الفضة أو الذهب .

فإن وقع مثل ذلك في الفضة (٧٣) فإن اقترض منه أنصافًا (٧٤) بالوزن ثم نودي عليها بأنقص أو بأزيد أو بالعدد أو اقترض عددًا ثم نودي عليه بالوزن فلا يخفى قياسه على ما ذكرنا (٧٥) .

[السلم]

(فصل) ومنها السلم والأصح جوازه في الدراهم والدنانير والفلوس بشرطه (٧٦) ومعلوم أنه لا يتصور فيه قسم العدد لاشتراط الوزن فيه فإذا حل الأجل لزمه القدر الذي أسلم فيه وزنًا سواء زادت قيمته عما كان وقت (تسليمه) السلم أم نقصت ويجب تحصيله بالغًا ثمنه ما بلغ ؛ فإن عدم فليس إلا الفسخ والرجوع برأس المال أو الصبر إلى الوجود ولا يجوز الاستبدال عنه (٧٧) فإن كان رأس المال فلوسًا وهي باقية بعينها أخذها ، وإن تلفت رجع إلى مثلها وزنًا .

الثانية : أن يبيع بألف فلوسًا أو فضة أو ذهبًا ثم يتغير السعر فظاهر عبارة الروضة المذكورة أن له ما يسمى ألفًا عند البيع ولا عبرة بما طرأ ويحتمل أن له ما يسمى ألفا عند المطالبة ، وتكون عبارة الروضة محمولة على الجنس لا على القدر وهذا الاحتمال وإن كان أوجه من حيث المعنى إلا أنه لا يتأتى في صورة الإبطال إذ لا قيمة حينئذ إلا عند العقد لا عند المطالبة ويرده أيضًا التشبيه بمسألة الحنطة إذا رخصت (٧٨) .

الثالثة : أن يبيعه بعدد من الفضة أو من الفلوس كعشرة أنصاف أو مائة فلس في الذمة وهي مجهولة الوزن فهذا البيع فاسد والمقبوض به يرجع بقيمته فيما

أطلقه الشيخان (٧٩) بما بيع به ، وليس من غرضنا ، وأن قلنا يرجع في المثلى منه بالمثل كما صححه الأسنوي (٨٠) فكان المبيع فلوسًا فالحكم فيه كالمغصوب وسيأتي .

[البيع بثمن مؤجل]

(فصل) ومنها ثمن ما بيع به في الذمة قال في الروضة وأصلها : لو باع بنقد معين أو مطلق وحملناه على نقد البلد فأبطل السلطان ذلك النقد لم يكن للبائع إلا ذلك النقد كما لو أسلم في حنطة فرخصت فليس له غيرها . وفيه وجه شاذ ضعيف أنه مخير إن شاء أجاز العقد بذلك النقد وإن شاء فسخه كما لو تعيب قبل القبض . انتهى (٨١) فأقول هنا صور . أحدها أن يبيع برطل فهذا ليس له إلا رطل زاد سعره أم نقص سواء كان عند البيع وزنًا فجعل عددًا أم عكسه ، وكذا لو باع بأوقية فضة أو عشرة أنصاف - وهي خمسة دراهم أو دنانير ذهب - ثم تغير السعر فليس له إلا الوزن الذي سمى (٨٢) .

[الأجرة - الصداق - بدل الغصب - المقبوض ببيع فاسد]

(فصل) ومنها الأجرة وفيها الصور الثلاثة المذكورة في البيع والرجوع في الثالثة إلى أجرة المثل (٨٣) .

(فصل) - ومنها الصداق وفيه الصور المذكورة أيضًا والرجوع في الثالثة إلى مهر المثل (٨٤) .

(فصل) - ومنها بدل الغصب بأن غصب فلوسًا أو فضة أو ذهبًا ثم تغير سعرها فإن تغير إلى نقص لزمه رد مثل يساوي المغصوب في القيمة في أعلى أحواله من الغصب إلى التلف .

أو إلى زيادة لزمه رد المثل وزنًا والزيادة للمالك فإن كان المغصوب عدديا فالقول قول المغاصب في قدر وزنه لأنه غارم (٨٥) .

(فصل) - ومنها المقبوض بالبيع الفاسد وحكمه حكم الغصب وهو اعتبار أكثر القيمة من يوم القبض إلى يوم التلف .

[الإتلاف]

(فصل) - ومنها الإتلاف بلا غصب ويرجع فيه إلى المثل وزنًا من غير اعتبار نقص ولا زيادة ، وكذا لو بيعت الفلوس أو الفضة أو الذهب ثم حصل تقابل بعد تلفها رجع إلى مثلها وزنًا ، وكذا لو كانت ثمنًا وتلفت ثم رد المبيع بعيب أو غيره ، وكذا لو التقطت وجاء المالك بعد التملك والتلف فالرجوع في الكل إلى المثل وزنا ولا يعتبر ما طرأ من زيادة السعر أو نقصه ، وكذا لو بيعت ثم حصل تحالف وفسخ وهي تالفة فيما صححه صاحب المطلب لكن الذي أطلقه الشيخان وجوب القيمة فيه وعلى هذا تعتبر قيمتها يوم التلف (٨٦) .

[العارية]

ومنها لو استعيرت فإن الأصح جواز إعارة الدراهم والدنانير للتزين ، والذي أطلقه الشيخان في تلف العارية الرجوع بالقيمة ويعتبر يوم التلف .

وصحح السبكي (٨٧) الرجوع بالمثل في المثلي والمعتمد إطلاق الشيخين ، ومنها لو أخذت على جهة السوم (٨٨) فتلفت وفيها القيمة ، ويعتبر يوم القبض فيما صححه الإمام ويوم التلف فيما صححه غيره .

ومنها لو أخذت على جهة الزكاة المعجلة (٨٩) واقتضى الحال الرجوع وهي تالفة رجع بمثلها وزنا وكذا لو جعلت صداقا ثم تشطر (٩٠) وهي تالفة رجع بنصف مثلها وزنا ومنها لو أداها الضامن عن المضمون حيث له الرجوع وحكمه حكم القرض .

(فصل في حكم ذلك في الأوقاف)

إذا شرط الواقف لأرباب الوظائف معلومًا من أحد الأصناف الثلاثة (٩١) ثم تغير سعرها عما كان حالة الوقف فله حالان .

الأول : أن يعلق ذلك بالوزن بأن يشترط مثقالاً من الذهب أو عشرة دراهم من الفضة أو رطلاً من الفلوس فالمستحق الوزن الذي شرطه زاد سعره أم نقص .

الثاني : أن يعلقه بغيره كثلاثمائة مثلاً ويكون هذا القدر قيمة الدينار يومئذ أو قيمة اثني عشر درهمًا ونصفًا أو قيمة عشرة أرطال من الفلوس فالعبرة بما قيمته ذلك . فلو زاد سعر الدينار فصار بأربعمائة فله في الحال الأول دينار وفي الثاني ثلاثة أرباع دينار ولو نقص فصار بمائتين فله في الحال الأول دينار وفي الثاني دينار ونصف . وكذا

لو زادت قيمة دراهم الفضة أو نقصت أو قيمة أرطال الفلوس فالمستحق ما يساوي ثلاثمائة في الحال الثاني وما هو الوزن المقرر في الحال الأول [٩٢] .

(فـصل) - إذا تحـصل ربع الوقف عند الناظر أو المباشر أو الجابي فنودي عليه برخص نظر فإن حصل منه تقصير في صرفه بأن شرط الواقف الصرف في كل شهر فحصل الريع في الشهر الثاني وأخر الصرف يومًا واحدًا مع حضور المستحقين في البلد عصى وأثم ولزمه ضمان ما نقص بالمناداة في ماله لأنه كالغاصب بوضع يده عليه وحبسه عن المستحقين [٩٣] .

وإن نودي عليه والحالة هذه بزيادة كانت للوقف كما هو واضح ، وإن لم يحصل منه تقصير بأن كان شرط الواقف الصرف في كل سنة مثلاً فحصل الريع قبل تمام السنة أو حصل عند الوقت الذي شرط الصرف عنده بعض الريع وهو يسير جدًا بحيث لا يمكن قسمته وأخر ليجتمع ما يمكن قسمته فهذا لا تقصير فيه والنقص الحاصل يكون من ضمان الوقف ولا يدخل على المستحقين منها شيء كما لو رخصت أجرة عقار الوقف فإنه على الوقف ولا ينقص بسببها شيء من معاليم المستحقين ، ولو نودي عليه والحالة هذه بزيادة كانت للوقف ثم عند الصرف إلى المستحقين يراعى ما قدمناه في الحالين المذكورين في الفصل الذي قبل هذا ويعمل بما يقتضيه .

(فصل في الوصية) - إذا أوصى له بأحد الأصناف الثلاثة وتغير سعرها من الوصية إلى الموت فالظاهر أنها على الحـالين المذكـورين في الوقف أن علق بالوزن فللموصى له ما ذكر سواء زاد السعر أم نقص كما لو أوصى له بثوب فزادت قيمته أو نقصت ، وإن علق بالقدر استحق القدر المسمى [٩٤] .

[نفقة الولد]

(فصل) - ومما وقع السؤال عنه من طلق زوجته وله منها ولد وقدر له القاضي فرضًا كل شهر مائة درهم بمعاملة تاريخه فهل يلزمه ، تغير السعر ما قدره مائة يوم التقرير أو يوم الدفع وأقول :

إن كان الولد رضيعًا والتقرير أجرة الرضاع فالحكم ما سبق في الأجرة أنها على ثلاث صور ، وهذه الصورة هي الثانية فظاهر ما في الروضة في مسألة البيع أن عليه ما يسمى مائة عند التقرير وعلى الاحتمال الذي ذكرناه أن عليه ما يسمى مائة يوم المطالبة . وأن كان الوليد فطيمًا فالمقرر نفقة القريب وأصل الواجب فيها إنما هو الأصناف بقدر الكفاية فإذا رأى الحاكم تقرير عوض عن ذلك من النقود أو الفلوس ثم تغير السعر فهذا الذي قرر ليس بلازم بدليل أنه لو زاد سعر القوت والأدم احتيج إلى زيادة على المقرر فالواجب عليه في هذه الصورة ما يسمى مائة عند المطالبة قطعًا ولا يطرقه احتمال أصلاً [٩٥] .

(فصل) - ودين المكاتبة يأتي فيه ما في البيع [٩٦] ودين المخارجة ليس بلازم والمدار فيه على قدرة العبد .

(فصل) - وقع السؤال عن طباخ الشيخونية [٩٧] يأخذ أنصباء المستحقين من الطعام والخبز فيبيعها ثم يدفع لهم في آخر الشهر قدراً معلومًا أقل مما باع وأقول :

إن كان أخذه لها على جهة الشراء من أربابها فهذا اشتراء فاسد لأنه شراء ما لم يوجد بعد فحكمه في البيع والقبض حكم المبيع الفاسد فيضمنه بقيمته من النقود .

وإن كان على جهة أنه وكيل عن أربابها في البيع فهو وكيل بجعل فبيعه وقبضه صحيح ثم أن جعل ثمن نصيب كل واحد على حدة ، ولم يخلطه بغيره ولا تصرف فيه دفعه إليه برمته وله منه القدر الذي شرط له كالثلث مثلاً ، وإن تصرف فيه فهو متعد بالتصرف فالقدر الذي تصرف فيه يضمنه بمثله والباقي يدفعه بعينه وإن خلطه ضمنه أيضًا بمثله [٩٨] .

(فرع) - من فتاوى ابن الصلاح [٩٩] سئل عن رجل تزوج امرأة على مبلغ من الفلوس في الذمة فانعدم النحاس فهل يرجع إلى قيمة الفلوس بقيمة البلد الذي عقدوا النكاح فيه أم بقيمة البلد الذي تطالب فيه . ؟

فأجاب لا يرجع إلى قيمتها أصلاً كما لا يرجع إلى قيمة المسلم فيه عند تعذره ، وإنما يثبت لها الرجوع إلى مهر المثل بالفسخ أو الانفساخ .

وهذه فوائد نختم بها الكتاب

الأولى - يكره للإمام إبطال المعاملة الجارية بين الناس لما أخرجه أبو داود عن ابن مسعود قال «نهى رسول الله ﷺ أن تكسر سكة المسلمين الجارية بينهم إلا من بأس» [١٠٠].

الثانية : أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن كعب قال : «أول من ضرب الدينار والدرهم آدم عليه السلام» [١٠١].

الثالثة : قال في شرح المهذب قال الشافعي والأصحاب : يكره للإمام ضرب الدراهم المغشوشة للحديث الصحيح (من غش ليس منا) ولأن فيه إفساداً للنقود وإضراراً بذوي الحقوق وغلاء الأسعار وانقطاع الأجلاب وغير ذلك من المفاسد ، قال أصحابنا : ويكره لغير الإمام ضرب المغشوش لما ذكرناه في الإمام ولأن فيه افتئاتا على الإمام ، ولأنه يخفى فيغتر به الناس بخلاف ضرب الإمام [١٠٢].

الرابعة : قال الأصحاب يكره لغيره الإمام ضرب الدراهم والدنانير وإن كانت خالصة لأنه من شأن الإمام ولأنه لا يؤمن فيه الغش والفساد [١٠٣].

الخامسة : قال الأصحاب : من ملك دراهم مغشوشة كره له إمساكها ؛ بل يسبكها ويصفيها قال القاضي أبو الطيب [١٠٤] إلا إذا كانت دراهم البلد مغشوشة فلا يكره إمساكها قال في شرح المهذب : وقد نص الشافعي على كراهة إمساك المغشوشة ، واتفق عليه الأصحاب لأنه يغربه ورثته إذا مات وغيرهم في الحياة كذا علله الشافعي وغيره [١٠٥].

السادسة : قال في شرح المهذب : إذا كان الغش في الدراهم مستهلكًا بحيث لو صفيت لم يكن له صورة جازت المعاملة بها بالاتفاق ، وإن لم يكن مستهلكًا فإن كانت الفضة معلومة لا تختلف صحة المعاملة بها على عينها الحاضرة وفي الذمة بالاتفاق أيضًا .

وإن كانت الفضة التي فيها مجهولة ففيها أربعة أوجه **أصحها** الجواز بعينه وفي الذمة لأن المقصود رواجها ولا يضر اختلاطها بالنحاس ، كما لا يجوز بيع المعجونات بالاتفاق وإن كانت أفرادها مجهولة المقدار ، **والثاني** المنع لأن المقصود الفضة وهي مجهولة كما لا يجوز بيع اللبن المخلوط بالماء بالاتفاق ، **والثالث** يصح بأعيانها ولا يصح التزامها في الذمة كما يجوز بيع الحنطة المختلطة بالشعير بعينه ولا يصح السلم فيها ولا قرضها ، **والرابع** إن كان الغش فيها غالبًا لم يجز وإلاّ جاز [١٠٦].

[من تاريخ النقود الإسلامية - الدرهم]

السابعة : قال الخطابي [١٠٧] كان أهل المدينة يتعاملون بالدراهم عدداً وقت قدوم رسول الله ﷺ ويدل عليه قول عائشة - رضي الله - عنها في قصة شرائها بريرة : إن شاء أهلك أن أعدها لهم عدة واحدة فعلت تريد الدراهم فأرشدهم النبي ﷺ إلى الوزن وجعل المعيار وزن أهل مكة .

وكان الوزن الجاري بينهم في الدرهم ستة دوانيق - وهو درهم الإسلام في جميع البلدان - وكانت الدراهم قبل الإسلام مختلفة الأوزان في البلدان فمنها البغلي وهو ثمانية دوانيق والطبري أربعة دوانيق ، وكانوا يستعملونها مناصفة مائة بغلية ومائة طبرية فكان في المائتين منها خمسة دراهم زكاة .

فلما كان زمن بني أمية قالوا إن ضربنا البغلية ظن الناس أنها التي تعتبر للزكاة فيضر الفقراء ، وإن ضربنا الطبرية ضر أرباب الأموال فجمعوا الدرهم البغلي والطبري وفعلوهما درهمين كل درهم ستة دوانيق [١٠٨].

وأما الدنانير فكانت تحمل إليهم من بلاد الروم فلما أراد عبدالملك بن مروان ضرب الدنانير والدراهم سأل عن أوزان الجاهلية فأجمعوا له على أن المثقال اثنان وعشرون قيراطًا إلا حبة بالشامي ، وأن كل عشرة من الدراهم سبعة مثاقيل فضربها . انتهى كلام الخطابي [١٠٩].

وقال الماوردي في الأحكام السلطانية . استقر في الإسلام وزن الدرهم ستة دوانيق كل عشرة سبعة مثاقيل واختلف في سبب استقرارها على هذا الوزن ، فقيل كانت في الفرس ثلاثة أوزان منها درهم على وزن المثقال عشرون قيراطًا ودرهم اثنا عشر ودرهم عشر فلما احتيج في الإسلام إلى تقديره أخذ الوسط من جميع الأوزان الثلاثة - وهو اثنان وأربعون قيراطًا - فكان أربعة عشر قيراطًا من قراريط المثقال ، وقيل إن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - رأى الدراهم مختلفة منها البغلي ثمانية دوانيق والطبري أربعة دوانيق واليمني دانق واحد فقال انظروا أغلب ما يتعامل به الناس من أعلاها وأدناها فكان البغلي والطبري فجمعها فكانا اثني عشر دانقًا فأخذ نصفها فكان ستة دوانيق فجعله درهم الإسلام [١١٠].

قال : واختلف في أول من ضربها في الإسلام فحكى عن سعيد بن المسيب أن أول من ضربها في الإسلام عبدالملك بن مروان . قال أبو الزناد : أمر عبدالملك بضربها في العراق سنة أربع وسبعين

من الهجرة ، وقال المدائني بل ضربها الحجاج في آخر سنة خمس وسبعين ثم أمر بضربها في النواحي سنة ست وسبعين .

قال وقيل أول من ضربها مصعب بن الزبير بأمر أخيه عبدالله بن الزبير سنة سبعين على ضرب الأكاسرة ثم غيرها الحجاج - انتهى كلام الماوردي [١١١] .

[سبب تعريب الدنانير]

قال ابن عبدالبر في التمهيد : كانت الدنانير في الجاهلية وأول الإسلام بالشام وعند عرب الحجاز كلها رومية تضرب ببلاد الروم عليها صورة الملك واسم الذي ضربت في أيامه مكتوب بالرومية ووزن كل دينار منها مثقال كمثقالنا هذا - وهو وزن درهمين ودانقين ونصف وخمسة أسباع حبة .

وكانت الدراهم بالعراق وأرض المشرق كلها كسروية عليها صورة كسرى واسمه فيها مكتوب بالفارسية ووزن كل درهم منها مثقال - فكتب ملك الروم - واسمه - لاوي ابن قرفط - إلى عبدالملك أنه قد أعد له سككًا ليوجه بها إليه فيضرب عليها الدنانير فقال عبدالملك لرسوله : لا حاجة لنا فيها قد عملنا سككًا نقشنا عليها توحيد الله واسم رسوله ﷺ وكان عبدالملك قد جعل للدنانير مثاقيل من زجاج لئلا تغير أو تحول إلى زيادة أو نقصان ، وكانت قبل ذلك من حجارة وأمر فنودي أن لا يتبايع أحد بعد ثلاثة أيام من ندائه بدينار رومي فضرب الدنانير العربية وبطلبه الرومية [١١٢] .

[المقادير الشرعية معلومة]

(قال القاضي عياض) : لا يصح أن تكون الأوقية والدراهم مجهولة في زمن رسول الله ﷺ وهو يوجب الزكاة في أعداد منها ، ويقع بها المبايعات والأنكحة كما ثبت في الأحاديث الصحيحة قال : وهذا يبين أن قول من زعم أن الدراهم لم تكن معلومة إلى زمن عبدالملك بن مروان وأنه جمعها برأي العلماء وجعل كل عشرة وزن سبعة مثاقيل ووزن الدرهم ستة دوانيق قول باطل ، وإنما معنى ما نقل من ذلك أنه لم يكن منها شيء من ضرب الإسلام وعلى صفة لا تختلف بل كانت مجموعات من ضرب فارس والروم وصغارًا وكبارًا وقطع فضة غير مضروبة ولا منقوشة ويمنية ومغربية فرأوا صرفها إلى ضرب الإسلام ونقشه وتصييرها وزنًا واحدًا وأعيانًا يستغني فيها عن الموازين فجمعوا أكبرها وأصغرها وضربوه على وزنهم [١١٣] .

وقال الرافعي [١١٤] : أجمع أهل العصر الأول على التقدير بهذا الوزن وهو أن الدرهم ستة دوانيق كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل ، ولم يتغير المثقال في الجاهلية ولا الإسلام وقال النووي في شرح المهذب : الصحيح الذي يتعين اعتماده واعتقاده أن الدراهم المطلقة في زمن رسول ﷺ كانت معلومة الوزن معروفة المقدار - وهي السابقة إلى الأفهام عند الإطلاق وبها تتعلق بالزكاة وغيرها من الحقوق والمقادير الشرعية - ولا يمنع من هذا كونه كان هناك دراهم أخرى أقل أو أكثر من هذا القدر فإطلاق النبي ﷺ الدراهم محمول على المفهوم عند الإطلاق وهو كل درهم ستة دوانيق كل عشرة سبعة مثاقيل ، وأجمع أهل العصر الأول فمن بعدهم إلى يومنا هذا ولا يجوز أن يجمعوا على خلاف ما كان في زمن رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين .

وأما مقدار الدرهم والدينار فقال الحافظ أبو محمد عبدالحق [١١٥] في كتاب الأحكام قال ابن حزم بحثت غاية البحث عند كل من وثقت بتمييزه فكل اتفق على أن دينار الذهب بمكة وزنه ثنتان وثمانون حبة وثلاثة أعشار حبة من حب الشعير المطلق ، والدرهم سبعة أعشار المثقال فوزن الدرهم المكي سبع وخمسون وستة أعشار حبة وعشر عشر حبة والرطل مائة درهم وثمانية وعشرون درهمًا بالدرهم المذكور - هذا كلام ابن حزم [١١٦] قال النووي بعد إيراده في شرح المهذب وقال غير هؤلاء : وزن الرطل البغدادي مائة وثمانية وعشرون درهمًا وأربعة أسباع درهم وهو تسعون مثقالاً . انتهى [١١٧] .

وقال ابن سعد في الطبقات : حدثنا محمد بن عمر الواقدي حدثني عبدالرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : ضرب عبدالملك بن مروان الدنانير والدراهم سنة خمسة وسبعين وهو أول من أحدث ضربها ونقش عليها .

وفي الأوائل للعسكري أنه نقش عليها اسمه [١١٨] ، وأخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق الحميدي عن سفيان قال سمعت أبي يقول : أول من وضع وزن سبعة الحارث بن أبي ربيعة يعني العشرة عددًا سبعة وزنًا [١١٩] .

وأخرج ابن عساكر عن مغيرة قال : أول من ضرب الدراهم الزيوف عبيد الله بن زياد وهو قاتل الحسين [١٢٠] ، وفي تاريخ الذهبي أول من ضرب الدراهم في بلاد المغرب عبدالرحمن بن الحكم الأموي القائم في الأندلس في القرن الثالث ، وإنما كانوا يتعاملون بما يحمل إليه من دراهم المشرق [١٢١] .

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي جعفر قال: القنطار خمسة عشر ألف مثقال والمثقال أربعة وعشرون قيراطًا، وأخرج ابن جرير في تفسيره عن السدى في قوله تعالى: (والقناطير المقنطرة) قال يعني المضروبة حتى صارت دنانير أو دراهم (١٢٢).

دراهم النقرة في العصر المملوكي

الفائدة الثامنة: في تحرير الدراهم النقرة (١٢٣) التي كان يتعامل بها في القرن الثامن وشرطها أرباب الدولة القلاوونية في أوقافهم كشيخون (١٢٤) وصرغتمش (١٢٥) ونحوهما.

قال الذهبي في تاريخه في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة أمر الخليفة المستنصر بضرب الدراهم الفضة ليتعامل بها بدلاً عن قراضة الذهب (١٢٦) فجلس الوزير وأحضر الولاة والتجار والصيارفة وفرشت الأنطاع وأفرغ عليها الدراهم، وقال الوزير: قد رسم مولانا أمير المؤمنين بمعاملتكم بهذه الدراهم عوضًا عن قراضة الذهب رفقًا بكم وإنقاذًا لكم من التعامل بالحرام من الصرف الربوي فأعلنوا بالدعاء ثم أديرت بالعراق وسعرت كل عشرة بدينار فقال الموفق أبو المعالي بن أبي الحديد الشاعر في ذلك:

لا عدمنا جميل رأيك فينا	أنت باعدتنا عن التطفيف
ورسمت اللجين حتى ألفنا	هـ وما كان قبل بالمألوف

ليس للجمع كان منعك للصرف ولكن للعد والتعريف

وقال ابن كثير: في تاريخه. في سنة ست وخمسين وسبعمائة: رسم السلطان الملك الناصر بضرب فلوس جدد على قدر الدينار ووزنه وجعل كل أربعة وعشرين فلسا بدرهم (١٢٧) وكان قبل ذلك الفلوس العتق كل رطل ونصف بدرهم (١٢٨).

وهذا صريح في أن الدراهم النقرة كان سعرها كل درهم ثلثا رطل من الفلوس كما أن ما قاله الذهبي صريح في أنه كان سعرها حين ضربت كل درهم عشر دينار. وقال الحافظ ابن حجر في تاريخه. إنباء الغمر في سنة ست وسبعين وسبعمائة بيع الأردب القمح بمائة وخمسين درهمًا نقرة وقيمتها إذ ذاك ست مثاقيل ذهب وربع انتهى. وهذا على أن كل عشرين درهمًا مثقال، وقال ابن حجر أيضًا في هذه السنة: غلا البيض بدمشق فبيعت الحبة الواحدة (بثلث درهم) من حساب ستين بدينار (١٢٩) وهذا أيضًا على أن كل عشرين درهمًا مثقال.

[الفلوس في النقود الإسلامية]

التاسعة: التعامل بالفلوس قديم قال الجوهري في الصحاح - الفلس يجمع على أفلس وفلوس وقد أفلس الرجل صار مفلسًا كأنما صارت دراهمه فلوسًا وزيوفًا ويجوز أن يراد به أنه صار إلى حال يقال فيها ليس معه فلس (١٣٠). انتهى. وهذا يدل على وجودها في زمن العرب وقال سعيد ابن منصور في سننه - ثنا محمد بن أبان عن حماد عن إبراهيم قال: لا بأس بالسلف في الفلوس - أخرجه الشافعي في الأم (١٣١) والبيهقي في سننه (١٣٢) دليلاً على أنه لا ربا في الفلوس وإبراهيم هو النخعي، وهذا يدل على وجودها في القرن الأول وأخرج ابن شيبة في المصنف عن مجاهد قال لا بأس بالفلس بالفلسين يدا بيد (١٣٣) وأخرج عن حماد مثله، وأخرج عن الزهري أنه سئل عن الرجل يشترى الفلوس بالدراهم قال: هو صرف فلا تفارقه حتى تستوفيه (١٣٤)، وذكر الصولي في كتاب الأوراق (١٣٥) أنه في سنة إحدى وسبعين ومائتين ولي هرون ابن إبراهيم الهاشمي حسبة بغداد في زمن الخليفة المعتمد فأمر أهل بغداد أن يتعاملوا بالفلوس فتعاملوا بها على كره ثم تركوها.

[ما تفعله بالنقود المغشوشة]

العاشرة: أخرج سعيد بن منصور في سننه عن عمر ابن الخطاب قال: من زافت عليه ورقة فلا يخالف الناس أنها طياب وليبتع بها سمل ثوب أو سحق ثوب، وأخرج أيضًا عن الشعبي أن عبدالله بن مسعود باع نفاية بيت المال زيوفًا وقسيات دراهم دون وزنها فذكر ذلك لعمر ابن الخطاب فنهاه وقال: (أوقد عليها حتى يذهب ما فيها من نحاس أو حديد حتى تخلص الفضة ثم بع الفضة بوزنها) (١٣٦).

الحادية عشرة: أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد ابن المسيب قال: قرض الدراهم والدنانير من الفساد في الأرض. وأخرج عن عطاء في قوله تعالى: (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) (النمل ٤٨) قال كانوا يقرضون الدراهم (١٣٧).

الثانية عشرة: قال العسكري في الأوائل (١٣٨) - أول من اتخذ السنة الموازين من الحديد عبدالله بن عامر بن كريز (١٣٩) انتهت الرسالة.

الهوامش

١ – الخضيرية : محلة في بغداد في الجانب الشرقي تعرف بسوق صفير – معجم البلدان ١١٢/٣ ولعل أحد أجداده كان منها وانتقل إلى بغداد .

٢ – حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة – تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم – أول ج٢ .

٣ – للتوسع في ترجمته (بدائع الزهور ٣٠٧/٢ – حسن المحاضرة ١٩٠/١ – الضوء اللامع ٦٥/٤ – الكواكب السائرة ١/ ٢٢٨ – شذرات الذهب ٥٤/١ – ٥٥ – الأعلام للزركلي ٧١/٤).

٤ – انظر دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها – (أحمد الخازندار – محمد إبراهيم الشيباني – ط١ – ١٤٠٣ – نشر مكتبة ابن تيمية .

٥ – البداية والنهاية – ابن كثير الدمشقي ٢٥٨/١٤ .

٦ – النجوم الزاهرة – ابن تغرى بردى ج٢، ص ١٦٨ .

٧ – طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى – د . نعيم زكي فهمي – ص ١٣ – ٤٣ .

٨ – اتفاقية بين البنادقة والسلطان أحمد بن إينال ١٤٦١م ومع قايتباي ٨٧٧هـ / ١٤٨٢م وعام ١٤٠٢ – ١٤٠٤م و ١٤٠٦م – انظر نص الاتفاقية في ملحق المصدر السابق .

٩ – المصدر السابق د . نعيم زكي فهمي ص٧٣ .

١٠– تاريخ أوروبا في العصور الوسطى – فيشر – ترجمة – زيادة والعريني ج ٢ ص٤٢٦ .

١١– لخص الموضوع من النقود العربية لعبدالرحمن فهمي محمد – ص٨٥ – ١١ والوحدات النقدية المملوكية لسامح عبدالرحمن فهمي – نشر تهامة (السعودية) دار الكتاب الجامعي .

١٢– صبح الأعشى ٤٤٢/٣ – النجوم الزاهرة ٧٣/٥ – ٧٤ و ج٦/ ٢٧١ – ٢٧٢ .

١٣– ملتقط من كتاب – النقود العربية وعلم النميات – للأب إنستاس الكرملي ص٦٠ – ٧٢ .

١٤– صبح الأعشى ٤٤٢/٣ – النجوم الزاهرة ٧٣/٥ – ٧٤ – ٣٥١–٣٥٢ و ج ٦ ص ٧ – ٢٧١ .

١٥– النجوم الزاهرة ١١٥/٦ .

١٦– النجوم الزاهرة ٢٧/٦ – ٣٥٦ – ٥٣٧ – و ج ٧ص١١١–١١٥.

١٧– بدائع الزهور ٢ / ٦٦ .

١٨– قوانين الدواوين – ابن مماتي ص٣٣٨ – ٣٣٩ .

١٩– ابن إياس – بدائع الزهور ٢/ ٥٦ – ٦١ و ٥٩/٢ .

٢٠– النجوم الزاهرة ٩ /٧٧ – ٧٨ .

٢١– الوحدات النقدية المملوكية – د . سامح عبدالرحمن فهمي – ط تهامة ص٢٩ .

٢٢– شارل ديل : البندقية جمهورية أرستقراطية – ترجمة د . أحمد عزت عبدالكريم وتوفيق إسكندر مصر – ١٩٤٨م – ص ٨٦ .

٢٣– مقال – محمد باقر الحسيني / نقود أوربية تداولتها رسمياً أسواق عربية إبان الحروب الصليبية / مجلة آفاق عربية – العدد ٣ – تشرين الثاني ١٩٧٥م ص ١٠٢ .

٢٤– النقود العربية وعلم النميات للأب – ماري إنستاس الكرملي ص ١٧٧ .

٢٥– علماء الحملة الفرنسية – وصف مصر – المجلد الأول (المصريون المحدثون) ترجمة زهير الشايب ط ٢ القاهرة (١٩٧٩م) ص ٢٣٦ .

٢٦– السلوك في معرفة دول الملوك (تقي الدين أحمد بن علي) جـ ٤ ص ٣٠٥ تحقيق د . سعيد عاشور – دار الكتب المصرية ١٩٧٣م .

٢٧– صبح الأعشى ٤٤١/٣ .

٢٨– سعيد عاشور – العصر المماليكي في مصر والشام / ط٢ – القاهرة ١٩٧٦ ص ٣١٧ .

٢٩– هـ – فيشر – تاريخ أوروبا في العصور الوسطى – ترجمة الباز العريني ومحمد مصطفى زيادة ط ٣ مصر ١٩٥٧ – ص٢٤٤.

٣٠– خطط المقريزي – المواعظ والاعتبار – ط بولاق ١٢٧٠هـ ج٣ / ١٨٩ – ١٩١ / النقود الكرملي ص ٧١ .

٣١– المقريزي في السلوك – وابن حجر في (إنباء الغمر) وعلي بن داود الجوهري / في نزهة النفوس والأبدان في تاريخ أهل الزمان . وكلها في حوادث عام ٨١١هـ .

٣٢– أشار لهذا السيوطي في مخطوطه / تاريخ السلطان الملك الأشرف قايتباي / مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٦١ .

٣٣– طرق التجارة الدولية – لنعيم فهمي ص ٣٦ .

٣٤– السلوك ٢٠٥/٢ – ٢٠٦ ، وصبح الأعشى ٤٤٣/٣ .

٣٥– السلوك ٤٥/١ – صبح الأعشى ٤٤٠/٣ – ٤٤٤ .

٣٦– الكرملي ص ٦٢ .

٣٧– السلوك وصبح الأعشى المصادر السابقة .

٣٨– صبح الأعشى ٤٤١/٣ .

٣٩– بدائع الزهور ٥٦/٢ – ٥٧ – ٦١ .

٤٠– حوادث الدهور – أبو المحاسن – ص٢٧٨ .

٤١– بدائع الزهور ج ٢ ص ٦١ ، حوادث عام ٨٢٢هـ .

٤٢– بدائع الزهور ، ج ٢ ص ٢١٠ .

٤٣– طرق التجارة الدولية . د . نعيم كمال فهمي ص ٣٦٢ والنقود العربية ماضيها وحاضرها د . عبدالرحمن فهمي ص٨٠ – ٨٢.

٤٤– يبدو أن السيوطي يتناول ما حدث عام (٨٨١هـ / ١٤٧٦م) في عهد قايتباي حيث صدرت الفلوس الجدد وازدادت حركة التزييف في النقود بواسطة (الزغلية) – المزورين – (بدائع الزهور ١٦٧/٢ – إنباء الغمر ٦٦٥/١ – ٦٦٦).

٤٥– الفلوس نقود نحاسية ١٠٠٪ نشطت وكثرت في عصر المماليك بعد توقف ضرب الذهب لصالح البنادقة الذين جلبوا كميات ضخمة من النحاس الأحمر لضربه فلوساً في مصر والشام وأخذ البنادقة الفضة بدلاً منه ، وقد بدأ

التعامل بالفلوس النحاسية عام ٨٠٠هـ تقريبًا وتوقف التبادل بالدينار المؤيدي ، ونظرًا لكثرة الفلوس صار التعامل بها وزنًا مقابل الدرهم الفضي الذي كان يحتوي ٣٣٪ نحاسًا ومازال يمسخ هذا الدرهم حتى صار النحاس تسعة أعشاره تقريبًا . (الخطط التوفيقية الجديدة ١٤١/٢٠ - الكرمللي ص ٧١ - ٧٢) وانخفض وزنه من زنة مثقال - حتى صار ربع درهم .

٤٦- كان الرطل من الفلوس يباع بستة وثلاثين درهمًا ثم صارت بثلاثين درهمًا ، والتعامل بها وزنًا أمر طارئ على التبادل النقدي الطبيعي فالمسألة التي يعالجها السيوطي هي :

١ - اختلاف التعامل بالفلوس من العدد إلى الوزن ، وكانت بداية ذلك عام ٨٠٦هـ .

٢ - انخفاظضقيمة الفلوس من ٣٦ درهمًا للرطل الواحد من الفلوس إلى ٣٠ درهمًا فقط ، وقد بيع رطل الفلوس بستة دراهم عام ٨٠٨هـ وبـ اثني عشر درهمًا عام ٨١٤هـ ثم بثلاثين وست وثلاثين درهمًا في عهد السيوطي ، والرطل يساوي ١٢ أوقية والأوقية ١٢ درهمًا وزنًا فالرطل = ١٤٤ درهمًا وزنًا . (الكرمللي ص ٧٣ وابن إياس ١٨/٣) .

٤٧- يوم لزوم الدين بحلول أجله أو يوم المطالبة به أي بعد فترة من الزمن حدث فيه التغيير المذكور .

٤٨- التخريج : اصطلاح فقهي يضم أصحاب التخريج وهم مقلدون للإمام صاحب المذهب ولا يجتهدون، ولكنهم لسعة اطلاعهم على فروع المذهب وأصوله يقدرون على تفصيل مجمل ذي وجهين أو بيان مبهم يحتمل أمرين مما نقل عن الإمام صاحب المذهب أو أحد أصحابه المجتهدين . حاشية ابن عابدين ٧٧/١. والسيوطي يقول ذلك تواضعًا وإلا فهو يملك كل وسائل الاجتهاد بل عد نفسه مجدد المائة التاسعة .

٤٩- في فقهاء الشافعية ثلاثة رجال يحملون كنية البلقيني - نسبة إلى بلقينة من غربية مصر - وهما أب وأبناء - فالأب عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني العسقلاني الأصل - ثم البلقيني - المصري الشافعي - المتوفى عام ٨٠٥هـ / ١٤٠٣م وولده الأكبر - عبدالرحمن بن عمر بن رسلان الكناني - أبو الفضل - جلال الدين انتهت إليه رياسة الفتوى بعد أبيه وتوفي جلال الدين وهو متول قضاء مصر عام ٨٢٤هـ / ١٤٢١م - وهو الذي تكلم في المسألة ونقل السيوطي كلامه عن أخيه - علم الدين البلقيني - صالح بن عمر بن رسلان البلقيني المتوفى عام ٨٦٨هـ / ١٤٦٤م .

مصادر الترجمة : عمر بن رسلان (٧٢٤ - ٨٠٥هـ) الضوء اللامع ٨٥/٦ - شذرات الذهب ٧ / ٥١ .

عبدالرحمن بن عمر (٧٦٣-٨٢٤هـ)- شذرات الذهب ١٦٦/٧.

صالح بن عمر (٧٩١ - ٨٦٨هـ) - الضوء اللامع ٣١٢/٣ - الأعلام للزركلي ٢٧٩/٣ .

٥٠- الدينار الأفلوري : دينار ذهبي شبيه بدوكات البندقية التي تحدثت عنها في التمهيد وسمي بالأفلوري - نسبة إلى فلورنسة إحدى الجمهوريات الإيطالية التي منها البندقية ، وهذه الدنانير الأفلورية ربما سموها - افرنتي - أفرنجي يبلغ وزنها تقريبًا ٣,٥ جرام وكانت الفلوس تضرب على وزن الدرهم - وقد بيع الأفلوري بـ ٢٦٠ فلس وزن الدرهم . انظر المقدمة - الدوكات .

٥١- الهرجة . نقد ذهبي كان متداولاً قبل الذهب الناصري ذكره البلقيني في كتبه وهي دنانير تستعمل خاصة في الحلي كالأساور والعقود وغيرها - السلوك ٣٩٣/٢ وانظر هامش ٢ ص ٢٣٧ من عقد الجمان للعيني تحقيق د. عبدالرزاق قرموط.

٥٢- الناصري - دينار ذهبي ضربه الناصر فرج بن برقوق ويسمى أحيانًا السالمي نسبة لوزيره يلبغا السالمي الذي ضرب هذا الدينار ٨٠٣هـ في محاولة للحد من سيطرة البندقي ، ولكنه فشل في ذلك فأعاد المحاولة عام ٨١١هـ - الكرمللي ص٦٠ - ٧٠ .

٥٣- نظرا لغلاء الفلوس وفقدانها وعدم وجودها بيع السبعة منها بدرهم فضي، وكان الدرهم الفضي بثمانية أو تسعة دراهم فلوس كما ذكر في السابق .

أما الدينار الذهبي فقد بيع بـ (٥٥٠) درهمًا من الفلوس أي بقنطار ناقص خمسين درهمًا .

٥٤- المسألة التي حدثت في عصر البلقيني أن الناس عليهم ديون من الفلوس النحاسية - نقد اصطلاحي - فعزت الفلوس وغلت فطالب الدائنون بحقهم ما يعادلها من الذهب أو الفضة .

٥٥- اختلف الفقهاء في أصول الدية على ثلاثة آراء ١) أبو حنيفة ومالك والشافعي في القديم : أن الدية تجب في الإبل والذهب والفضة وتجزئ بكل منها ٢) الصاحبان وأحمد : تجب الدية من ستة أجناس - الإبل - الذهب - الفضة - البقر - الغنم - الحلل - ولا يعتد الحنابلة بالحلل لعدم ضبطها ٣) مذهب الشافعي في الجديد - أن الواجب الأصلي في الدية هو مئة من الإبل إن وجدت فإن عدمت حسا - فلم توجد - أو عدمت شرعًا - بأن وجدت بأكثر من ثمن المثل - فالواجب قيمة الإبل بنقد البلد الغالب وقت وجوب تسليمها بالغة ما بلغت - حاشية قليوني وعميرة ١٣١/٤ والروض المربع / عنقري ٢٨٤/٣ ، روضة الطالبين ٢٥/٥ - فتح العزيز شرح الوجيز مع المجموع.

٥٦- استدل الفريق الأول بكتاب عمرو بن حزم في الديات - عند النسائي ومالك وابن خزيمة وغيرهم/ ويفعل عمر، رضي الله عنه.

واستدل الفريق الثاني بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه جده قال : كانت قيمة الدية على عهد النبي ﷺ ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم . كان ذلك كذلك حتى استخلف عمر رضي الله عنه فقام خطيباً وقال : ألا إن الإبل قد

غلت .. قال : فقوم على أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الورق اثني عشر ألف درهم وعلى أهل البقر (٢٠٠) بقرة وعلى أهل الشاء (٢٠٠٠) شاة وعلى أهل الحلل (٢٠٠) حلة ... واستدل الشافعي في الجديد بأن هذه قيمة الدية وأنها بدل تلف فيرجع إلى قيمتها عند فقد الأصل .

٥٧- عبدالكريم بن محمد أبو القاسم الرافعي (٥٥٧ - ٦٢٣هـ) فقيه شافعي له (فتح العزيز شرح الوجيز) انظر - فوات الوفيات ٣/٢ - سير أعلام النبلاء ٢٢ / ٢٥٢ .

٥٨- حاشية قليوبي وعميرة على شرح المنهاج - ٤ / ١٣١ - وقد فصل هذه المسألة تفصيلاً جيداً .

٥٩- صاحب التهذيب : هو الإمام البغوي صاحب معالم التنزيل وشرح السنة وهو المقصود هنا ، وهناك تهذيب لأبي علي الزجاج من شيوخ خراسان والوجهان - اصطلاح فقهي يعني آراء الفقهاء المجتهدين في المذهب الشافعي كالبويطي والمزني وانظر الفوائد المكية فيما يحتاجه طلبة الشافعية .

ولا حاجة لمثل هذا التفريع فالمطلوب قيمة الإبل في بلد وجوب الدية التي تؤدى فيها دون اعتبار لقيمتها في مواضع وجودها لأنها لو وجدت في بلد قريب لوجبت بعينها .

٦٠- الروياني - (٤١٥ - ٥٠٢هـ / ١٠٢٥ - ١١٠٨م) عبدالواحد ابن إسماعيل بن أحمد أبو المحاسن فخر الإسلام الروياني نسبة إلى رويان بطبرستان له مدرسة في آمل - كان يحفظ كتب المذهب الشافعي وله كتاب (بحر المذهب) من أطول الكتب الفقهية وأوسعها -- وفيات الأعيان ٢٩٧/١ - طبقات الشافعية للسبكي ٢٦٤/٤ .

٦١- موجز المسألة عند الشافعية كما يلي - اتفقوا على تقويم الإبل عند فقدها والمعتبر في ذلك : قيمة بلد الأعواز لو وجدت الإبل فيها بحسب سعرها يوم وجوب التسليم إن كانت مفقودة فإن أعوزت وفقدت بعد الوجوب وجب قيمة يوم الأعواز لأنه يوم التحول إلى القيمة - روضة الطالبين وعمدة المفتين - النووي ٢٦٢/٩ - زاد المحتاج بشرح المنهاج - للكوهجي - تحقيق عبدالله الأنصاري ٨٢/٤ - تكملة المجموع ٤٨/١٩ .

٦٢- القنطار = ١٠٠ رطل = ١٢٠٠ أوقية - انظر الخراج والنظم المالية - للدكتور محمد ضياء الدين الريس ص ٣٦٦ .

٦٣- صورة المسألة - رجل شغلت ذمته بقنطار فلوس (نقود اصطلاحية - ليست ذهبًا أو فضة) وأقرّبها وجبت عليه قيمتها من الذهب والفضة (النقود بالخلقة) يوم الإقرار في تخريج الرافعي ويم الأعواز في تخريج الروياني .

يستخلص من هذا : إن النقد الاصطلاحي إذا فقد نهائياً فلم يجد مثله صار إلي قيمته .

٦٤- قال في الروضة : إذا غصب مثليا وتلف في يده والمثل موجود فلم يسلمه حتى فقد أخذت منه القيمة . والمراد بالفقدان أن لا يوجد في ذلك البلد وحواليه ... ثم نقل أحد عشر وجهًا للأصحاب في اليوم الذي تحدد فيه القيمة ومقدارها .

روضة الطالبين وعمدة المفتين - النووي ٢٠/٥ - ط المكتب الإسلامي .

٦٥- الدراهم والدنانير والفلوس المتداولة في مجال التبادل كلها مثلية ونقل النووي في المغشوش من الدنانير والدراهم عن المتولي قوله : (إن جوزنا المعاملة بها فمثلية وإلا فمتقومة) . المصدر السابق . ص ٢٠ و ص ٢٥ .

٦٦- في القرض : يرد في القرض المثل مطلقًا - ولا اعتبار لقيمته نقصًا أو زيادة - والكلام على الفلوس كنقد اصطلاحي ، إذا كانت موجودة فلا ينظر لرخصها وغلائها ويجب المثل فحسب .

٦٧- انظر فيما بعد / فصل السلم - حاشية رقم (٣٣ - ٣٤) .

٦٨- مازال الحديث عن النقد الاصطلاحي - الفلوس والورق النقدي وما شابههما - فلو أبطل السلطان التعامل بالفلوس فليس للدائن إلا ما أقرضه فمع نقص قيمته وبقائه في التداول يكون من باب أولى رد المثل فحسب . (روضة الطالبين/ المكتب الإسلامي - ٤ / ٣٧) وهو نص الشافعي كما نقله عنه ابن المنذر .

٦٩- قوله - الواجب في أعلى الصفحة - فالواجب رد رطل من ذلك الجنس .

٧٠- يعني أن حكمه برد المثل هو قضاء القاضي أما إتفاق الجانبين على زيادة أو نقص من باب الصلح والإحسان في أداء القرض والإبراء فكله جائز .

٧١- كان عليه دين من الفلوس وزنًا وقبل الأداء سحبت تلك الفلوس من التداول وضرب بدلها فلوس يتعامل بها عدداً . فهل يؤدي من هذه الجديدة وزنًا ؟ - لا يجبر على ذلك لأنه أزيد قيمة كما لا يجبر الدائن على أخذ قدر حقه عدداً لأنه أنقص وزنًا . ؟ فما الحل . ! ؟
أما أن يؤدى من الفلوس العتق وزنًا أن وجدت وإلا رجع إلى قيمتها من النقد الأصلي الخلقي وهو الذهب والفضة .

٧٢- لو حدث العكس بأن كانت عدداً فصارت وزنًا يرجع بمثل حقه وزنًا ولا عبرة بالقيمة لأن الوزن يتحقق فيه التماثل بيقين . وهو الحكم نفسه في الصور التالية كأن جهل الوزن فصار القرض فاسداً يصار فيه الى المثل أو القيمة والمثل مستحيل للجهل بالوزن فتعينت القيمة .

٧٣- ولو اقترض الفضة يجري عليها الأحكام السابقة نفسها حيث لم ينظر إلى اختلاف القيمة ما دام النقد متداولاً ولم تبطل المعاملة به .

٧٤- الانصاف - يراد بها - قطع فضية من فئة نصف درهم .

٧٥- خلاصة المسألة في القرض أن الأصل فيه رد المثل مطلقًا إذا كان موجوداً سواء أبطله السلطان أو غلت قيمته أو رخصت . ولا يجبر الدائن على أخذ النقد الجديد إذا لم يتحقق التماثل فإذا انعدم المثل ولم يوجد يصار إلى القيمة .

٧٦- يجوز السلم في الدراهم والدنانير على الأصح عند الشافعية بشرط أن يكون

رأس المال غيرهما – ومنع الحنفية ذلك لأن المسلم فيه مبيع والمبيع مما يتعين بالتعيين، والدراهم والدنانير لا تتعين عندهم في عقود المعاوضات، فلم تكن مبيعة فلا يجوز السلم فيها، أما السلم في الفلوس فجائز باتفاق أكثر الفقهاء روضة الطالبين ٢٧/٤ – الفقه الإسلامي وأدلته – د. وهبه الزحيلي ٦٠٥/٤ .

٧٧– لأنه مبيع منقول وإن كان دينًا فلا يجوز بيعه قبل قبضه لحديث ابن عمر – رضي الله عنهما – عند الدارقطني (من أسلف في شيء فلا يأخذ إلا ما أسلف أو رأس ماله) نيل الأوطار ٢٢٧/٥ . ولحديث :(من أسلم في شيء فلا يصرفه إلى غيره).

وخلاصة موضوع السلم أن الدراهم والدنانير والفلوس إذا كانت مسلما فيه وجاء أجل التسليم فلا عبرة لزيادة قيمتها أو نقصها ولابد من تحصيلها بالغة ما بلغت الوفاء بالعقود، وإن عدمت نهائيًا فليس إلا الفسخ أو الصبر إلى الوجود. إلا إذا كان رأس المال فلوسًا وهي باقية بعينها أخذها وإن تلفت رجع إلى مثلها وزنًا .

٧٨– هذه المسألة فرع المسألة التي قبلها فلو قلنا لا يجب له إلا (ألف) وقد تغير السعر رخصًا وغلاءً بين زمن البيع وزمن المطالبة فما الواجب من السعرين . رجح السيوطي. **ما قيمته ألفا عند المطالبة** . في غير صورة إبطال النقد وإلغائه .

٧٩– هما النووي والرافعي رحمهما الله .

٨٠– الأسنوي . عبدالرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي أبو محمد – فقيه أصولي ولد ٧٠٤هـ قدم القاهرة ٧٢١هـ وولي الحسبة ثم اعتزلها . ت ٧٧٢هـ .

٨١– البيع بثمن مؤجل . وقبل قبض الثمن بطل النقد بإلغائه فليس له غير الثمن المحدد وله هناك وجه بالفسخ كما لو تعيب قبل القبض . روضة الطالبين ٣٦٥/٣ .

٨٢– إذا تغير سعر النقود – الثمن – فلا أثر لرخصها وغلائها .

٨٣– أي تجب الأجرة المتفق عليها يوم العقد – أو يوم المطالبة – أو الرجوع إلى أجرة المثل .

٨٤– في الصداق الصور الثلاثة السابقة نفسها.

٨٥– من باب التغليظ على الغاصب – يجب رد الأعلى ثمنًا وزيادة في السعر غلا المغصوب أو رخص .

٨٦– كل الصور المذكورة في هذا الفصل ترجع إلى تلف النقود بفعل الغير بلا عدوان (إتلاف) أو تلفها بآفة سماوية . ففي كل هذه الصور يرجع فيها إلى المثل وزنًا ولا عبرة لرخص أو غلاء القيمة وهو ما صححه صاحب المطلب . بينما أطلق النووي والرافعي وجوب قيمة النقود المتلفة حال تغير قيمتها وتعتبر القيمة في القضمين بسعر يوم التلف .

٨٧– السبكي : من فقهاء الشافعية فقيهان كبيران بهذه الكنية – أب وابنه .

أ– تقي الدين السبكي – علي بن عبدالكافي بن علي ... ولد في سبك / المنوفية ٦٨٣هـ انتقل للقاهرة والشام وولي قضاءها وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات له – شفاء السقام والابتهاج والدرر – ت ٧٥٦هـ – الشذرات ١٨/٦ .

ب – تاج الدين السبكي – عبدالوهاب بن علي... قرأ على المزيّ والذهبي وابن النقيب أفتى ، ولما يبلغ الثامنة عشر وانتهت إليه رياسة القضاء والمناصب بالشام توفي عام ٧٧١هـ له شرح مختصر ابن الحاجب – وشرح المنهاج والطبقات . شذرات الذهب ٢٢١/٦ .

والذي رجح وجوب قيمة النقد يوم التلف من السبكيين هو صاحب المطلب كما تقدم في الإتلاف .

٨٨– المقبوض على جهة السوم : ما أخذ الرؤية والنظر فيه قبل شرائه ، وقد يتم العقد عليه وقد لا يتم .

٨٩– يجوز تعجيل الزكاة لسنتين – السنة الحالية وما يليها – فلو عجل أحد زكاته ثم أصيب بكارثة نزلت بماله عن النصاب فأراد استرجاع زكاة السنة الثانية .

٩٠– إذا طلق الرجل زوجته قبل المساس ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم﴾ البقرة ٢٣٧) .

٩١– أي من الذهب أو الفضة أو الفلوس .

٩٢– في توزيع ريع الوقف على مستحقيه إذا اشترط الواقف وزنًا معينًا يلتزم بذلك الوزن مطلقًا ، ولا عبرة بالقيمة . وإن حدد الواقف قيمة معينة فتراعى أيضًا كأن ربط المقدار بقيمة معروفة فلا يعطى المستحق سواها .

٩٣– يضمن ناظر الوقف والمباشر والجابي قيمة النقص اللاحق بريع الوقف إذا أخروه عندهم . وتكون الزيادة للوقف إذا حصلت ، وذلك في حال التقصير . أما إذا لم يكن تقصير فلا ضمان على الناظر وغيره من المشرفين على الوقف .

٩٤– في الوصية – إذا تغير السعر بين الوصية والموت فكان لحالين في الوقف ، يراعى الوزن أو القدر المحدد بقيمته . انظر ما سبق في حاشية .

٩٥– إذا كان المفروض أجرة رضاع الولد فالحكم كما سبق في الأجرة ، وإن كان المفروض نفقة الولد بعد فطامه فلا عبرة لما قرره القاضي ولابد من تحقيق الكفاية ولو زادت قيمتها على المقرر .

٩٦– المكاتبة : العبد المملوك يعتقه مالكه إذا دفع له مبلغًا من المال : قال تعالى : ﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت إيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهما خيرًا﴾ (النور ٣٣)

والمخارجة : نوع من أنواع الصلح وكثيرًا ما تقع من الورثة في التركات الصعبة القسمة ، ولعل المقصود الصلح على دين الكتابة نفسه .

٩٧– الشيخونية : مدرسة أنشأها شيخون الناصري رأس نوبة الأمراء عام ٧٥٦هـ وجعل فيها خطبة وعشرين صوفيا – الخطط التوفيقية ٢٣٥/٢ وخطط المقريزي ٣١٣/٢ .

٩٨– طباخ الشيخونية قد يكون مشتريًا وشراؤه فاسد يضمن فيه قيمة المثل ، وقد يكون وكيلاً بجعل فوكالته صحيحة إذا تصرف في حدود الوكالة وإلا فهو معتد وغاصب يضمن قيمة المثل .

٩٩- ابن الصلاح - عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري الموصلي - تقي الدين ، أبو عمرو - محدث مفسر أصولي فقيه - عارف بالرجال له علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح والفتاوى وشرح مشكل الوسيط ت ٤٦٣هـ . وفيات الأعيان ٣٩٣/١ - شذرات الذهب ٢٢١/٥ .

١٠٠- عون المعبود - دار الكتاب العربي عن الطبعة الهندية / باب في كسر الدراهم - ٢٨٤/٣ والسكة الحديدة التي يضرب بها الدراهم والدنانير وعلة النهي - إضاعة المال أو إنقاص الدرهم بالقرض والتدقيق وكان ذلك شأن قوم شعيب القائلين (أنتهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء) وانظر فتوح البلدان ٥٧٦/٣ .

١٠١- مصنف ابن أبي شيبة كتاب الأوائل/ باب أول ما فعل ومن فعله ج١٤ ص١٤٤ - الطبعة السلفية بومباي ١٩٧٩ بتحقيق عبدالخالق الأفغاني .

١٠٢- ذكر ذلك النووي في المجموع شرح المهذب ١٠/٦ - الطبعة المنيرية ضمن الحديث عن زكاة الذهب والفضة .

١٠٣- ضرب النقود أو ما يسمى بالسكة الإسلامية - إحدى وظائف الإمام كما عدها ابن خلدون في المقدمة ، فلا يجوز للأفراد ممارسة هذه الوظيفة وإن كان ضربهم خالص بلا غش وحصر ضرب النقود بالإمام إحدى الوسائل التي اتبعها المسلمون للحفاظ على سلامة النقود ... انظر - مقدمة ابن خلدون - دار العودة ، بيروت ص ٢٩٠ - ٢٩٣ - والأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء ص ١٨١ - ط - مصطفى البابي الحلبي بمصر .

١٠٤- القاضي أبو الطيب الطبري - طاهر ابن عبدالله بن طاهر الطبري شيخ أبي إسحق الشيرازي صاحب المهذب - من كبار فقهاء الشافعية في عصره ولد بآمل طبرستان وسمع بجرجان ونيسابور واستوطن بغداد وتوفي فيها عام ٤٥٠هـ / تاريخ بغداد ٩ /٣٥٨ .

١٠٥- المجموع شرح المهذب / المنيرية ١١/٦ .

١٠٦- في حكم التعامل بالدراهم الفضية المغشوشة - انظر المجموع ١١/٦ .

١٠٧- أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم ابن خطاب البستي الخطابي من ولد زيد ابن الخطاب - رضي الله - عنه وأخطأ من سماه أحمد - كالنجوم الزاهرة والبداية والنهاية فقد رجح ياقوت في معجم البلدان والأدباء أن اسمه حمد ، وكذلك ابن خلكان في وفياته . أقام بنيسابور يصنف بعد رحلته إلى مكة وبغداد وصنف هناك معالم السنن وغريب الحديث وغيرها - توفي رحمه الله في ربيع الثاني ٣٨٨هـ ببست ودفن فيها .- مقدمة مختصر السنن للمنذري ومعالم السنن .

١٠٨- هذا النص الذي يذكره السيوطي ذكر في المجموع ١٤/٦ وفي معالم السنن للخطابي ١٢/٥ . انظر الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٩٥ - وفتوح البلدان للبلاذري - والنقود العربية وعلم النميات للكرملي ص ٩ - فما بعدها .

١٠٩- التقط السيوطي خلاصة النص من معالم السنن للخطابي / مطبوع مع مختصر السنن للمنذري حققه محمد حامد الفقهي - ط السلفية / ج٥ ص ١٢ - باب الرجحان في الوزن والوزن بالأجر عند حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - (الوزن وزن أهل مكة والمكيال مكيال أهل المدينة) .

والحديث أخرجه أبو داود في البيوع والنسائي في الزكاة وصححه ابن حبان والدارقطني والنووي وانظر الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني ٢٤٤/٨ / البنا .

١١٠- الأحكام السلطانية والولايات الدينية - أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي - ت ٤٥٠هـ - توزيع دار الباز بمكة المكرمة ص ١٩٦ - ١٩٧ .

١١١- الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي ص ١٩٦ - وفي تحديد أول من ضرب الدرهم لابد من استعراض تاريخي سريع في ضوء المكتشفات الأثرية المحفوظة في المتاحف فمن المعروف أن عرب الجاهلية تداولوا دراهم يزدجرد الثالث (٦٣٢ - ٦٥١م) وأن هذه الدراهم ضربت بأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأضاف إليها عبارات إسلامية (الحمدلله / محمد رسول الله) وذلك عام ١٨هـ كما ذكره المقريزي / النقود العربية ماضيها وحاضرها / د . عبدالرحمن فهمي محمد ص ٢٣ والنقود العربية علم النميات / الكرملي ص ١٠ - ١٢ .

ثم ضرب عثمان ، رضي الله عنه ، في خلافته دراهم نقش عليها (الله أكبر) بعد أن استقر وزن الدرهم في عهد عمر- رضي الله عنه - وجعل كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل كوزن شرعي أو ستة مثاقيل في عام الرمادة وحده كتدبير احتياطي.

ثم ضرب عبدالله بن الزبير أول الدراهم المستديرة / الأحكام السلطانية للفراء ص ١٦٠ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د . جواد علي ٧ / ٥٠٠ .

كما ظهر درهم عربي ضرب بالبصرة عام ٤٠هـ في عهد علي، رضي الله عنه .

كما ضرب قطري بن الفجاءة الخارجي دراهمه الخاصة وكتب عليها (لا حكم إلا لله) (انظر بحث د . أبو الفرج العشي، (النقود العربية الإسلامية مصدر وثائقي للتاريخ والفن ص ٢٦٧ - ٢٧٤ من كتاب أبحاث المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام ط ١٩٧٤م .

وهذا التسلسل التاريخي يعطينا لمحة عن الدراهم المضروبة قبل عام ٧٦هـ وهو عام الإصلاح النقدي لعبدالملك بن مروان الذي دقق في وزن الدرهم والدينار الشرعيين ، وألغى التعامل بالنقود الفارسية والرومانية وضرب النقود الإسلامية المعربة على وفق الأوزان الشرعية . واختلف المؤرخون اختلافًا شديدًا في بداية الإصلاح النقدي وضرب عبدالملك للنقود الإسلامية بين الأعوام (٧٤هـ ابن هشام الكلبي - البلاذري) (٧٥هـ - ابن سعد الذهبي - الطبري ولكن الراجح أن عام ٧٦هـ هو أكثر الأعوام دقة كما رجح المقريزي) .

١١٢- لم أجد النص أعلاه في تمهيد ابن عبدالبر رغم الجهد الذي بذلته ولعل النص في الاستذكار لابن عبدالبر لا في التمهيد كما سنذكره في النص التالي ... والمعروف تاريخياً أن تعريب النقود الإسلامية بدأ عام ٧٦هـ على يد عبدالملك بن مروان الذي أخبره معاصره الروماني (جستنيان الثاني) بانزعاجه من مسألة القراطيس التي يستوردها الرومان من مصر - وهدد القيصر بأن يسيء إلى المسلمين بكتابة ما يرفضونه على الدنانير فكان التعريب . (الخراج والنظم المالية - د . محمد ضياء الدين الريس ص ٢٠٦ والبلاذري - فتوح البلدان ج٣ - النقود - وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٠٣ ، ٢١٨) .
واتخاذ الصنج الزجاجية للمثقال - أمر ضروري وقد أشار إلى ذلك الفقيه الشافعي ابن الرفعة في كتابه (الإيضاح والتبيان في المكيال والميزان) تحقيق د . محمد خاروف ص ٤٨ - ٤٩ .
(وفي قصة القراطيس - انظر الأوائل للعسكري - تحقيق د . وليد قصاب وزميله ٣٥٢/١ - دار العلوم بالرياض - والبداية والنهاية لابن كثير ١١/٩ .

١١٣- كلام القاضي عياض . ذكر مثله تماماً عن ابن عبدالبر - في الاستذكار - لا في التمهيد ونقله أبو العباس العزفي في كتابه (إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد) وقد اختلف العلماء حول الدرهم أكان معلوم القدر أم لا ؟ وأرجح الأقوال التي يطمئن إليها أن الدرهم كان معلوم القدر غير موجود العين - مثل درهم الصنجة - المحفوظ ونترك منه الأوزان والدليل على ذلك ما روى النسائي عن سماك قال : سمعت مالكاً أبا صفوان يقول: (بعت من رسول الله ﷺ رجلا من سراويل قبل الهجرة بثلاثة دراهم) - النسائي كتاب البيوع باب الرجحان في الوزن . وأخرج الشيخان حديث جابر (اشترى مني النبي ﷺ بعيراً بأوقيتين - ودرهم ودرهمين ... وفيه ... ووزن لي ثمن البعير فأرجح لي) صحيح مسلم باب الربا / بيع البعير واستثناء ركوبه .
فالعرب وإن تعاملوا بدراهم الفرس المختلفة والمتعددة ، ولكنهم كانوا يرجعون إلى وزن الدرهم المعلوم عندهم ، والذي تتركب منه الأوقية والرطل والنش والنواة . انظر / تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالخزاعي التلمساني ص ٦٠٢ - ٦١٢. طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٠١هـ - والتراتيب الإدارية للكتاني .. والمجموع شرح المهذب للنووي ١٥/٦ .

١١٤- قول الرافعي لم أجده / فتح العزيز شرح الوجيز / وإنما هو نصّاً في المجموع شرح المهذب مع بقية نص المجموع المذكور هنا . / المجموع شرح المهذب ١٥/٦ - ١٦ .

١١٥- هو الفقيه المالكي عبدالحق بن عطية المحاربي - أبو محمد صاحب التفسير (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) عاش في الفترة (٤٨١ - ٥٤٢هـ) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ص ١٢٩ والأعلام ٥٣/٤ .

١١٦- المحلى - ابن حزم الأندلسي ج٥ ص٢٤٦ - أثناء حديثه في زكاة البر والشعير عن تحقيق الصاع والمد / طبعة دار الآفاق الجديدة .

١١٧- المجموع شرح المهذب ٦ / ١٦ - للنووي .

١١٨- الأوائل للعسكري - مرجع سابق - تحقيق د . وليد قصاب وزميله - نشر دار العلوم بالرياض ٣٥٢/١ .

١١٩- فتوح البلدان - البلاذري ص ٥٧٣ - تحقيق د . صلاح الدين المنجد ومعنى العشرة عدداً سبعة وزناً - أي كل عشرة دراهم فضية تزن سبعة مثاقيل ذهبية فهناك نسبة شرعية ثابتة بين الدرهم والدينار ١٠/٧ فكل درهم يساوي سبعة أعشار الدينار.
والحارث بن أبي ربيعة أخو الشاعر عمر بن أبي ربيعة - والحارث ولي البصرة لابن الزبير سنة واحدة وكان خطيباً كما كان جده أبو ربيعة يلقب في الجاهلية بذي الرمحين . تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤٤٧/٣ - وفيات الأعيان في ترجمة أخيه عمر ٣٧٨/١ .

١٢٠- عبيدالله بن زياد (٢٨ - ٦٧هـ) .

١٢١- عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الأموي (١٧٦-٢٣٨هـ) رابع ملوك الأمويين في الأندلس - وهو أول من اتخذ السكة بقرطبة - الأعلام ٧٦/٤ - نفح الطيب ١٦٣/١ .

١٢٢- تفسير الطبري / مجلد ٣ - ج٣ ص ٣٥ - ط دار الفكر .

١٢٣- من النقود المتداولة في العصر المملوكي ، وهي من الدراهم الجيدة لأن ثلثيها من الفضة .

١٢٤- الأمير سيف الدين شيخون مدبر الممالك في مصر والشام في عهد الناصر حسن بن محمد بن قلاوون الصالحي ضربه أحد مماليك السلطان في ذي القعدة ٧٥٨هـ ابتنى مدرسة هائلة للمذاهب الأربعة - ابن كثير ٢٥٨/٤.

١٢٥- صرغتمش اتابك الأمراء بمصر في عهد الناصر قبض عليه في رمضان ٧٥٩هـ ابن كثير ٢٦٢/١٤ .

١٢٦- العبر في خبر من غبر / للحافظ الذهبي تحقيق أبو هاجر بسيوني زغلول توزيع دار الباز ٢١٢/٣ ونص الخبر عنده (وفيها ضربتا ببغداد دراهم ومزقت في البلد وتعاملوا بها وإنما كانوا يتعاملون بقراضة الذهب القيراط والحبة ونحو ذلك فاستراحوا) .

١٢٧- لم أجد في البداية والنهاية أي ذكر لضرب السلطان حسن الفلوس الجدد في عام ٧٥٦هـ ولكن ذلك مذكور في صبح الأعشى ٤٤٠/٣ - ٤٦٣ - حيث ضرب السلطان حسن الفلوس الجدد وزنة الواحد منها مثقال ، وكل فلس منها قيراط من الدرهم مطبوع بالسكة السلطانية وقد ذكرت ذلك في فصل النقود المملوكية - فكان كل ٢٤ فلساً منها بدرهم .

١٢٨- الفلوس العتق غير مطبوعة وهي نحاس مكسر أحمر وأصفر وكل زنة رطل بالمصري بدرهمين من النقرة (ثلثاها فضة)

فلما ظهرت الفلوس الجدد صار سعر العتق كل رطل منها بدرهم ونصف حتى عصر القلقشندي - انظر عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان تحقيق د . عبدالرزاق القرموط. ص ١٩٨ نشر دار الزهراء .

١٢٩- الأصل المطبوع فبيعت الحبة الواحدة بثلث درهم والصحيح بيعت بثلاث دراهم من حساب ستين بدينار وهو ما ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٤٦٢ / دار الفكر وانظر - إنباء الغمر بأبناء العمر - لابن حجر - طبع دائرة المعارف العثمانية ١ / ٩٢ .

١٣٠- صحاح الجوهري / تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ج٣ ص٩٥٩ .

١٣١- الام الشافعي - مصورة طبعة بولاق بهامشها مختصر المزني ٣/٨٦ .

١٣٢- السنن الكبرى للبيهقي مع الجوهر النقي - توزيع دار الباز ٥/٢٨٧ .

١٣٣- أخرج ابن شيبة هذا الأثر الموقوف عن مجاهد وطاووس وحماد بن زيد انظر المصنف كتاب البيوع والأقضية / باب الفلس بالفلسين -- رقم الحديث ٢٥٩١ - ٢٥٩٢ - ٢٥٩٣ في المجلد ٧ ص ١٢٠ وقال المحقق حديث حماد أخرجه عبدالرزاق ٨/٣٧ من طريق معمر ولم يذكر يداً بيد .

١٣٤- المصنف لابن أبي شيبة ٧/٢٦٧ - باب ٤٨٠ - حديث رقم ٣١٢٦ - كتاب البيوع والأقضية .

١٣٥- محمد بن يحيى بن عبدالله - أبو بكر الصولي نديم الخلفاء العباسيين - الراضي والمكتفي والمقتدر وكتابه الأوراق ما زال أكثره مخطوطًا ، وفيات الأعيان ١/٥٠٨ - والأعلام ٨/٤ .

١٣٦- سبق مناقشة قضية التعامل بالنقود المغشوشة في الفائدة الرابعة والخامسة من هذه الرسالة حيث ذكر كراهة الشافعي إمساك المغشوش كيلا يغر الورثة واستثنى النووي ما إذا كانت دراهم كلها مغشوشة فلا يكره إمساكها .

وعاد هنا لإثارة هذه القضية ثانية وقد صح عن عمر ، رضي الله عنه ، قوله : من زافت دراهمه - أي صارت زيوفًا - فليخرج بها إلى البقيع فيشترى بها سحق الثياب (البالي) أو سمل الثياب بالمعنى نفسه .

وقال الإمام أحمد يشرح أثر عمر رضي الله عنه - معنى زافت أي (نفيت) - صارت نفاية وقد سئل - رحمه الله - عن رجل اجتمعت عنده زيوف يسبكها قيل : يبيعها بدينار . ؟ قال : لا . قيل يبيعها بفلوس ؟ قال أخاف أن يغر بها مسلماً فقد صرح بأنه إنما كرهها من أجل التغرير - مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب / الفقه - المجلد الأول ص ٤٨٥ .

ونفاية بيت المال مما يتجمع من بقايا الزيوف والدراهم (القسيات ضرب من الزيوف فيه فضة صلبة رديئة ليست بلينة قال أبو زبيد :

لها صواهل في صم السلاح كما
صاح القسيات في أيدي الصياريف

معجم الصحاح - تحقيق عطار ٦/٢٤٦٢ .

وقد باع عبدالله بن مسعود ، رضي الله عنه، تلك النفاية بدراهم دون وزنها فنهاه عمر ، رضي الله عنه، وأمره باستخلاص الفضة على النار وبيعها مثلا مثلا كيلا نقع في الربا .

١٣٧- الرهط التسعة من ثمود قوم صالح عليه السلام وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم أنهم الذين عقروا الناقة وحاولوا تبييت صالح عليه السلام وقتله . فتح القدير للشوكاني ٤/١٤٤.

والمدينة هي الحجر التي نزلها صالح عليه السلام وقد روى في إفسادهم في الأرض عدة روايات أعظمها شركهم وكفرهم بالله عز وجل وتكذيبهم صالحًا عليه السلام . وقد روى عن عطاء بن أبي رباح سعيد بن جبير ، كان فسادهم كسر الدراهم والدنانير .

زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي ٦/١٨١ .

ونقل القرطبي رواية عطاء : أنهم كانوا يقرضون الدراهم والدنانير - الجامع لأحكام القرآن / القرطبي ١٣/٢١٥ .

وقرض الدراهم والدنانير نوع من الغش والخيانة لأنه تنقيص لوزن الدرهم والدينار بالأخذ من أطرافه شيئاً ثم يجمعون القراضة ويصهرونها سبيكة ذهب أو فضة . وقد سبق النهي عن كسر سكة المسلمين إلا من بأس للحفاظ على النقود سليمة من عبث العابثين .

١٣٨- ذكر ذلك السيوطي/الوسائل في مسامرة الأوائل/ - باب البيوع - ف ٢٩٤ .

١٣٩- عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة الأموي أمير فاتح ولد بمكة ٤/هـ وولي البصرة أيام عثمان ، رضي الله عنهما ، عام ٢٩هـ. فتح كثيراً من بلدان فارس وبلغ سرخس وفتح طوس وطخارستان ونيسابور وهراة وأمل وكابل ... شهد الجمل مع عائشة ، رضي الله عنها ، ولم يشهد صفين وولي البصرة لمعاوية ، رضي الله عنه ، ثلاث سنوات ثم صرفه عنها فأقام بالمدينة وتوفي بعرفات ودفن فيها ٥٩هـ - الأعلام للزركلي ٤/٢٢٨ .

المراجع

التفسير

١ - تفسير القرآن العظيم - ابن كثير الدمشقي .

٢ - تفسير الطبري - دار الفكر .

٣ - الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي .

٤ - فتح القدير للشوكاني .

الحديث

١ - فتح الباري شرح البخاري .

٢ - الفتح الرباني في ترتيب أحاديث مسند الشيباني .

٣ - سنن البيهقي - مع الجوهري - دار الباز بمكة المكرمة .

٤ - المصنف لابن أبي شيبة . تحقيق عبدالخالق الأفغاني ط الدار السلفية - بومباي ١٩٧٩م .

٥ - نيل الأوطار للشوكاني .

اللـــغة

١ - صحاح الجوهري - بتحقيق - أحمد عبدالغفور عطار .

٢ - المعجم الوسيط - ط . مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

كتب الفقه الإسلامي ومذاهبه

١ - الأحكام السلطانية - الفراء - ط١ مصطفى البابي الحلبي.

٢ - الأحكام السلطانية - الماوردي - ط دار الباز .

٣ - الإيضاح والتبيان في المكيال والميزان - ابن الرفعة الدمشقي - تحقيق إسماعيل خاروف - ط جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ .

٤ - الأم - للشافعي - مصورة طبعة بولاق وبهامشها مختصر المزني .

٥ - حاشية قليوبي وعميرة على المنهاج .

٦ - الخراج .

٧ - الخراج والنظم المالية - لمحمد ضياء الدين الريس .

٨ - [رد المحتار شرح الدرالمختار] - المعروف بحاشية ابن عابدين .

٩ - روضة الطالبين وعمدة المفتين - للنووي -٠ ط المكتب الإسلامي.

١٠- الروض المربع بشرح زاد المستقنع .

١١- زاد المحتاج بشرح المنهاج - للكوهجي - تحقيق عبدالله الأنصاري .

١٢- فتح العزيز شرح الوجيز - للغزالي بحاشية المجموع شرح المهذب .

١٣- المحلى - ابن حزم الأندلسي - ط دار الآفاق الجديدة .

١٤- المجموع شرح المهذب للنووي - المطبعة المنيرية بالقاهرة .

١٥- موسوعة الفقه الإسلامي وأدلته - د . وهبة الزحيلي .

التاريخ والسير والتراجم

١ - الأعلام - خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين .

٢ - إنباء الغمر بأبناء العمر - أحمد بن حجر العسقلاني / ط دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن .

٣ - الأوائل - أبو هلال العسكري - تحقيق د . وليد قصاب وزميله - دار العلوم بالرياض .

٤ - البداية والنهاية - أبو الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي .

٥ - البندقية جمهورية أرستقراطية - شارل ديل - ترجمة د . أحمد عزت عبدالكريم مطبعة مصر ١٩٤٨م .

٦ - بدائع الزهور في وقائع الدهور - ابن إياس (محمد بن أحمد) - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م .

٧ - تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي .

٨ - تاريخ الخلفاء - السيوطي .

٩ - تاريخ أوروبا في العصور الوسطى - فيشر - ترجمة د . محمد مصطفى زيادة - الباز العريني - ط ٣ مصر ١٩٥٧ .

١٠- تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية للخزاعي التلمساني - طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عام ١٤٠١هـ .

١١- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة - للسيوطي - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - ط السعادة ١٩٦٧م .

١٢- حوادث الدهور - أبو المحاسن ابن تغرى بردى .

١٣- الخطط التوفيقية .

١٤- خطط المقريزي .

١٥- السلوك في معرفة دول الملوك - تقي الدين أحمد بنعلي المقريزي - تحقيق د . سعيد عبدالفتاح عاشور . دارالكتب المصرية ١٩٧٣م .

١٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب - ابن العماد الحنبلي .

١٧- سير أعلام النبلاء .

١٨- صبح الأعشى في صناعة الإنشا - للقلقشندي .

١٩- الضوء اللامع .

٢٠- طبقات الشافعية - للسبكي .

٢١- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب - د . نعيم كمال فهمي - الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٧٦ .

٢٢- العبر في خبر من غبر .

٢٣- العصر المماليكي في مصر والشام د . سعيد عاشور - ط - ١٩٧٦م .

٢٤- عقد الجمان - للبدر العيني - تحقيق د . عبدالرزاق قرموط .

٢٥- فتوح البلدان للبلاذري - تحقيق د . صلاح الدين المنجد .

٢٦- فوات الوفيات .

٢٧- قوانين الدواوين .

٢٨- الكواكب السائرة .

٢٩- مقدمة ابن خلدون - ط دار العودة - بيروت .

٣٠- معجم البلدان - ياقوت الحموي .

٣١- المفصل في تاريخ العرب والإسلام - د . جواد علي .

٣٢- النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة - ابن تغرى بردى .

٣٣- النقود العربية - ماضيها وحاضرها - د . عبدالرحمن فهمي محمد -٠ مكتبة الفيصلية بمكة المكرمة .

٣٤- النقود العربية وعلم النميات - أنستاس ماري الكرملي .

٣٥- نزهة النفوس والأبدان في تاريخ أهل الزمان .

٣٦- الوسائل في مسامرة الأوائل .

٣٧- وصف مصر لعلماء الحملة الفرنسية - ترجمة زهير الشايب - ط القاهرة ١٩٧٦م .

٣٨- وفيات الأعيان .

٣٩- الوحدات النقدية المملوكية - د . سامح عبدالرحمن فهمي محمد . ط مكتبة تهامة السعودية .

- كتب أخرى -

١ - دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها - أحمد الخازندار - محمد إبراهيم الشيباني - مكتبة ابن تيمية ١٤٠٣هـ .

العجاجة الزرنبية في السلالة الزينبية

لجلال الدين السيوطي

[٨٤٩هـ - ٩١١هـ]

تحقيق : ناصر آل سعيّد

المؤلف

نسبه

هو عبدالرحمن جلال الدين أبو الفضل ابن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الخضيري الأسيوطي أو السيوطي الشافعي مذهبًا (١) .

والخضيري - بالخاء المعجمة (٢) - نسبة إلى جده خضير ، والأسيوطي أو السيوطي نسبة إلى أسيوط مدينة بمصر كانت بضم الهمزة وأما الآن فهي بالفتح .

مولده و وفاته :

ولد في رجب سنة (٨٤٩هـ) و توفي في جمادى الأولى سنة (٩١١هـ) عن إحدى وستين سنة وزيادة .

نشاته :

نشأ السيوطي يتيمًا ، فقد توفي والده وعمره خمس سنوات ، ولكنه نشأ في بيئة علمية فلقد حضر مجلس شيخ الإسلام ابن حجر وهو في الثالثة من عمره ، وحفظ القرآن وهو ابن ثماني سنوات مع ماحباه الله عزوجل بمزيد من النبوغ المبكر وأنبته نباتًا حسنًا في وسط علمي عريق (٣) ، ولما بلغ الأربعين سنة اعتزل الناس وخلا بنفسه في روضة المقياس منزويًا عن أصحابه جميعًا كأنه لا يعرف أحدًا منهم ، فألف أكثر كتبه (٤) وكان رحمه الله زاهدًا عفيفًا (٥) .

شيوخه :

حفلت حياة السيوطي بالأخذ عن العلماء والتتلمذ والقراءة عليهم ، فلقد أخذ عن ست مئة شيخ هكذا رواه الشعراني ، وبلغ من ذكرهم الداودي إحدى وخمسين نفسًا (٦) .

فأخذ عن شرف الدين المناوي ولازمه حتى مات (٧) واستمد من النجم بن فهد (٨) .

مؤلفاته :

عرف الإمام السيوطي بكثرة المؤلفات والتصانيف ، فله نحو ست مئة مصنف (٦٠٠) منها الكتاب الكبير ، الرسالة الصغيرة (٩) وبلغ مجموعها عند الخازندار والشيباني تسع مئة وواحدًا و ثمانين (٩٨١) مؤلفًا (١٠) . وفي فهرس مخطوطاته نسخة تشستربيتي بلغ عدد الكتب (٤٦٠) عنوانًا ، وفي نسخ جامعة الإمام (٢٧٦) عنوانًا (١١) .

وهذه العناوين في جميع الفنون والمعارف الإسلامية من لغة وتاريخ وحديث وغيره .

ولقد اشتهرت أكثر مصنفاته في حياته في أقطار الأرض شرقًا وغربًا وكانه آية كبرى في سرعة التأليف (١٢) .

ومن أهم مؤلفاته الإتقان ، وتفسير الجلالين ، وحسن المحاضرة ، والدر المنثور ، والجامع الصغير وغيرها .

هذه الرسالة ألفها جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (٨٤٩ - ٩١١هـ) وهو أشهر من أن يعرف به لكثرة ماكتب عنه وما نشر من مؤلفاته .

الرسالة ونسخها :

أجمعت النسخ الثلاث التي حققت عليها الرسالة أنها للسيوطي ، وإن اختلفت في التسمية ، وذكرتها المؤلفات التي ترجمت له فقال أحمد الشرقاوي إقبال (١٣) :

العجاجة الزرنبية نسبها إليه حاجي خليفة في كشفه (١٤) وجميل العظم في عقوده ، والبغدادي في هدية العارفين (١٥) وفي إيضاح المكنون .

واختلفت النسخ في التسمية ففي بعضها باسم العجاجة الزرنبية في السلالة الزينبية وكذلك طبعت ، وفي نسخة الخيرية ودار الكتب المصرية اعتمادًا على دليل

مخطوطاته باسم رسالة في تحريم الصدقات على الأشراف .

ولعل العنوان الأول هو الأرجح ؛ لأن الرسالة كلها في ذرية زينب - رضي الله عنها - وأما العنوان الثاني فلعله تصرف من أحد النساخ أو جماع الكتب .

نسخها :

تم تحقيق المخطوطة على ثلاث نسخ ، الأولى تمتلكها الخيرية (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية) ولقد صورها لي القائمون على المركز مشكورين ، ورمزنا لها بالرمز (أ) ونسخت عام (١٢٤٣هـ) وهي في أربع ورقات وعدد الأسطر (٢٥) سطراً ورقمها (٦١٣٣) ، وهي مكتوبة بخط نسخي واضح . وهي باسم : رسالة تتعلق بالأشراف وعدم جواز الصدقة عليهم .

والنسخة الثانية رمزنا لها بالرمز (ب) وهي مخطوطة المكتبة المولوية برقم (٤٩٩) وهي مصورة لدى جامعة الملك سعود (الرياض) ضمن مجموع برقم (٧٢٧/ ٣ص) ، والرسالة في خمس صفحات كل صفحة (٢٥) سطراً نسخها أحمد بن صالح الحنفي سنة (١٠٧٩هـ) .

وعلى الصفحة الأخيرة عدة أبيات منها ثلاثة أبيات لشيخ الإسلام ابن حجر وهي :

توفي رسول الله عن تسع نسوة
إليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة و صفية
وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة
ثلاث وست نظمهن مهذب

والنسخة الثالثة رمزنا لها بالرمز (ج) وهي مخطوطة بوقف الأحمدية بحلب ورقمها (٨٣١) وهي مصورة لدى جامعة الملك سعود (الرياض) ضمن مجموع برقم (٦٤٧/ ١١ص) وهي في أربع صفحات كل صفحة فيها (٣١) سطراً وهي بخط رمضان بن موسى العطيفي سنة (١٠٥٧هـ) .

وتوجد نسخة رابعة في دار الكتب المصرية برقم (٥٣٠) مجاميع [١٦] .

ولقد طبعتها دار الكتب العلمية ضمن الحاوي للفتاوي للسيوطي .

النص

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله وكفى وسلام على عباده (الذين) [١٧] اصطفى .

مسألة [١٨] :

علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - رزق من الأولاد الذكور (أحداً وعشرين) [١٩] ولداً ومن الإناث ثمان عشرة على خلاف في ذلك .

والذين أعقبوا من ولده الذكور خمسة ، قال ابن سعد في الطبقات [٢٠] : كان النسل من ولد علي لخمسة : الحسن ، والحسين ، ومحمد بن الحنفية ، والعباس بن الكلابية [٢١] ، وعمر بن التغلبية [٢٢] .

(مسألة) [٢٣] :

فاطمة الزهراء [*] - رضي الله عنها - رزقت من الأولاد (خمسة) [٢٤] : الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم [٢٥] وزينب .

فأما محسن فدرج سقطا ، وأما الحسن والحسين فأعقبا الكثير الطيب .

وأما أم كلثوم فتزوجها عمر - رضي الله تعالى عنه - وولدت له زيداً ورقية ، وتزوجها بعده ابن عمها عون بن جعفر بن أبي طالب فمات معها ، ثم تزوجها بعده أخوه محمد فمات معها ، ثم تزوجها بعده أخوه عبدالله بن جعفر فماتت عنده ولم تلد لأحد من الثلاثة شيئًا .

وأما زينب فتزوجها ابن عمها عبدالله بن جعفر فولدت له عليًا و (عونًا) [26] الأكبر وعباسًا ومحمداً وأم كلثوم .

مسألة :

أولاد زينب المذكورة من عبدالله بن جعفر موجودون (بكثرة) [27] ونتكلم عليهم من عشرة (أوجه) [27] :

أحدها :

أنهم من آل النبي وأهل بيته بالإجماع ؛ لأن آله هم المؤمنون من بني هاشم والمطلب .

وأخرج مسلم [28] والنسائي [29] عن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله ﷺ [١/ب] خطيباً فقال :

(أذكركم الله في أهل بيتي) ثلاثًا [30]

فقيل لزيد بن أرقم : ومن أهل بيته ؟

قال : أهل بيته من حرم الصدقة بعده .

قيل : ومن هم ؟

قال : آل علي و آل عقيل ، وآل جعفر و آل عباس [31] .

الثاني :

أنهم من ذريته وأولاده بالإجماع ، وهذا المعنى (أخصر) [32] من الذي قبله قال (البغوي) [33] في التهذيب : أولاد بنات الإنسان لا ينسبون إليه وإن كانوا (معه) [34] (معدودين) [35] في ذريته حتى لو أوصى (لأولاد أولاده فلا يدخل) [36] فيه أولاد البنت .

الثالث :

أنهم هل يشاركون أولاد الحسن والحسين في أنهم ينسبون إلى النبي ﷺ ؟

والجواب : لا (و هذا المعنى) [37] (أخص) [38] من (الوجه) [39] الذي قبله .

(وقد فرق) [40] الفقهاء بين من يسمى ولداً للرجل وبين من ينسب إليه ، وبهذا قالوا : لو قال وقفت على أولادي دخل أولاد البنت ، (ولو قال وقفت على من ينسب إلي من أولادي لم يدخل ولد البنت) [41] .

وقد ذكر الفقهاء من خصائصه ﷺ أنه ينسب إليه أولاد بناته ، ولم يذكروا مثل ذلك (في) [42] أولاد بنات بناته ، والخصوصية للطبقة العليا فقط فأولاد فاطمة [43] ينسبون إليه ، وأولاد الحسن والحسين ينسبون إليهما وينسبون إليه .

وأولاد زينب وأم كلثوم ينسبون إلى أبيهم عمر وعبدالله لا إلى الأم ولا إلى أبيها ﷺ ؛ لأنهم أولاد بنت بنته لا أولاد بنته ، فجرى الأمر فيهم على قاعدة الشرع في أن الولد يتبع أباه في النسب لا أمه ، وإنما خرج أولاد فاطمة وحدها للخصوصية التي ورد الحديث بها وهو مقصور على ذرية الحسن والحسين .

وأخرج الحاكم في المستدرك [44] عن جابر قال [٢/أ] : قال رسول الله ﷺ :

لكل بني (أم) [45] عصبة [ينتمون إليهم] إلا ابني فاطمة أنا وليهما وعصبتهما [46] .

وأخرج أبو يعلى في مسنده عن فاطمة – رضي الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ لكل بني (أم) عصبة [47] إلا ابني فاطمة أنا وليهما وعصبتهما [48] .

فانظر إلى لفظ الحديث كيف خص الانتساب والتعصيب بالحسن والحسين دون أختيهما ، لأن أولاد أختيهما إنما ينسبون إلى آبائهم .

ولهذا جرى السلف والخلف على أن ابن الشريفة لا يكون شريفًا (إذا لم يكن أبوه شريفًا) [49] ، ولو كانت الخصوصية عامة في أولاد بناته وإن سفلن لكان ابن الشريفة [50] شريفًا تحرم عليه الصدقات وإن لم يكن أبوه (شريفًا) [51] كذلك ، وليس كذلك كما هو معلوم [52] .

ولهذا حكم ﷺ (بذلك) [53] لابني فاطمة دون غيرها من بناته ، لأن أختها زينب بنت رسول الله ﷺ لم تعقب ذكراً حتى يكون كالحسن والحسين ، وإنما أعقبت بنتًا وهي أمامة بنت أبي العاص بن الربيع ، فلم يحكم لها ﷺ بهذا الحكم مع وجودها في زمنها فدل على أن أولادها لا ينسبون إليه (لأنها بنت بنته ، وأما هي فكانت تنسب إليه) [54] بناءً على أن أولاد بناته ينسبون إليه ولو كان لزينب ابنة رسول الله ﷺ ولداً ذكراً لكان حكمه حكم الحسن والحسين في أن ولده ينسبون إليه ﷺ ، هذا تحرير القول في هذه المسألة ، وقد خبط جماعة من أهل العصر في ذلك ولم يتكلموا فيه بعلم .

الوجه الرابع :

أنهم هل يطلق عليهم أشراف ؟

والجواب أن اسم الشريف [٢/ ب] (كان) (٥٥) يطلق في الصدر الأول على كل من كان من أهل البيت سواءً كان حسنيًا أم حسينيًا أم علويًا من ذرية محمد بن الحنفية وغيره من أولاد علي بن أبي طالب ، أم جعفريًا ، أم عقيليًا ، أم عباسيًا ، ولهذا تجد تاريخ الحافظ الذهبي مشحونًا في التراجم بذلك يقول الشريف العباسي ، الشريف العقيلي ، الشريف الزينبي .

(فلما ولي الفاطميون الخلافة) (٥٦) بمصر قصروا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين (فقط) فاستمر ذلك بمصر إلى الآن (٥٧) .

وقال الحافظ بن حجر في كتاب الألقاب : الشريف ببغداد لقب لكل عباسي ، وبمصر لقب لكل علوي ، انتهى .

ولا شك أن المصطلح القديم أولى (وهو) (٥٨) إطلاقه على كل علوي وجعفري وعقيلي وعباسي كما صنعه الذهبي والماوردي (٥٩) من أصحابنا (٦٠) والقاضي أبو يعلى الفرا من الحنابلة كلاهما في الأحكام السلطانية (٦١) .

ونحوه قول ابن مالك في الألفية : وآله المستكملين الشرفا .

فلا ريب أنه يطلق على ذرية زينب المذكورين أشرافًا .

وكم أطلق الذهبي في تاريخه في كثير من التراجم قول الشريف الزينبي ، وقد يقال على اصطلاح أهل مصر (الشرف) (٦٢) أنواع : عام بجميع أهل البيت ، وخاص بالذرية فيدخل فيه الزينبية ، وأخص منه (شرف النسبة) (٦٣) وهو مختص بذرية الحسن والحسين .

الوجه (الخامس) (٦٤) :

أنهم تحرم عليهم الصدقة بالإجماع (لأن بني) (٦٥) جعفر من الآل .

السادس :

أنهم يستحقون [من] (٦٦) سهم ذوي القربى بالإجماع .

السابع :

أنهم يستحقون من وقف بركة الحبش (٦٧) بالإجماع ؛ لأن بركة الحبش لم توقف على أولاد الحسن والحسين خاصة ؛ بل وقفت نصفين : النصف الأول على الأشراف وهم أولاد الحسن [٣/ ب] والحسين ، والنصف الثاني على الطالبيين وهم ذرية : علي بن أبي طالب من الحنفية وإخوته وذرية جعفر بن أبي طالب ، وذرية عقيل بن أبي طالب ، وثبت هذا الوقف على (هذا) (٦٨) الوجه على قاضي القضاة بدر الدين السنجاري (٦٩) في ثاني عشر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة [١٢/ ٤/ ٦٤٠هـ] ، ثم اتصل ثبوته على (قاضي القضاة) (٧٠) شيخ الإسلام عز الدين بن عبدالسلام في تاسع عشرين (٧١) من ربيع الآخر من السنة المذكورة [٢٩/ ٤/ ٦٤٠هـ] .

ثم اتصل ثبوته على قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، ذكر ذلك ابن المتوج (٧٢) في كتابه إيقاظ المتأمل .

الثامن :

أنهم (٧٣) هل يلبسون العلامة الخضراء ؟

والجواب : أن هذه العلامة ليس لها أصل في الشرع ولا في السنة ، ولا كانت في الزمن القديم وإنما حدثت في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة [٧٧٣هـ] ، بأمر الملك الأشرف شعبان بن حسين .

وقال في ذلك جماعة من الشعراء ما يطول ذكره من ذلك قول أبي عبدالله بن جابر الأندلسي الأعمى – صاحب شرح الألفية المشهور بالأعمى والبصير – (٧٤)

جعلوا لأبناء الرسول علامة
إن العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في (وسم) (٧٥) وجوههم
يغني الشريف عن الطراز الأخضر

وقال شمس الدين (محمد) (٧٦) بن إبراهيم الدمشقي :

أطراف تيجان أتت من سندس
خضر بأعلام على الأشراف
والأشرف السلطان خصهم بها
شرفًا ليفرقهم من الأطراف (٧٧)

وحظ الفقيه في ذلك إذا سئل أن يقول : لبس هذه العلامة بدعة مباحة (٧٨) [٣/ ب] لا يمنع منها من أرادها من شريف وغيره (ولا يؤمر بها من تركها من

شريف وغيره) (٧٩) والمنع منها لأحد من الناس كائن من كان ليس أمرًا شرعيًا ؛ لأن الناس مضبوطون بأنسابهم الثابته ، وليس لبس العلامة مما ورد به شرع فيتبع إباحة ومنعًا (٨٠) ومنها أقصى ما في الباب أنه أحدث التمييز بها لهؤلاء عن غيرهم ومن الجائز أن يخص ذلك بخصوص الأبناء المتسبين إلى النبي ﷺ وهم ذرية الحسن والحسين ، ومن (الجائز) (٨١) أن يعمم في (٨٢) كل ذريته ، وإن لم ينسبوا إليه كالزينبية ، ومن الجائز ، أن يعمم في كل أهل البيت كباقي العلوية و الجعفرية والعقيلية كل (ذلك) (٨٣) جائز شرعًا وقد يستأنس فيها بقوله تعالى (٨٤) :

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾ .

وقد استدل بها بعض العلماء على تخصيص أهل العلم بلباس (يختصون به من تطويل) (٨٥) الأكمام وإدارة الطيلسان ونحو ذلك ليعرفوا فيجلوا تكريمًا (لهم) (٨٦) وللعلم وهذا وجه حسن والله أعلم .

والتاسع :

هل يدخلون في الوصية للأشراف (٨٧) ؟

والعاشر :

هل يدخلون في الأوقاف على الأشراف ؟

والجواب : إنه إن وجد في كلام الموصي و الواقف نص يقتضي دخولهم أو خروجهم اتبع ، وإن لم يوجد ما يدل على هذا (ولا هذا) (٨٨) فقاعدة (الفقه) (٨٩) أن الوصايا والأوقاف تنزل على عرف البلد ، وعرف مصر من عهد الخلفاء الفاطميين إلى الآن أن الشريف لقب لكل حسني وحسيني خاصة ، فلا يدخلون على مقتضى هذا العرف ، وإنما (تقدم) (٩٠) دخولهم في بركة الحبش ؛ لأن واقفها نص في وقفه (على) (٩١) ذلك حيث [٤/أ] وقف نصفها على الأشراف ونصفها على الطالبيين .

انتهى والحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأزواجه وذريته وأشياعه وعلى محبه وعلينا معهم أجمعين

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (٩٢)

الهوامش

(١) انظر ترجمته في النور السافر للعيدروسي ص (٥١) وترجم لنفسه في كتابه حسن المحاضرة .

(٢) أما صاحبا دليل مخطوطاته فذكرا أنها بالحاء المهملة وقالا ص(٧) : الحضيرية محلة ببغداد في الجانب الشرقي وتعرف بسوق حضير ، قال أبو عبدالله : وارجعا إلى معجم ياقوت وحسن المحاضرة .

(٣) انظر السيوطي محدثًا نقلاً عن دليل مخطوطاته ص٩ .

(٤) و (٥) شذرات الذهب (٨/ ٥٣) .

(٦) المصدر السابق ودليل مخطوطاته ص(٩).

(٧) شذرات الذهب .

(٨) الضوء اللامع (٤/ ٦٦) .

(٩) الأعلام (٣/ ٣٠١) .

(١٠) انظر دليل مخطوطاته .

(١١) فهرست مخطوطات السيوطي تح . يحيى ساعاتي مجلة عالم الكتب (مج١٣/ ٦) .

(١٢) شذرات الذهب (٨/ ٥٣) .

(١٣) مكتبة الجلال السيوطي ص٢٥٣ رقم ٤٥٢ .

(١٤) كشف الظنون (٢/ ١١٢٤) .

(١٥) هدية العارفين (١/ ٥٤٠) .

(١٦) دليل مخطوطات السيوطي رقم (٣٢٧) ومكتبة الجلال السيوطي (٢٥٣) .

(١٧) في (أ) الذي .

(١٨) في الأصل مسئلة وكذلك في باقي المسائل .

(١٩) في (أ) أحدا وعشرون ، وفي (ب) احدي وعشرين .

(٢٠) الطبقات الكبرى ٣/ ٢٠ .

(٢١) أمه أم البنين من بني كلاب بن ربيعة .

(٢٢) كذا في (ج) ، وفي (أ) و (ب) الشعلبية بالمثلثة والعين المهملة والصواب مافي (ج) بالمثناة من فوق والغين المعجمة نسبة إلى تغلب بن وائل كما ساق نسبها شيخ الشرف العبيدلي في التهذيب الذي عمل في تحقيقه ، وإن كانت تصحفت إلى الثعلبية بالمثلثة وكما ساق نسبها ابن سعد في الطبقات .

(٢٣) بياض في صورة (أ) .

* في (م) الزهري .

(٢٤) في (أ) من الأولاد الخمسة .

(٢٥) في (أ) وأم كلثوم فمحسن و أم كلثوم - بتكرار أم كلثوم - .

(٢٦) في (أ) عوفا .

(٢٧) ليست في (ج) .

(٢٨) مطولا في فضائل علي (٤/ رقم ٢٤٠٨) .

(٢٩) في السنن الكبرى في فضائل العباس (٥/ ٥١) .

(٣٠) في (ب) اذكروا الله .

(٣١) أخرجه الإمام أحمد (الفتح الرباني ٢٢/ ١٠٣) وعبد بن حميد رقم (٢٦٥ص ١٤) والطبراني (٥/ ١٨٢) رقم (٥٠٢٦) و (٥٠٢٨) والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٤٨) و (٧/ ٣١) و (١٠/ ١١٤) .

(٣٢) في (ج) أخص .

(٣٣) في (ج) النووي .

(٣٤) ليست في (ب) و (ج) .

(٣٥) في (أ) معدون .

(٣٦) في الأصول : لأولاد أولاد فلان يدخل - كذا - .

(٣٧) في (ج) وهذا الوجه .

(٣٨) في (أ) قريب من .

(٣٩) ليست في (ج) .

(٤٠) في (أ) وهذا فرق .

(٤١) ما بين القوسين ليس في (ب) .

(٤٢) ليس في (ب) .

(٤٣) في (ب) و (ج) فاطمة الأربعة .

(٤٤) المستدرك (٣/ ١٤٦) والزيادة من المستدرك .

(٤٥) في (ج) لكل بني آدم .

(٤٦) قال الحاكم عن حديث جابر : صحيح ، وقال الذهبي معلقًا (٣/ ١٦٤) : قلت ليس بصحيح فإن يحيى [بن العلاء] قال أحمد : كان يضع الحديث ، والقاسم [بن أبي شيبة] متروك .

(٤٧) ليست في (أ) .

(٤٨) أخرجه الطبراني بلفظ قريب في (٣/ ٤٥/ ٢٦٣١) ، وفي مسند فاطمة ، والخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٢٨٥) ، وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٢٥٨) ، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢/ ٢١٣ رقم ٨٠٠) .

قال أبو عبدالله فاتضح أن الحديث ضعيف فالقاعدة التي بنيت عليه باطلة .

(٤٩) ما بين القوسين ليس في (ب) .

(٥٠) في (ب) و (ج) ابن كل شريفة .

(٥١) ليس في (ب) و (ج) .

(٥٢) قال أبو عبدالله : هذا هو الحق إن شاء الله خلاف ما ادعاه ابن مرزوق - الحفيد - من أن ابن الشريفة يعامل معاملة الأشراف ، وذلك في رسالة الشرف من جهة الأم المسماة : إسماع الصم في الشرف من جهة الأم ، التي شرعت في تحقيقها ، ولقد صورتها من والدي الكريم أبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري - عفا الله عنه .

(٥٣) و (٥٤) ما بين القوسين ساقط من (ج) .

(٥٥) زيادة من (ب) و (ج) .

(٥٦) في (ب) و (ج) فلما ولي الخلفاء الفاطميون بمصر .

(٥٧) قال أبو عبدالله : وإلى اليوم ، أما في الحجاز فإنهم يطلقون لقب الشريف على ذرية الحسن ، ويطلقون على ذرية الحسين بالتصغير لقب السادة فيقال السادة السقاف .

وهناك رأي ثالث وهو : أنهم يطلقون على البادية لقب أشراف وعلى الحاضرة لقب سادة ، فاتفق أنه لايوجد حسينية بادية في الحجاز .

قال أبو عبدالله : هذا خاص بالحجاز أما في العراق فيطلقون على آل شبيب والسعدون - المتربعين على . . . - أمراء المنتفق أشرافًا .

وحدثني الشريف حسن الحازمي : أنه يطلق عليهم في جازان أشرافًا وسادة ، قلت إلا أن الأكثر والله أعلم لقب السادة ، وهناك كتاب نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود ، وهو من سادة المخلاف .

(٥٨) في (ب) وهذا .

(٥٩) في (ب) و (ج) وكما أشار إليه الماوردي .

(٦٠) بين السطور في (أ) أي أصحاب الشافعية .

(٦١) في (ب) و (ج) الماوردي في الأحكام السلطانية من أصحابنا والقاضي أبو يعلى بن الفرا من الحنابلة كلاهما ونحوه قول .

(٦٢) سقطت من (ب) ، وفي (ج) الشريف .

(٦٣) في (ب) و (ج) شريف النسبة .

(٦٤) ليست في (ب) .

(٦٥) العبارة مضطربة في (ج) .

(٦٦) إضافة من المحقق .

(٦٧) قال محقق النجوم الزاهرة : هذه البركة واقعة جنوبي مصر فيما بين النيل والجبل ، ثم ذكر عدة أسماء لها نقلاً عن المقريزي منها أنها تسمى بركة الأشراف ، ثم نقل عنه قوله : وهذه البركة لم تكن بركة عميقة فيها ماء راكد بالمعنى المفهوم الآن من لفظ بركة ، وإنما كانت تطلق على حوض من الأراضي الزراعية التي يغمرها ماء النيل وقت فيضانه (راجع النجوم الزاهرة ٦/ ٣٨١ الاستدراك) .

(٦٨) ليست في (ج) .

(٦٩) في (أ) السنجاوي وفي (ب) البخاري ، وأثبتنا ما في (ج) السنجاري - بسين مهملة ثم نون ثم جيمًا ثم ألفًا ثم راء مهملة ثم ياء النسبة : أبو المحاسن يوسف بن حسن ، قال الذهبي : صدر معظم وجواد ممدح توفي في رجب سنة

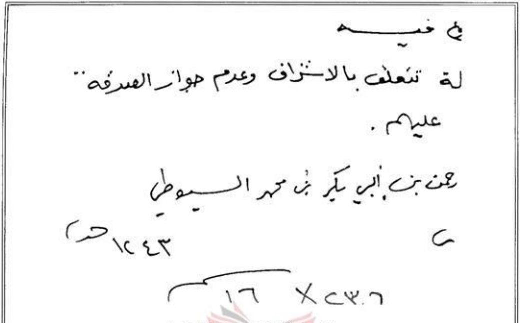
(٦٦٣هـ) انظر العبر (٣/٣٠٨) .
(٧٠) في (أ) فقط .
(٧١) في (ب) و (ج) تاسع عشري .
(٧٢) في (أ) ابن المتوجي ، والمتوج بضم الميم وفتح المثناة هكذا ضبطه خير الدين الزركلي وهو : محمد بن عبدالوهاب تاج الدين المتوفي سنة (٧٦٠هـ) . مؤرخ له إيقاظ ، و إتعاظ المتأمل المتغفل ، له ترجمة في الدرر الكامنة (٤/٣٦) والأعلام (٦/٢٥٦) .
(٧٣) في (أ) من أنهم .
(٧٤) في (أ) عبدالله بن جابر وهو محمد ابن أحمد بن جابر الأندلسي الهواري شمس الدين شاعر له نظم كثير توفي سنة (٧٨٠هـ) انظر الأعلام (٥/٣٢٨) .
(٧٥) في (ب) رسم وفي (ج) وسيم ، وفي البدائع والنجوم : كريم .
(٧٦) ليست في (ب) .
(٧٧) في (أ) الأشراف .
في (ب) و (ج) ليعرفهم ، وفي بدائع الزهور و النجوم الزاهرة : لنعرفهم - بالنون - .
(٧٨) قال أبو عبدالله : ليس هذه العلامة إنما هو من العفو الذي تركه الله عزوجل لنا حرية الاختيار فيه .
(٧٩) ما بين القوسين ساقط من (ج) .
(٨٠) في (أ) فيتبع إباحه .
(٨١) في (ب) ومن السنة .
(٨٢) في الأصول الثلاثة : وفي كل - بزيادة الواو - ، وفي (ج) أن يعمم فيهم وفي كل ذرية .
(٨٣) إضافة من (ب) .
(٨٤) سورة الأحزاب آية (٥٩) .
(٨٥) في (ج) : مختصون به في تطويل .
(٨٦) زيادة من (أ) .
(٨٧) في (ب) و (ج) : على الأشراف .
(٨٨) ليست في (ب) و (ج) .
(٨٩) في (ب) الفقهاء .
(٩٠) في (أ) تقدم من ، وفي (ب) و (ج) قدمت .
(٩١) زيادة من (ب) و (ج) .
(٩٢) في (ب) والله سبحانه وتعالى أعلم تمت .
في (ج) والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله صحبه وسلم تسليماً .

المصادر والمراجع

أولاً المخطوطات :
١ - إسماع الصم بالأشراف من جهة الأم لابن مرزوق العجيسي .
٢ - تهذيب الأنساب لشيخ الشرف العبيدلي مكتبة ليدن .

ثانياً الكتب المطبوعة :
١ - إقبال ، أحمد الشرقاوي / مكتبة الجلال السيوطي . - الرباط : دار المغرب ، ١٣٩٧هـ .
٢ - الألباني ، ناصر الدين / السلسلة الضعيفة . - ط٤ . - الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٠٨هـ .
٣ - البناء ، أحمد عبدالرحمن / الفتح الرباني . - القاهرة : دار الشهاب ، [د.ت] .
٤ - البيهقي / السنن الكبرى . - بيروت : دار الفكر ، [د.ت] .
٥ - ابن تغري بردى / النجوم الزاهرة - تحقيق : جمال الدين الشيال . - القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٢هـ .
٦ - الحاكم / المستدرك وبذيله تلخيص الذهبي . - بيروت : دار المعرفة ، [د.ت] .
٧ - الخازندار ، أحمد / دليل مخطوطات السيوطي . أحمد الخازندار ، محمد الشيباني . - الكويت : دار ابن تيمية ، ١٤٠٣هـ .
٨ - الخطيب البغدادي ، أحمد بن ثابت / تاريخ بغداد . - بيروت : دار الكتب العلمية [د.ت] .
٩ - الذهبي / العبر / تحقيق أبو هاجر محمد السعيد زغلول . - بيروت : دار الكتب العلمية ، [د.ت] .
١٠ - الزبيدي / تاج العروس . - [د.م : د.ن : د.ت] .
١١ - الزركلي ، خير الدين / الأعلام . - ط٧ . - بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٦م .
١٢ - السخاوي / الضوء اللامع . - القاهرة : مكتبة القدس ، [د.ت] .
١٣ - ابن سعد / الطبقات الكبرى . - بيروت : دار صادر ، [د.ت] .
١٤ - الطبراني / المعجم الكبير . تحقيق حمدي السلفي . - ط١ . - [د.م : د.ن] ، ١٤٠٠هـ .
١٥ - ابن العماد الحنبلي / شذرات الذهب . - بيروت : المكتب التجاري ، [د.ت] .
١٦ - العيدروسي / النور السافر . - بيروت : دار الكتب العلمية ، [د.ت] .
١٧ - النسائي / السنن الكبرى . تحقيق عبدالغفار البنداري ، سيد كسروي . - ط١ . - بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ .

ثالثاً المجلات :
١ - ساعاتي ، يحيى محمود . فهرست مخطوطات السيوطي . - عالم الكتب . - مج١٣ ، ع٦ (الجماديان ١٤١٣هـ ، نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٢م) . - ص٦٣٩-٦٤٧ .


في خصيصة
لة تتعلق بالاشراف وعدم جواز الصدقة
عليهم .
رحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي
١٢٤٣

عنوان النسخة (أ) المحفوظة في مركز الملك فيصل



الورقة الأولى من النسخة (أ)

ديوان الباهلي ، محمد بن حازم

تكملة التكملة وإصلاح الإصلاح

وليد محمد السراقبي
قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة البعث – حمص

محمد بن بن حازم الباهلي ، شاعر عباسي ، بصري المولد والمنشأ ، ولكنه انتقل إلى بغداد فسكنها ، ترجم له غير واحد ، كابن المعتز في طبقاته (٣٠٧ – ٣٠٩) ، والأصفهاني في الأغاني (٩٢/١٤ – ١١١) ، الصَّفدي في الوافي بالوفيات (٣٧/٢) ، وغيرهم .

ذكر ابن النديم في الفهرست [١] أنَّ له ديواناً يقع في سبعين ورقة ، وذكر الحصري القيرواني [٢] أنه رأى ديوانه، إلا أن أخبار ديوانه قد انمحت بعد هاتين الإشارتين .

وفي أيامنا هذه حظي شعر ابن حازم بجمعين اثنين ، أولهما قام به السيد شاكر العاشور ، ونشره في مجلة المورد العراقية ، العدد الثاني منها ، عام ١٩٧٧ . والثاني صنعه الأخ الدكتور محمد خير البقاعي ، وصدر بطبعته الأولى عن دار قتيبة بدمشق ، عام ١٩٨١م . وبين الجمعين فروق في المنهج المتَّبع في جمع شعر الشاعر ، وترتيب أشعاره ، وعدد الأبيات ، وعدد المصادر المعتمدة في الجمع . فقد بلغت الأبيات في طبعة العراق (٤٩٧ بيتًا) ، بينما هي في ط دمشق (٣٩٧ بيتًا) . ومصادر الجمع الأول (٩٨) مصدراً ، وهي في طبعة دمشق (٧٢) مصدراً .

وعمليته . جمع الشعر – والحق يقال – عملية شاقة ، وباب واسعٌ من دخل منه لا يمكنه أن يقول لنا : هذا هو شعر الشاعر بين أيديكم ، فكثير من مصادرنا الأدبية واللغوية مازال حبيس الخزائن ؛ ولذا كان الأخ الدكتور البقاعي دائم التتبع لشعر الشاعر في أثناء مطالعاته ، فأمكن له أن يصدر تكملة وصلة للديوان ، بها استدرك ما أخلت به الطبعة الأولى من المجموع الشعري . وقد نشر هذا الملحق في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، عمره الله ، في العدد الرابع والثلاثين السنة الثانية عشرة ، كانون الثاني ، ١٩٨٨ ، بعنوان : (ديوان الباهلي ، محمد بن حازم الباهلي – تكملة وإصلاح) وهو بهذا يفصح عن رغبة عارمة في الوصول بعمله إلى مستوى عالٍ من الدقة والاستقصاء .

وفي أثناء مطالعاتي في كتب الأدب التي صدرت بعد طبع هذا المجموع ، وقفت على أبيات لابن حازم أخلَّت بها طبعتا المجموع ، فعقدت العزم على نشر هذا الاستدراك ، وفاتحت الأخ الدكتور البقاعي بالأمر ، فما كان منه إلا أن قدَّم لي بضعة أبيات عثر عليها ، لم يضمُّها المجموع ، وقدَّم إليَّ أيضاً الملاحظ التي دبَّجها قلم أستاذنا الدكتور مصطفى الحدري على تكملة الديوان المنشورة في مجلّة المجمع الأردني الغراء ، التي تقدَّم ذكرها ، ورغب إليَّ في ضمِّها إلى ما استدركته من أبيات . وما كان لي أن أقدم على ذلك إلا بعد استشارة أستاذنا الحدري في ذلك ، فأجازني – حفظه الله – بذلك ، فجزاهما الله عن العربيَّة خير الجزاء ، وبارك في أخلاقهما العلمية النادرة في مثل هذه الأيَّام .

وقد رأيت أن أجعل مقالتي هذه في ثلاثة أقسام ، أولها للأشعار التي تمَّ استدراكها ، وأسوقها منسوقةً على القوافي ، وثانيهما للاستدراك على التخريج والزيادة عليه بالمقارنة بين طبعتَيْ الديوان ، وثالثها لتعاليق أستاذنا الدكتور مصطفى الحدري على تكملة الديوان .

أولاً :

* جاء في كتاب : (تلخيص المتشابه في الرسم ، وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم) [٣] ،

للخطيب البغدادي ، ج١ ، ص ٢٧٧ : «أنبأ الحسن بن علي الجوهري ، أنا أبوبكر بن شاذان ، أنشدنا أبو بكر بن الأزهر ، أنشد بندار – يعني عبدالحميد – قال : أنشدني محمد بن حازم لنفسه في إسحاق القطربلّيّ : [طويل]

قافية الراء

١ – عقلتُ لساني بالمطال من الشعر
وأغفلتُ أمري واتكلتُ على عذري

٢ – وأسلمتني للدهر في دار غُربةٍ
وكنتَ حريّاً أن تعين على الدهر

٣ – نوال بخير ، أو فمنع مبيّن
لأبسط عذراً ، أو أقيم على شكرِ

٤ – وإنّ امرأ رهناً بعامين لازماً
لباب امرئ لم يؤت من قلة الصبرِ

٥ – فجودك قوسُ واليدين وترهما
وسهمك فيه اليسرُ ، فارم به غيري

* في كتاب : (العزلة) (١) للحافظ أبي سليمان الخطّابي البُسْتي ، ص ١٧٢ : «أنشدنا أبو سليمان قال : أنشدني التمّار النحوي ، قال : أنشدنا ابن الأنباري لأبي حازم (كذا) ، وهو تصحيف . وفي (ط . دار الكتب ، بيروت) تحقيق د . عبدالغفار البنداري ، ١٩٧٥ ، ص ٧٣ (محمد بن حازم) : [المنسرح]

١ – إخوانُ هذا الزمان كلّهمُ
إخوانُ غدرٍ عليه قد جُبلوا

٢ – أخوهم المستحقّ وصلهم
مَنْ شربوا عنده ومن أكلوا

٣ – طووا ثياب الوصال بينهم
وصار ثوب الرياء يبتذلُ

٤ – وليس فيما رأيت بينهم
وبين مَنْ كان معدماً عملُ

٥ – فأحفظ من الناس – إن ظفرت به –
مَنْ لم يكن في إخائه دَغَلُ

(الدَّغَل : الخداع) .

* في المحب والمحبوب ١ : ١٩٧ :
قال ابن حازم : قافية الهاء

[السريع]

١ – بانَ عن الأشكال في حُسْنه
فلم تقع عَيْنٌ على شبهه

٢ – يغنيك عن بدر الدجى نوره
والبدر لا يغنيك عن وجهه

٣ – وكم قد تلهّى بهوىً غيره
قلبي ، فأغراه ولم يُلْهِهِ

الزيادات في التخريج

ثانياً :

البيتان رقم (٢) هما في ربيع الأبرار ٣ : ٣٠٧ برواية كرواية الغرر والعرر في القافية ، والشطر الثاني من البيت الثاني كرواية البصائر والذخائر .

القصيدة رقم (١٤) ص ٣٤ من الديوان ، في طبعة الدكتورة بنت الشاطئ من رسالة ابن القارح ، ص ٥٢ ، وفيها خلاف في الرواية :

١ – أبعدَ شيبي ..
٣ – . . . . . . فالاً
٤ – وإذ مشيبي قليلٌ
٧ – . . . . . . ما قد أحبُّوا
١٠ – . . . . . . خمراً

البيتان رقم (١٨) ص ٣٨ أولهما في شرح ديوان أبي تمام ٣ : ١٧٤ .

الأبيات رقم (٢١) ص ٤١ ، هي في ربيع الأبرار ٥ : ٢٣٢ لراشد الكاتب في علي بن هشام ، وفيه الثالث قبل الثاني ، وفيها بيت لم يرد في الأصل هو :

ففي الناس إذْ ضاقَ بي ما لديـ
ـكَ ولم تَرْعَ لي حرمةَ مَذْهَبِ

وليس في ربيع الأبرار السادس من أبيات الديوان .

القطعة رقم (٤) ص ٢٤ ، أربعة الأبيات الأولى في تلخيص المتشابه في الرسم ، ورواية البيت الرابع :

. . . . بأخي التَّصابي

القطعة رقم (٣١) في خبر في ربيع الأبرار ، ٢ : ٤٣٣ ، ورواية الأول فيه :

أو فعلْتَ فعل أبي المهلّب إذْ ....

وانظر المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ، كتاب المشروب ٤ : ٣٦٤ – ٣٦٥ .

النتفة رقم (٣٨) ص ٥٨ ، البيت الثاني في ربيع الأبرار ١ : ٨٣ بلا نسبة ، وقدّم له بقوله : وعن ابن عبّاس يرفعه : آخر أربعاء في الشهر نحس مستمّر .

النتفة رقم (٣٠) ص ٥٠ ، البيتان في المسالك ١ : ٣١١ ، وانظر الديوان الطبعة العراقية في تخريج القطعة ٣٩ ص ٢١٩ .

القصيدة رقم ٥٨ ص ٧٨ ، البيتان الثاني والثالث في ربيع الأبرار ٥ : ٣٩٦ .

يزاد في قافية اللام بيت هو :

[illegible]

وهو في الديوان ، الطبعة العراقية برقم ٦٨ ، في ربيع الأبرار المخطوط ج ٤ / ق ٧٢ / ب . وانظر المطبوع ٥ : ٣٩٦ .

القطعة رقم ٢٣ ص ٤٣ ، أوردها في (ط . العراق) فيما ينسبُ إليه وإلى غيره ، وفيها زيادة عما في (ط . دمشق) ، وهي بترتيب آخر نورده هنا مع الزيادة عن (ط . العراق) ص (٢١١) قطعة (٨٣) .

[illegible]

اختلاف الرواية

٢ – في معجم الشعراء والمحمَّدون :

. . . بالحِلم للحلم . . . وبالجهل للجهل . . .

٣ – في عيون الأخبار ، ومعجم الشعراء ، والمحمَّدون:

فمن رامَ تقويمي . . . ومن رامَ . . .

٤ – في البرصان (ط . محمد مرسي الخولي) ص١٦٨ ، و(ط . عبدالسلام هارون) ص ٢٦١ – ٢٦٢ .

ولستُ براضِ الجهل . . .

وفي بهجة المجالس ، وديوان صالح بن عبدالقدوس ، ومحاضرة الأدباء :

. . . خدنًا ولا أخًا . . .

وفي حماسة الظرفاء :

. . . . حين أحوجُ

٦ – في البرصان :

فإن . . بعض القوم . . .

وفي العقد :

فإن قال قومٌ إنَّ فيه سماجة

وفي بهجة المجالس :

. . . إن فيَّ سماجةً

وهي عدا الخامس في حماسة الظرفاء ١ : ٧٣ ، وهي لمحمد بن وهيب في عيون الأخبار ١ : ٢٨٩ ، وليس ٣ : ٢٨٩ كما جاء في (ط . دمشق) .

وفي المحمَّدون : ٢٢٧ الأبيات (١–٣) لمحمد بن حازم.

الأبيات رقم (٨٥) ص ١٠٧ ، يزاد في التخريج أن الأبيات في ربيع الأبرار ٣ : ١١١ ، وفي الشهاب في الشيب والشباب منسوبة إلى محمود الورّاق ، ولآخر في حماسة الظرفاء ٢ : ٢٦ (٤٦) .

ومما جاء في الديوان (ط . العراق) ، ولم يأت في (ط . دمشق) مما ينسب إلى أبي حازم وغيره في الصفحة (٢١١) ، القطعة (٨٢) :

[illegible]

وخرّجهما محقق (ط . العراق) في مسالك الأبصار ١: ٣١١ ، لمحمد بن حازم وهي للعَطوي في مجموع شعره (الشعر المنسوب) (٧٨) ، ضمن «شعراء بصريون من القرن الثالث الهجري» لمحمد جبار المعيبد ، ص٥٦ – ٥٧.

وخرّجها من قطب السرور : ٢٩٧ – ٩٨ (١ و٣ –٥)، ومن غاب عنه المطرب ٢٨٩ (١ – ٢) ونسب الأبيات (١ و٢ و٣) مع آخر إلى محمد بن حازم في مسالك الأبصار ١: ٣١١ ، وبيت المسالك الذي لم يذكر في المصادر الأخرى هو :

[illegible]

[illegible]

وهي أليط بمذهب العطوي المتكلم .

القصيدة (٣٦) ص (٥٦) من (ط . دمشق) ، أول أبيات (ط . دمشق) منسوب إلى ابن حازم في معجم الشعراء : ٣٧١ ، والمحمّون : ٢٢٦ .

البيتان (٣٥) ، ص (٥٥) ط . دمشق لمحمد بن حازم في العقد ٢ : ٣٤٨ ، ولدعبل في شعره (ط . الأشتر) ١٣٩ – ١٤٠ ، عن المخلاة : ٨٨ ، وبدون عزو في العقد ٣ : ٢١٤ ، والرواية هنا :

صار حلو الناس . . . .

وانظر الديوان (ط . العراق) ، ص٢١٣، القطعة (٨٨) .

القصيدة (٦١)، ص (٨١) ط . دمشق، الأبيات ١– ٥ في جمع الجواهر : ٤ . وهي في خزانة الأدب ٤ : ١١ لكعب بن زهير ، وليست في ديوانه . والبيتان ٤ –٥ في العقد ٢ : ٤٤٤ بلا نسبة .

البيتان رقم (٥٩) ص (٧٩) ط . دمشق ، ينسبان إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي في شعره (تح . حاتم الضامن) في «شعراء مقلّون» ، ص ٣٥٤ ، القطعة (٣٩) .

الأبيات (٨١) ص (١٠٣) ط . دمشق ، منسوبة في ربيع الأبرار ٥ : ٣٨٥ لمنصور الفقيه .

وجاء في الحماسة البصرية ٢ : ٢٦٠ ، وليس ٦٢٠ كما في (ط . العراق) قطعة بعد بيتين لمحمد بن الباهلي معطوفة عليهما عطفَ مبهم .

وقال :

[illegible]
ولا خاله ولا [illegible]
[illegible] بين [illegible]
إذا كان يوما كاسف الشمس [illegible]
[illegible] إلا مصممما
على مالِ ذي القربى وإن كان [illegible]

انظر الديوان الطبعة العراقية ، ص ٢٠٩ القطعة (٧٠) ، والأبيات أليطُ بمذهب ابن حازم .

القطعة رقم (٧٠) ، ص ٩١ هي عدا الرابع في ربيع الأبرار ٣ : ٣٠٨ منسوبة إلى بن دريد ، والرواية :

١ – لا يلحقنْك . . . فبقاء عزك . . . .

لا تجلهنَّ بالرد . . . فلخير يومك أن ترى مأمولا

النتفة (٧٦) ص ٩٨ ، هي في ربيع الأبرار ٤ : ٢٨١ لصالح بن عبدالقدوس وفيه بيت ثالث غير ما في الديوان :

وجاء في ربيع الأبرار ٤ : ٩٧ :

محمد بن حازم :

وانظر الديوان (ط . العراق) ، ص ٢٠٩ برقم (٧١).

البيت الثالث من الأبيات المستدركة على قافية الهاء هو في المحب والمحبوب (كتاب المشروب) ٤ : ٦٧٨ ، وفيه ١ : ٢٥٧ – ٢٥٨ :

وفيه ٢ : ٤٠ :

ثالثًا : نقل في ص٢٤٩ عن حماسة الظرفاء قوله :

وهذا البيت من مخلّع البسيط ، وعجزه سليم

من حيث الوزن ، ولكن صدره ليس كذلك وأرى أن كلمة «موعدك» خطأ به فيكسر الوزن ، وأقترح في مكانها «تقريبك» وضمُّ الدال من الكلمة التي رددتُها ليس صوابًا .

* وأورد في ص ٢٥١ هذا البيت :

ولا تسألنَّ المالَ عند امرئٍ
أصابَ اليسار من كدِّه

واقترحَ إبدال «تسألنّ» وجعلها «تسأل» ليستقيم الوزن . ومع هذا بقي في البيت عوار ينكسر به الوزن ، فتقطيع العجز فيه .

أصابُ يسارَ من كدِه وهي
فعولنْ فعولُ فَعْلن فَعَلْ

والتفعيلة الثالثة تنقصها حركة ، وأرى أن الصواب :

أصاب اليسار : أمنْ كدِّه ؟

وبه تكون جملة الاستفهام مفسِّرة لعبارة «ولا تسأل» .

* نقل في ص ٢٥٢ رواية أحد الأبيات عن شرح المقامات ، وهو :

وخذْ نصيبك منها وذا إلى حيث لا تدري

وأرى أن الصواب الذي يصحُّ به الوزن والمعنى :

وخذ نصيبك من ذا وذا إلى حيث لا تدري

إلا أن تكون «لا» خَزْمًا معترضًا . وانظر بهذا الخصوص (المحكم) لابن سيده ٩٦/٤ .

* ذكر في ص ٢٥٣ هذا البيت :

إنَّ الذي يرتجي فداك لكاد
غاسل من ثوبه خراء إنسان بخَر

والصواب فيما أرى :

إن الذي يرتجى نداك لكا
غاسل من ثوبه خرا بخر

أي كالغاسل ثوبه خراء إنسان بَخِر . والبَخَرُ نتن ريح الفم .

* أورد في ص ٢٥٣ هذين البيتين بهذه الصورة :

وداع دونَ أوبته النشورُ
ونأيٌ لا يقرِّبُه مسيرُ
وقال غير ميمون ولكنْ
بأنكد ما يدورُ وما يطيرُ

والصوابُ في البيت الأول : وداعٌ ..

وفي الثاني : وقالٌ ....

* ذكر في ص ٢٥٤ أن كسر الواو من «ودي» خطأ . وأحال إلى المعجم الوسيط . والمعجم الوسيط على جلالة قدر الذين صنعوه فيه من الغلط شيء كثير . فلذلك لا يجوز الاكتفاء به مصدراً . وقد نصَّ صاحب الصحاح على تثليث واو الود، ونقل صاحبُ اللسان ذلك عن ابن سيده .

* نقل في ص ٢٥٤ – ٢٥٥ حديثًا عن الأربعاء التي لا تدور يحسن تخريجه ، وهو بنصين :

١ – يوم الأربعاء نحسٌ مستمرٌ .

٢ – آخر أربعاء في الشهر نحسٌ مستمرٌ .

ويمكن أن يُرى في تفسير «أيام نَحِسات» من بعض كتب التفسير ، وهو في كشف الخفاء ومزيل الألباس ١/١٢ – ١٤ و ٢ / ٣٩٧ ، وفي الفوائد المجموعة في بيان الأحاديث الموضوعة للشوكاني ص١٦٣ من ط ٢ في الهند.

* في ص ٥٤ وردت أبيات أولها :

دببت أمشي على الكفين ألمسه
كمشي مسترقٍ للسمع أسرارا
فمرَّ يَمْشُقُ في قرطاسه قلمي
والليل ملقٍ على الآفاق أستارا

وأنا أميل إلى أن الصواب في الأول : .... للسمع أسرارا .

وفي الثاني : فمرَّ يُمْشِقُ ...

* في ص ٢٥٥ أورد هذا البيت

فليس يأتيك منهيُّها
ولا قاصرٌ عنك مأمورها

و «يأتيك» غلط . والصواب «بأتيك» .

* في ص ٢٥٦ أورد هذا البيت :

فلا يغرنْك أضغانٌ مزمَّلٌ
يُركب الأبرُ الدامي بأجلاس

والصواب : يُرْكب الدَّبْر ...

* ونقل في ص ٢٥٩ بيتًا صدره :

خذْ من الدهر ماكفا

والصواب : ماكفى .

* أورد في ص ٢٦٠ هذا البيت :

فإنَّ القربَ يُبْعد بعد قرب
ويدنو البعدُ بالقدر المسوقِ

و «القدر» هنا خطأ . والصواب «بالغَدْر» ومن معانية الوعل ولعله قد استعير هنا للجمل .

– في ص ٢٦١ ورد «وفي أشباه الخالدين» والصواب: «الخالدين» وهذا تطبيع لا ريب فيه .

* أورد في ص ٢٦٣

وأنت الناسُ وحدك يا ابن سهل

والصواب : «يابن سهل» بحذف همزة الوصل في الخط.

* أورد في ص ٢٦٤ بيتًا صدره :

فيمَ المقامُ وكم تعتافك العللُ

والصواب : «وكم تعتاقُك» بالقاف المثناة من فوق .

* أورد في ص ٢٦٨ هذا البيت : [من مجزوء الرمل]

سامح الدهر إذاءَ ... زُ وخذ صغو الزمانِ

والصواب :

سامح الدهــــراء إذا عَزْ

زَ وخذ صفــو الزمـــــانِ

* أورد في ص ٢٧٠ هذا البيت :

كم من فتى قصرتْ في الرزق خطوته

ألفيته بسهام الرزق قد فلجـــا

والصواب : «قدْ فَلَجا» . ومعني فَلَج : ظَفِرَ . ولا معنى مقبول لبنائه للمجهول .

* أورد في ص ٢٧٣ هذا البيت :

وإذا ما حفا النديم أقالوا

ه وردوا الأحلام دون الوثابِ

والصواب : «وإذا ما جفا النديم» .

* وأورد في ص ٢٧٥ بيتًا هذا عجزه :

ومن غير رَجْب إن خططت ولا سهلِ

والصواب : «ومن غير رحب» بالحاء المهملة .

والله الموفق للصواب

الهوامش

١ – الفهرست : ١٨٨ .

٢ – زهر الآداب : ٨٤٢ .

٣ – صدر عن دار طلاس بدمشق ، ١٩٨٦ ، بتحقيق الأستاذة سكينة الشهابي .

٤ – صدرت الطبعة الأولى منه بتحقيق ياسين السواس ، دار ابن كثير ، بيروت .

منصور بن إسماعيل الفقيه

حياته وشعره

لعبدالمحسن بن فراج القحطاني

ملاحظات وإستدراكات

عبدالله بن سليم الرشيد

محاضر في قسم الأدب بكلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

القحطاني، عبدالمحسن فراج/ منصور بن إسماعيل الفقيه: حياته وشعره . - بيروت : دار القلم [١٩٨١م] ٢٠٠ص .

هذا كتاب ألفه الدكتور عبدالمحسن بن فراج القحطاني ، عرض فيه حياة الشاعر الفقيه منصور بن إسماعيل (المتوفى سنة ٣٠٦هـ) ، ودرس شعره ، ثم جمع من شعره ما تمكن من جمعه في مئة وست (١) وتسعين مقطوعة ، وما نسب إليه في سبع عشرة مقطوعة ، وقد نشرته دار القلم في بيروت طبعة ثانية غير مؤرخة .

وقد أحسن المؤلف إحسانا جمّا ، وشفى وكفى ، غير أن استيلاء النقص على جملة البشر يأبى أن يتم عمل ابن آدم كاملا ، ومن ثم أحببت إيراد بعض الملاحظ على الشعر الذي جمع ، مستدركا بعض شعره الذي لم يقف المؤلف عليه ، ومن الله أستمد العون والتوفيق .

١ - في المقطوعة الثامنة ورد قوله :

كذبتُ إنْ سمّيتُ (م) محسنا أو مصيبا (٢)

والوزن هكذا غير مستقيم ، وصواب البيت : (كذبت إن أنا . .) كما في بهجة المجالس ١ - ٣٨٩ .

٢ - في المقطوعة الرابعة والستين ورد قوله :

لو كنتَ منفعا بعد . . سمك معْ مواصلة الكبائرْ (٣)

والصواب حتى يستقيم الوزن (منتفعا) .

٣ - في المقطوعة (٧٨) ورد قوله :

تبارك من لو شـــاء ملكـــني نفســـي
وصيّر في الإيحاش من خلقه أنس (٤)

وكتابة (أنس) هكذا ، تخل بالمعنى المراد ، والصواب (أنسي) مضافة إلى ياء المتكلم .

٤ - في المقطوعة (٩٢) ورد قوله :

وإن تُعدْ بعـدهـا إليـه
فلا تلمه عن التصلُّفْ (٥)

والصواب من بهجة المجالس ٢ - ٦٩٥ (فلا تلمه على) ، لأن الفعل (لام) يتعدّى بـ (على) لا بـ (عن) (٦) .

٥ - في المقطوعة (٩٦) ورد قوله :

ولم يك مأمونا على مال جاره
إذا رآه خـاليـــا أن يَلَقَّــــه (٧)

والصواب من (بهجة المجالس ١-١٩٩) : (إذا ما) وبه يستقيم الوزن .

٦ - في المقطوعة (١٤٤) ورد قوله :

تَبـ وجسمك من نطفة وأنت وعاء لم تعلم (٨)

والصواب (لما تعلم) ، وهي هكذا بخطئها في (التمثيل والمحاضَرة ٤٤٥) ، الذي أحال إليه المؤلف وأغفل رقم الصفحة .

٧ - في الصفحة (١٥٤) ورد هذا البيت المفرد هكذا :

من فارق الصبر والمرو ءةَ أمكن من نفسه عدوّهْ

وقد حكم عليه المؤلف بأنه من البحر (المنسرح) .

والبيت على هذا النحو غير مستقيم لا على المنسرح ولا على غيره ، وقد حسبت التحريف من أثر الطباعة ، فلما رجعت إلى المصدر الذي أحال إليه المؤلف (بهجة المجالس ٢ - ٦٤٥) وجدت البيت على حالته هذه .

وأظن صوابه أن يكتب هكذا - ولا أجد احتمالا آخر - :

من فارقَ الصبرَ والمروّةْ أمكن من نفسه عدوّهْ

ويصبح بهذا الضبط من (مخلّع البسيط) .

٨ - في المقطوعة (١٩٣) ورد قوله :

كل ما مَـنَعْتَــهُ البرَّ أيدي باذليه (٩)

ولا يستقيم الوزن هكذا ، ولعل الصواب (كل ما قد . .) .

٩ - المقطوعة السادسة مما نسب إليه ، جاءت مضبوطة هكذا :

لولا الحيـــاء وأنني مشـهـور
والعيبُ يعلـقُ بالكبير كبيـرُ
لحللت منـزلنا الذي نحتـلُه
ولكان منزلُنا هو المهجورُ [١٠]

وضبط الروي بالرفع فيه ركة وإخلال بالمعنى ، فأما الإخلال بالمعنى ففي البيت الأول ، إذ حق كلمة (كبير) النصب ؛ لأنها حال ، وإعرابها حالا يحتّمه مراد الشاعر ، الذي يرمي إلى أن العيب - وإن صغُر - يُرى كبيرا حين يعلق بالكبير من الناس .

أما الركّةُ ففي البيت الآخَر ، الذي علّق عليه زكي مبارك ، شارح زهر الآداب وناشره ، بقوله : «هذا وجه ضعيف في العربية ، وهو أن تجعل جملة (هو المهجور) جملة من مبتدأ وخبر في محل نصب خبر كان ، والفصيح أن تجعل (هو) ضمير فصل ، و (المهجور) بالنصب على أنه خبر كان» [١١] .

١٠ - في المقطوعة (٨٤) أربعة أبيات من المجتث ، أولها :

ما ضيّـع الله خلقـا   فأتقي أن أضيعا [١٢]

غير أن عجز ثالثها جاء من مجزوء الرمل ، وهو هذا :

فاجعل سكوتك للـ   ـه ونجواك جميعـا

ولم ينبه إليه المؤلف الفاضل .

١١ - أغلاط في نسبة الأبيات إلى بحورها :

* قال المؤلف عن المقطوعة (٩١) وأولها :

قولوا لزوّار الكُنُفْ [١٣]

والمقطوعة (١٠٣) وأولها :

منذُ ثلاث لم نَرَكْ [١٤]

والمقطوعةّ (١١١) وأولها :

و مُغْفِل ذكرَ الأجلْ [١٥]

قـال إنهـا من الرجـز ، والدقـة أن يقـول (منهـوك الرجز) [١٦] .

* كما حكم على المقطوعة (١٥٣) وهي قوله :

لولا البنـاتُ والذنوب لـم أكـنْ
يروعني ذكر الحنوط والكفن [١٧]

والمقطوعة (١٧٤) وهي قوله :

لـم ترعينـايَ وتسـمـعْ أذُنـي
أحسنَ نَظمًا من كتاب المُزَني [١٨]

بأنهما من الرجز ، والدقة أن يقول (مشطور الرجز) [١٩] .

* وحكم على المقطوعة (١٠٥) بأنها من المنسرح ، وأولها :

مـن شـاب قـدْ مـات وهـو حـيٌّ
يمشي على الأرض مشيَ هالك [٢٠]

والصواب أنها من (مخلع البسيط) .

١٢ - أما المقطوعة (٢٥) التي ورد فيها قوله :

إني أمرت بنصح المسلمين فمن
نصحي لهم واتباعي ما أمرت به
أمري لهم باتباع الشافعي فقد
أتاهمُ ببيــان غيــر مشتبـه
إياه فاتبعـوا تتلـون متّبعـا
كفاكمُ طلبـا ما كان من طلبهْ
مثل (الرسالة) لم يأتي بها أحد
إن الرسـالة ياهذا لمن عجبـهْ [٢١]

في أبيات سبعة مضطربة الروي ، فهاء الوصل متحركة حينا ، وساكنة حينا آخر ، مع ارتكابه اللحن في قوله (لم يأتي) ، كما نبه إلى ذلك المؤلف .

أقـول : أظن هذه الأبيات مصنوعة على لسان منصور ابن إسماعيل ؛ لهذا الضعف الذي فيها والاختلال ، وكيف يقول هذا الشعر الرديء من قال :

نطقنـا لديه بالـذي في صدورنـا
ولم تتكسرْ في الصدور الجوائحُ [٢٢]

إلا أن تكون من بواكير نظمه ، والله أعلم .

١٣ - مما يؤخذ على المؤلف الفاضل أن جعل من مصادر شعر منصور الفقيه ، بعض كتب المعاصرين ،

مثل كتاب (الأدب العربي في مصر) و (أدب مصر الإسلامية) ، ومجلة (المجلة) !

١٤ - أفرد المؤلف قسما خصه بما نسب للشاعر ، ضمنه سبع عشرة مقطوعة ، ولكنه أورد مقطوعتين في ضمن القسم الأول الخاص بشعره المجزوم بصحة نسبته إليه ، مع أنهما منسوبتان لغيره :

أما الأولى ، فهي المقطوعة (٩٨) وهي قوله :

علمي معي حيثما يَمَّمْتُ أحمله
بطني وعاءٌ له لا بطنُ صندوق
إن كنتُ في البيت كان العلم فيه معي
أو كنتُ في السوق كان العلم في السوق(٢٣)

إذ نسبها الخطيب البغدادي لبشار بن برد (٢٤) ، وجاءت منسوبة للشافعي في ديوانه الذي جمعه محمد عفيف الزعبي (٢٥) ، والبيت الأول في ديوان الشافعي روي هكذا :

علمي معي حيثما يممت ينفعني
قلبي وعاء [illegible]

أما المقطوعة الأخرى (١٠٠) وهي قوله :

رضيت بما قسم الله لي
و فوضت أمري إلى خالقي
كما أحسن الله فيما مضى
كذلك يحسن فيما بقي(٢٦)

فقد نسبت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢٧) .

مستدرك على شعر منصور بن إسماعيل الفقيه :

- ١ -

قال منصور بن إسماعيل الفقيه (من مخلع البسيط) :

أمرُّ من طعم كلِّ مرٍّ … خضوعُ حرٍّ لغير حُرِّ

(البصائر والذخائر ٦ - ١٥٣)

- ٢ -

وقال (من المجتث) :

قل لي وإن أنت أنصف … ـتَ قلت خلقا كثيرا

(تحسين القبيح وتقبيح الحسن ٤٩)

وهذا البيت يتبع بيتيْ المقطوعة (٦٠) .

- ٣ -

وقال (من مجزوء الخفيف) :

ربمـا نـال وداعٌ … خطوةَ الطالبِ المُلِظْ

(البصائر والذخائر ٢ - ١٣٧)

- ٤ -

وقال (من البسيط) :

لا والذي جعل الدنيا مغيِّرة
الشرِّ مجتنبا والخيرَ متَّبعا
ما ساءني هجرُ من لم يرعَ سالفةً
ولم أكن بدنوّي منه منتفعا

(البصائر والذخائر ٢ - ١٣٧)

- ٥ -

وقال (من الطويل) :

فما هو إلا مثلُ سيف مفضَّضٍ
يروعُك باديه ولا خير في النصل
فإن هُزَّ لم يهتزَّ أو سُلَّ في الوغى
لدفع مُلِمٍّ فالفضيحةُ في السل

(البصائر والذخائر ٦ - ١٥٣)

- ٦ -

وقال (من مجزوء الرمل) :

ليس إلا مستنيلٌ … أو مُنيلٌ مستطيلُ
أو مباهٍ لمباهٍ … أو مَجازٍ أو بخيلُ

(البصائر والذخائر ٢ - ١٠٨)

- ٧ -

وقال (من مجزوء الرجز) :

عليَّ أن أزوركم … ولا عليَّ أن أصلْ

(البصائر والذخائر ٦ - ١١١) .

الهـــوامـــش

١ - رأيت أن أكتب (مئة) بهذا الضبط، جريا على ما أقرته ندوة مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، التي انعقدت مابين ٩ - ١٣/ ٧/ ١٤٠٥هـ ورعاها مركز البحوث بجامعة الإمام، بإشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (انظر: القواعد الموحدة في الكتابة والإملاء للدكتور محمد علي سلطاني ص٢٣ - الطبعة الأولى ١٤١٠هـ).

٢ - شعر منصور بن إسماعيل الفقيه ٧٠.

٣ - ص٩٧.

٤ - ص١٠٤.

٥ - ص١١١.

٦ - انظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف ٣٣٧ موسى الأحمدي، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٣م.

٧ - ص١١٣.

٨ - ص١٣٨.

٩ - ص١٥٩.

١٠ - ص١٦٤.

١١ - زهر الآداب ٣ - ٨٨٤.

١٢ - ص١٠٨.

١٣ - ص١١١.

١٤ - ص١١٧.

١٥ - ص١٢١.

١٦ - راجع: أهدى سبيل إلى علمي الخليل ٦٣ محمود مصطفى، الطبعة الثالثة عشرة ١٣٩٤هـ.

١٧ - ص١٤١.

١٨ - ص١٤٩.

١٩ - راجع: أهدى سبيل ٦٣.

٢٠ - ص١١٨.

٢١ - ص٧٧.

٢٢ - ص٨٨.

٢٣ - ص١١٤.

٢٤ - الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع ٢ - ٢٥٠.

٢٥ - ديوان الشافعي ٦٧.

٢٦ - ص١١٥.

٢٧ - ديوان الإمام علي ١٣٥.

المصـــادر

١ - البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، تحقيق وداد القاضي دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٢ - تحسين القبيح وتقبيح الحسن لأبي منصور الثعالبي، تحقيق شاكر العاشور، نشر وزارة الأوقاف العراقية، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

٣ - الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع للخطيب البغدادي تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٤ - ديوان الشافعي، جمع محمد عفيف الزعبي، دار الجيل بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٢هـ.

٥ - ديوان الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، جمع نعيم زرزور دار الكتب العلمية، بيروت، غير مؤرخ.

٦ - زهر الآداب وثمر الألباب للحصري، تحقيق زكي مبارك دار الجيل، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م.

رسالة المغرب الثقافية

عبدالعزيز الساوري

إصدارات جديدة في إطار برنامج الأندلس ٩٢

١ - التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب

عن مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية بالرباط سلسلة «الدورات» صدرت ندوة «التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب» التي انعقدت في غرناطة مابين ١٧-١٩ شوال ١٤١٢هـ/ ٢١-٢٣ أبريل ١٩٩٢م.

وقد اشتملت الندوة على أقسام ثلاثة:

القسم الأول: البحوث

- العناية بتراث الأندلس بالمغرب وإسبانيا - محمد بنشريفة.
- الهوية الثقافية الأندلسية من خلال رسالة ابن حزم في فضل الأندلس - امحمد بن عبود.
- حضارة الأندلس من خلال رسالتي ابن حزم والشقندي - محمد الحبيب ابن الخوجة.
- مدرسة الآبلي وانتشار الرشدية الجديدة بالمغرب العربي - عبدالمجيد مزيان - الرشدية اللاتينية - محمد علال سيناصر.
- التعاون المغربي الأندلسي في مجالات الفلسفة والعلوم الدقيقة - محمد زنيبر.
- استلهام التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب - أحمد صدقي الدجاني.
- أهمية الموسيقى والغناء في حضارة الأندلس - عباس الجراري.
- التراث المشترك الأندلسي المغربي في ميدان التصوف - محمود علي مكي.
- آخر وثيقة إسلامية أندلسية - عبدالوهاب بن منصور.
- الحب الإلهي في التراث الأندلسي - محمد الكتاني.
- نوازل غرناطية لابن عاصم الإبن - محمد بنشريفة.
- أبو محمد ابن حزم في تاريخياته، بحضور ظاهريته ويقظة عقلانيته - عبدالرحمن الفاسي.
- التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب - عبدالهادي التازي.
- الفن المعماري بالمغرب والأندلس: الأخذ والعطاء - عبدالعزيز بنعبدالله.
- ماقبل رحلة كولومبوس: مقدمة في المنهج - ناصر الدين الأسد.

القسم الثاني: الخلاصات

- إرث جماعي يحتم عملاً جماعياً - أوطو دوهاً بسبورغ.
- بعض الأفكار عن التعامل الثقافي الإسباني - الإسلامي - إميليوكارسيا كثوميز.
- إعادة إدماج العقل في العلم المعاصر كما فعل كل من ابن رشد وابن ميمون - جورج ماطي.
- الإسهام العربي الأندلسي في حضارة الماء - روبير أمبركجي.
- الربط القار عبر مضيق جبل طارق مساهمة عصرية - دي أرانطيس أوليفيرا.
- الفكر الصوفي الإسلامي في إسبانيا - إميليودي صانتيا كثوسيمون.
- التراث الإسباني العربي: الضمير التاريخي والإبداع الأدبي اليهودي المغربي - حاييم الزعفراني.
- الإرث الإسباني العربي في الطب - دونالد فريدر يكسون.
- إثنوغرافيا وأصل الكلمات: أندلس، عرب وبربر - خواكين فالفي.
- ثقافة آخر المسلمين الأندلسيين - الحسين بوزينب.

- التأثير العربي في الهندسة المكسيكية - بيدروراميريريز فاسكيز.
- النَّقَلَة العرب للمخطوطات الفَلَكية في الغرب وإسبانيا - خوان فرنيث.
- قرطبة الخليفية عاصمة الفكر - روجي كثارودي.
- الفكر العربي الإسلامي في الأندلس - ميكثيل كروس هيرنانديس.

القسم الثالث : المناقشات

يقع الكتاب في ٣٦١ صفحة من القطع المتوسط .

٢ - التراث المغربي والأندلسي : التوثيق والقراءة ...

عن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة عبدالمالك السعدي بتطوان سلسلة ندوات رقم (٤) صدرت ندوة «التراث المغربي والأندلسي : التوثيق والقراءة» ، وهي الندوة الثالثة في سلسلة الندوات التي دعا إليها ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية لقسم اللغة العربية من هذه الكلية أيام ١٩-٢٠-٢١ أبريل ١٩٩١م.

لقد نظمت الكلية قبل هذا الملتقى ، الملتقى الأول حول «لسان الدين ابن الخطيب : (الإنسان والعصر)» سنة ١٩٨٦م ، والملتقى الثاني حول موضوع : «سبتة : التاريخ والتراث سنة ١٩٨٨م ، والملتقى الرابع حول : «تيارات الفكر في المغرب والأندلس / الروافد والمعطيات» سنة ١٩٩٣م.

وأشار محمد الكتاني قيدوم الكلية في تقديمه للندوة أن «مصدر اعتزازنا جميعًا بهذا اللقاء الثالث هو الإحساس بكون هذا الملتقى أصبح مؤسسة علمية دورية منتظمة ، أي إنه أصبح موسمًا علمياً يستقطب صفوة الدارسين والباحثين المعنيين بتراثنا المغربي - الأندلسي الذي يعتبر شاهداً على الحضارة التي شاهدها أسلافنا في الغرب الإسلامي على أسس التعايش والتسامح والتفتح ، والمساهمة في نشر المعرفة الإنسانية ، ومدّ الجسور العلمية بين المشرق والمغرب ؛ فلقد ادّخر التاريخ المشترك بين المغرب والأندلس للأجيال اللاحقة ذخائر من التأليف والإبداع والمساهمة في الثقافة الإسلامية والإنسانية لعلها أن تكون منارة ترسم في الأفق الدرب الممتد أمامنا لمواصلة الإبداع ، ومواصلة التعاون المشترك في تأثيل أصول المعرفة الإنسانية ، وترسيخ الحضارة القائمة على التفتح والحوار والتعايش في ظل القيم الإنسانية المشتركة .

إن قراءة هذا التراث وتحقيقه ومدارسته تصبح في إطار هذا التوجه الحضاري واجبًا علمياً نحقق من خلاله الاطلاع على مكونات ثقافتنا الوطنية القائمة على الحوار بين الحضارات والعقول».

كما تفضل الأستاذ الوراكلي رئيس اللجنة العلمية لملتقى الدراسات المغربية الأندلسية فذكر أن «الاهتمام بالتراث ، لإيماننا بأن الاهتمام بهذا التراث وإجراء الحفريات فيه ، ودعوة المتخصصين من العلماء والأساتذة من مختلف الجامعات ، إلى الحوار والنقاش حول قضاياه ومنجزاته وأعماله . . . كل ذلك - أسلوب مثمر للتعرف على هذا التراث ، إيمانًا بأنه من لايستطيع أن يعرف تراثه ، لايستطيع أن يعي معاصرته ، واعتباراً بأن الماضي ، ولاسيما حين يتعلق الأمر بماض كماضي الأمة الإسلامية ، وبماض مثل ماضي الغرب الإسلامي ، في ثراء عطائه الفكري والعلمي والأدبي . .

أقول إن الوعي بهذا الماضي من شأنه أن يجعله سارياً في الحاضر ، مشكّلاً له ، مغنيًا للإحساس به والعمل على بنائه بناء سوياً . من هنا نحب أن نؤكد أننا ، في ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية ، حينما نركز على الاهتمام بموضوع التراث ، فإن ذلك ليس يعني الهروب إلى الماضي واللّواذ به من إشكاليات الواقع المختلفة ؛ بل هو على عكس ذلك تماماً . إنه معالجة الواقع ، والنظر في محاولة فهمه والوعي به وإصلاحه ، من خلال النظر في تراثنا على مختلف مستوياته ، وفي متباين واجهاته .

على أننا ، في هذه المرة ، أردنا أن ننظر في تراث التراث ، وليس في التراث ذاته ، فنحن نعلم ويعلم الأساتذة المشاركون في هذه الندوة ، أن ما كتب حول هذا التراث كان - بقدر خصبه وثرائه - كتب بقراءات

مختلفة ، وبمناهج متعددة ، وبمنظورات متباينة ، وأن ماحُقّق من هذا التراث - أيضًا - كان شيئًا غير قليل ، وأن مستويات هذا التحقيق وأساليبه مناهجه وطرائقه كانت من التعدد بالدرجة التي أصبح معها طالب الدراسات العليا الذي يتخصص في هذا التراث المغربي والأندلسي ، والقارئ المثقف ، بصفة عامة ، يجد شيئًا غير قليل من الحيرة في اختياره هذا التحقيق أو ذاك ، والاطمئنان إلى هذا العمل أو ذاك».

وتضمنت الندوة مقالات وأبحاث حول :

١ - التوثيق والتحقيق :

- تحقيق التراث النحوي الأندلسي : الواقع والمأمول [نظرات في تحقيق ثلاثة نصوص نحوية أندلسية] - عياد الثبيتي .
- أوليات منهجية لتحقيق التراث المخطوط «روضة التعريف» نموذجًا - محمد الكتاني .
- كتب تراجم الرجال بالأندلس نظرات في الضبط والتحقيق - عبدالله المرابط الرغي .
- نشر التراث الأدبي المغربي بين الواقع والمثال في صنع ديوان أبي الحسن الحَرّالي المراكشي - جعفر ابن الحاج السلمي .
- أصول التوثيق العلمي وكتاب (البدع والنهي عنها) لابن وضاح من خلال تحقيقين - محمد المنتصر الريسوني .
- الفتاوي الأندلسية وتقويم تحقيق فتاوي ابن رشد - محمد أبو الأجفان .
- قراءة نقدية توثيقية جديدة لكتاب «العمدة» لابن رشيق - محمد قرقزان .
- التعريف بمخطوط أندلسي - نادر ونفيس - أبو القاسم محمد كرّو .
- الجهل بخصائص الخط الأندلسي وأثره على بعض النصوص المحققة - عبدالعزيز الساوري .
- نصوص مخطوطة من التراث الأندلسي - عبدالحميد عبدالله الهرامة .
- التراث المغربي والأندلسي في مؤلفات المؤرخين العراقيين - عبدالواحد ذنون طه .
- محاولة تقويم لبعض التحقيقات المنجزة لمصادر ما بعد سقوط غرناطة - محمد رزوق .
- دليل الأعلام المغاربة الأندلسيين في العصر الإسلامي - د. محمد بوعياد .
- تقييم البحوث الأجنبية في المسكوكات المرابطية - صالح بن قربة .
- مخطوطات مفهرسة حديثًا لأحمد زرّوق في ثلاث مكتبات إسبانية - د. ب. خ. كالابوتو .
- حول رسائل اليوسي المجهولة في كتاب «نزهة الناظر» لأحمد بن عبدالقادر التستاوتي - أحمد طريبق اليدري .

٢ - القراءة والتراث والتعريف به :

- بين ابن دراج القسطلي وابن هانئ الحكمي أبي نواس - عبدالله الطيب .
- التجديد المنهجي والمجتمع الطائفي - امحمد بن عبود .
- العوامل المؤثرة في مصداقية الفتح بن خاقان في كتابيه : مطمح الأنفس وقلائد العقيان - صلاح جرّار .
- صفحات غامضة من تاريخ غرناطة النصرية في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي - ميلودة الحسناوي .
- ضوابط فهم الشعر في شروح الأعلم الشنتمري - محمد الأمين المؤدب .
- ابن عاصم الغرناطي وكتابه : «حدائق الأزهار» - عبداللطيف عبدالحليم أبو همام .
- أدب لحن العوام ببلاد المغرب . . قراءة وتقويم - أحمد الطاهري .
- الرسائل المزاوجة في النثر الأدبي المغربي والأندلسي - محمد مسعود جبران .
- ملاحظات منهجية لقراءة جديدة لكتب التراجم المغربية - الأندلسية : قراءة في كتاب «عالم علماء الأندلس» لدومينيك أورفوا - الشريف محمد .
- من هنات الترجمة والتأريخ الأدبيين لآل شهيد القرطبيين - حدوش العياشي .

يقع الكتاب في ٥٣٣ صفحة من القطع المتوسط .

٣ - دراسات أندلسية :

صدر بتونس العدد الأخير من مجلة «دراسات أندلسية» رجب ١٤١٣هـ عدد ٩ يناير ١٩٩٣م ، وهي مجلة علمية مختصة في الدراسات المتعلقة بإسبانيا الإسلامية ، يديرها د. جمعة شيخة.

وفيما يلي مضمّنها :

- ظاهرة الزواج في الأندلس إبّان الحقبة المرابطية من خلال نصوص ووثائق جديدة - إبراهيم القادري بوتشيش.
- مناهج كتب النوازل الأندلسية والمغربية من منتصف القرن ٥/ ١١ إلى نهاية القرن ٩/ ١٥ - محمد الحبيب الهيلة.
- ابن مرج الكحل : حياته وشعره - مصطفى الغديري.
- مقاربة الممتع المفيد في نظرية الشعر عند حازم القرطاجني - منصف الوهايبي.
- التعريف بمختصرات «نفح الطيب» للمقري - نجاة المريني.
- البحث العلمي نزاهة أو لايكون - كتاب «النشاط المعجمي بالأندلس» تأليف جديد أم نقل وتشويه ؟ - د. عبدالعلي الودغيري.
- تقديم أطروحة دولة : «الحياة الإجتماعية في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين» للأستاذ إبراهيم القادري بوتشيش - امحمد بن عبود.
- تقديم أطروحة الأستاذ علي لغزيوي : «مناهج النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والتطبيق خلال القرنين السابع والثامن للهجرة».
- الأندلس في شهادة الكفاءة للبحث العلمي بكلية الآداب - تونس - جمعة شيخة.

يقع العدد في ٩٧ صفحة من القطع المتوسط.

عنوان المجلة : ص.ب. رقم ٥١-١٠٠٨ تونس - باب منارة - تونس.

أخبـــار متنوعــة

المغرب في الدراسات الاستشراقية

نظمت أكاديمية المملكة المغربية في مراكش مابين ٥-٧ أبريل ١٩٩٣م ندوة علمية عن «المغرب في الدراسات الاستشراقية» تناولت فيها الجوانب التاريخية والإسلامية والاجتماعية المتعلقة بالموضوع.

وقد حضر أشغال الندوة باحثون مهتمون بمحاورها ، وشارك فيها العضو السيد محمد المكي الناصري بدراسة عن «موقف الاستشراق الفرنسي والصحافة الفرنسية من السلفية الحديثة بالمغرب» ، والعضو السيد عبدالكريم غلاب ببحث عن «الظروف التاريخية والاجتماعية لنشوء الدراسات الاستشراقية بالمغرب» ، والخبير السيد سعيد بنسعيد العلوي عن «صورة المغرب في الاستشراق الفرنسي المعاصر ، والعضو السيد محمد بنشريفة عن «الجذور التاريخية للاستعراب الإسباني ، والخبير السيد بن سالم حميش عن «صورة المغرب الوسيط في بعض الدراسات الاستشراقية» والعضو السيد عباس الجراري عن «قضايا مرابطية في منظور بعض المستشرقين» ، والخبير السيد محمد حجي ببحث عن «دراسات المستشرق ألفريدبيل المتعلقة بالمغرب» ، والعضو السيد عبدالهادي التازي عن «المغرب في الدراسات الاستشراقية : ابن بطوطة نموذجًا» ، والخبير السيد محمد السرغيني عن «المستشرقون والتصوف الإسلامي».

المعرفة والتكنولوجيا

نظمت أكاديمية المملكة المغربية دورتها الأولى برسم سنة ١٩٩٣م أيام ١٠-١١-١٢ ماي بالدار البيضاء ، وبحثت هذه الدورة موضوع «المعرفة والتكنولوجيا».

وتضمن البرنامج تقديم عروض حسب الشكل التالي :

- هل تؤدي المعرفة إلى التكنولوجيا ؟ وهل هناك

تكنولوجيا بدون معرفة ؟ - إدريس خليل .
- التكنولوجيا كمعرفة - محمد علال سيناصر .
- القانون معرفة أم تكنولوجيا ؟ - جورج فيديل .
- طرق المعرفة بين التقليد والتجديد - محمد شفيق .
- بيداغوجية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية كمصدر للمعرفة - ألفونسو دولاسيرنا .
- التكنولوجيا في تقدم - روني دوبي .
- من أجل علم متخلق للتكنولوجيا والتعاون الدولي - عبدالهادي بوطالب .
- أية آفاق للعلوم الإنسانية في ضوء مسلسل تطور التكنولوجيا المعاصرة - محمد الكتاني .
- العلم الأساسي - فريد ريكسون .
- تدبير التنمية التكنولوجيا - رولد شالفون .
- شروط العلم والتكنولوجيا في الجنوب - أحمد عبدالسلام .
- أسباب ضعف وتفتت إمكانيات العلوم والتكنولوجيا - ع . بن عبدالله .
- الثقافة والتكنولوجيا في اليابان - ناكامورا .
- هل اللغة العربية عقبة أمام اكتساب التكنولوجيا - عبدالهادي التازي .
- الإنسان مخترع التكنولوجيا - محمد الحبيب بلخوجة .
- المعرفة والتكنولوجيا في البيولوجيا والطب - ج . برنارد .
- عن أهمية ومخاطر المعرفة - بيير ريز ينشتاين .
- من البيولوجيا إلى البيوتكنولوجيا - ع . بن عبدالجليل .
- طبقة الأوزون - نيل آرمسترونغ .
- المناخ والماء في العالم - روبير امبروغي .
- المناخ والماء في المغرب - محمد القباج .
- التكنولوجيا والإنسان والتنمية - فاروق النبهان .
- المختبرات ودورها في النظام العلمي والتكنولوجي - أولفيرا .
- التوازن بين الإنتاج والاستهلاك - جورج ماتي .
- المعرفة والتكنولوجيا والتنمية - أحمد صدقي الدجاني .
- النظام التقني العلمي - طه عبدالرحمن .
- تكنولوجية التحرر - عبدالمجيد مزيان .

رسالة دكتوراه في «رفع التلبيس عن حقيقة التجنيس»

ناقش الطالب محمد الإدريسي يوم ٢٦ فبراير ١٩٩٣م رسالته الجامعية لنيل دكتوراة الدولة في الآداب بكلية الفيلولوجيا بالجامعة المركزية «كمبلوطنسي» بمدريد في موضوع : «رفع التلبيس عن حقيقة التجنيس» لأبي جعفر أحمد بن يوسف بن علي اللبلي الفهري (٦١٣ - ٦٩١هـ/ ١٢١٧ - ١٢٩٢م) - تحقيق ودراسة تحت إشراف الدكتورة Dr. Maria Teres-a Garula Munog رئيسة قسم الدراسات العربية والإسلامية بالكلية المذكورة .

وبعد المناقشة قررت اللجنة المكونة من عدة أساتذة منح صاحب الرسالة درجة دكتوراه الدولة في الآداب بمرتبة الشرف الأولى .

مجلة دار الحديث الحسنية

صدر مؤخرا العدد العاشر من مجلة (دار الحديث الحسنية) ، وهي مجلة سنوية علمية متخصصة تعنى بشئون الفكر الإسلامي ، وقد ضم هذا العدد باقة مختارة من البحوث العلمية التي يعدها باحثون من أبناء الدار ، والمنتمين إليها ، من أساتذة وباحثين .
- ابن خمير السبتي وآثاره - محمد بنشريفة .
- نظرية استغراق الذمة بالمال الحرام من خلال كتاب التقسيم والتبيين في حكم أموال المستغرقين لأبي زكريا يحيى بن محمد بن الوليد الشبلي (مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ومكتبة الأسكوريال) - جمعة محمود الزريقي .
- مصطلحات المذهب المالكي - عبدالعزيز بن صالح الخليفي .
- القواعد الأصولية عند الإمام الشاطبي من خلال كتابه الموافقات - الجيلالي المريني .
- دخول المذهب المالكي إلى شمال نيجيريا وانتشاره فيه - صالح أكنوي .
- الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال (١٣٣١ - ١٣٧٦هـ/ ١٩١٢ - ١٩٥٦م) -

إدريس خليفة .
- قياس العلة عند الإمام مالك - مصطفى الحرشوني .
- العلامة علي بن سليمان الدمنتي وإسهاماته في الدراسات الحديثية - عمر لشكر .
- المحدثون في عهد السلطان المولى محمد بن عبدالله - أحمد العمراني .

يقع العدد في ٤٥٤ صفحة من القطع المتوسط .

إبراهيم الساحلي ودوره الثقافي في مملكة مالي

عن معهد الدراسات الإفريقية التابع لجامعة محمد الخامس بالرباط ، وفي سلسلة محاضرات كرسي التراث المغربي الإفريقي المشترك الحلقة رقم ٩ صدر كتاب «إبراهيم الساحلي ودوره الثقافي في مملكة مالي ت. عام ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م؟» للأستاذ محمد بنشريفة محافظ الخزانة العامة بالرباط .

وهو أديب شاعر لعب دوراً بارزاً في الصلات بين البيضان والسودان في أوائل القرن الثامن الهجري ، حيث رحل إلى بلاد السودان وعاش في كنف أكرم ملوكها منس موسى ، وهو فعل استغربه أعلام غرناطة بلد الساحلي .

ويبرز محمد بنشريفة تميّز الساحلي على الخصوص بشيئين : أولهما مهاراته العلمية والأدبية والفنية المتعددة ، فهو فقيه موثّق ، وهو نسيجُ وحده في الأدب نظمًا ونثراً لا يُشقّ فيهما غباره ، وهو صنّاع اليدين ، وهو معْمارٌ موهوبٌ ، يعرف صنعة البناء الرفيعة وما تقتضيه ، ويَنفّذها على أتقن الوجوه .

أما الشيء الثاني فهو أنه كان مغامراً يركب الأخطار ويرمي بنفسه في غمار الأمور ، ولهذا عاش «جوّاب آفاق ، محالف رفاق» حسب تعبير ابن خلدون .

ويذهب بنشريفة إلى أن دور الساحلي في مملكة مالي كان أكبر من دور معلّم صنّاع اليدين ، ويرى أنه كان بالإضافة إلى ذلك ذا أثر مهم في الحياة الثقافية والاجتماعية بتلك المملكة ، وقد يحلو لنا أن نشبّه أثره في الحياة المالية بالأثر الذي أحدثه زرياب في الحياة الأندلسية ، ونقدّر أن عدداً من تراتيب مشور السلطان المالي التي وصفها ابن بطوطة فيما بعد كانت بمحاولته ، ونظن أن لباس الثياب البيض الحسان الذي شاهده ابن بطوطة في العيدين كان من أثره ، فهذا هو لباس الأندلسيين والمغاربة في هاتين المناسبتين .

كما تعرّض المؤلف بإيجاز كذلك إلى آثاره المادية والأدبية . فأمّا آثاره المادية فتتمثل فيما ينسب إليه من مبان ومساجد في تنبكتو وجنّي وكاغو ، وهي أساس العمارةَ التي اصطُلح على تسميتها بالعمارة السودانية التي تقوم من الطين المضغوط المقوّى بالخشب على نحو ماهو موجود في جنوب المغرب . وأما آثاره الأدبية شعراً ونثراً فيبدو أنها كانت كثيرة ، ويدل على هذا قول ابن الخطيب : «وإحسانه كثير ، ومقداره كبير» ، ولهذا يقدّر محمد بنشريفة أن ماوصلنا ليس إلا قليلا من كثير ، ويبدو أن السبب في ضياع آثاره أنه عاش في آخر حياته في بيئة لا تساعد على التدوين أو لعلّ مادوّنه ضاع بعد ذلك في تلك البيئة التي لا تساعد أيضاً على الخزن والحفظ .

ومع ذلك فقد قام محمد بنشريفة بصنع ديوانه وهو اثنتا عشرة قصيدة وثلاث مقطعات .

وسبق لمحمد بنشريفة أن صدر له في السلسلة نفسها الحلقة رقم ٥ كتاب عن الأديب الشاعر أبي إسحاق إبراهيم الكانمي ، أنموذج رفيع للتواصل الثقافي بين السودان والمغرب في مطلع القرن السابع الهجري .

يقع الكتاب في ٧٨ صفحة من القطع المتوسط .

تاريخ الزجل الشعبي بتارودانت

عن منشورات عكاظ بالرباط صدر كتاب «تاريخ الزجل الشعبي بتارودانت : الملحون» للأستاذ أحمد بوزيد الكنسناني .

والكتاب محاولة لدراسة المعالم العامة لحركة الغناء والموسيقى والرقص الشعبي بحاضرة سوس - تارودانت - عبر مدة تاريخية تمتد من العهد المريني إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي .

ومن خلال ذلك ركز المؤلف على العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفنية بتارودانت . في تبادل مستمر للمؤثرات مع الحواضر المغربية الأخرى .

وقد قسم المؤلف مادة كتابه إلى جزأين الأول خاص بفن الملحون وظروفه التاريخية بتارودانت . والعوامل التي صاحبته واعتملت في ازدهاره داخل الحواضر التاريخية الأخرى .

ويحتوي هذا الجزء على أحد عشر فصلاً تعالج مختلف التطورات والعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفنية التي عملت على نشر هذا الفن بحاضرة سوس . وتجتاز به سلسلة الأطلس الكبير ، مع صياغة تراجم لبعض شيوخ (السجية) و(الكريحة) والإنشاد الديني ، ممن بقيت أخبارهم وآثارهم مبثوثة في صدور الرواة بهذه الحاضرة .

وبعد هذا الجزء سيأتي الجزء الثاني ، وسيكون موضوعه أنواع الرقص والغناء الشعبي بهذه المدينة ، مع ما يلابس هذه الأنماط من تقاليد وعادات .

يقع الكتاب في ١٩٢ صفحة .

مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين

عن القلم بالدار البيضاء صدر كتاب «مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين : قضايا ونماذج» تأليف الدكتور الشاهد البوشيخي .

وقد خرج الكتاب بعد التمهيد والخاتمة في قسمين :

خُصص التمهيد للتنبيه على مشكلة هي أم المشكلات في درس النقد القديم عامة ، ودرس مصطلحه خاصة . وهي مشكلة المنهج .

وخصص القسم الأول لأبرز القضايا المصطلحية التي أثارها المصطلح النقدي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين . وهو قسم لايعلم المؤلف أنه قد ألف مثله في ميدان النقد العربي ؛ لا شكلاً ولا مضمونًا . وقد تطرق – على وجازته – إلى جملة أمور ، هي فيما يظن من النفاسة بمكان ، ولايبعد بعد تواصل البحث فيها من أهله أن يكون لها في يوم ما شأن .

وخصص القسم الثاني للنماذج الممثلة لأبرز المجالات ، في الجهاز المفهومي والرؤية النقدية لدى «الشعراء» ، ولأبرز الأشكال التي يتنوع إليها المصطلح لديهم من حيث الاستعمال ؛ حجمًا ودلالة ، وكثرة وقلة ، وغير ذلك من التشعبات والأحوال . . . وهو قسم قد طرق مالم يُطرق قبل ، وصوّر جوانب مهمة من رؤية «الشعراء» النقدية لم تصور بذلك التحدد والتوثيق قبل ، وطوّر البحث المصطلحي في المصطلح القديم بعض التطوير .

وخصصت الخاتمة لما تخصص له الخواتم من خلاصة ونتائج واقتراحات .

ويقوّم أمجد الطرابلسي هذا العمل فيقول : «هذه الدراسة العميقة لقضايا المصطلح في القسم الأول من الأطروحة هي – أقول هذا ولا أعتقد أني أبالغ – هي أطروحة مستقلة بنفسها ، بكل مافي هذه الكلمة : كلمة أطروحة من معنى . ويمكن اعتبارها منذ اليوم متنًا تشريعياً ، على الأوساط العلمية المهتمة بالمصطلح النقدي أن تتبناه ، وأن تجعله لها شرعة ومنهاجًا ، في كل بحث مستقبلي في هذا الميدان .

أما القسم الثاني من البحث فهو قسم النماذج ، أو الدراسة النموذجية ، ويرينا هذا القسم كيف يحسن بل كيف يجب أن تكون دراسة المصطلح ، وذلك بأن تكون نابعة من فهم عميق للفظة ، وللفروق الدقيقة التي تنطوي عليها انطلاقًا من المعاجم اللغوية ووصولاً إلى النصوص الموثقة في تقاطعها وفي تراحمها .

إننا في هذا القسم الثاني من البحث قسم النماذج أمام دراسة نموذجية حقيقية ، أمام دراسة رائدة وليس من المبالغة أيضًا وأنا لا أحب المبالغة . ليس من المبالغة اعتبار هذا القسم الثاني أطروحة ثانية موضوعها : الطريقة النموذجية لدراسة المصطلح النقدي .

هذه الأطروحة قد أثبتت بما لا يدع بعد اليوم مجالاً للشك أن هناك معجمًا نقدياً غنيّاً كان يتداوله شعراء

الجاهلية وصدر الإسلام قبل عصر التدوين بعقود كثيرة ، وأن هذا المعجم الذي يجب أن يكون بعد اليوم الأساس في دراسة تاريخ النقد العربي لأنه هو المنبع الثر الذي استقت منه الدراسات النقدية في عصر التدوين تنظيراً وتطبيقاً .

إن هذا الكشف العظيم جدير بالتقدير» .

يقع الكتاب في ٣٩٠ صفحة من القطع المتوسط .

الشعر العربي الحديث المترجم إلى الإنجليزية

صدر عن مدرسة الملك فهد العليا للترجمة - جامعة عبدالمالك السعدي - طنجة كتاب «الشعر العربي الحديث المترجم إلى الإنجليزية : مقدمة وببليوغرافية» للأستاذ جواد الطعمة صالح .

تحاول هذه الببليوغرافية أن تلم بترجمة الشعر العربي الحديث إلى الإنجليزية ومدى انتشاره عالمياً منذ بداية القرن حتى أوائل التسعينات . وهي تضم مايلي :

١ - مقدمتان بالعربية والإنجليزية حول مسار ترجمة الشعر العربي الحديث .

٢ - الأعمال العامة التي اعتمد عليها من ببليوغرافيات ومنتجات الشعر العالمي المترجم إلى الإنجليزية إلى مجموعات الشعر العربي الحديث المترجم .

٣ - المجلات والصحف التي يشملها المسح الببليوغرافي .

٤ - قائمة الشعراء ، ويتجاوز عددهم ثلاث مئة شاعر ، وماترجم لهم من أعمال .

وتشير الببليوغرافية كذلك إلى عدد كبير من الدراسات العامة التي احتوت قصائد مترجمة ، وقد ورد ذكرها تحت أسماء الشعراء ، كما تتميز باتباعها أسلوب «الإحالة» وذلك بالإشارة إلى ما أعيد نشره من القصائد في مصادر مختلفة لبيان ذيوع الشعر العربي الحديث ، والأهمية التي تُعزى له في المصادر التي تتناول العالم العربي أو الشرق الأوسط .